جامعـــــــة اليرمـــــــــــوك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قســـم أصـــول الـــديـــــــــن

رسالة ماجستير في أصول الدين بعنوان

الاختيار في الكتاب المقدس

(دراسة تحليلية مقارنة)

The Eclecticism in the bible (analytical and comparative study)

إعداد الطالب

محمد علي فالح العزام

(2013186018)

إشراف: أ.د. محمد أحمد محمد ملكاوي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين

العام الدراسي

2019/2018

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الاختيار في الكتاب المقدس

(دراسة تحليلية مقارنة)

The Eclecticism in the bible (analytical and comparative study)

إعداد

محمد علي فالح العزام

بكالوريوس الفقه وأصوله، جامعة مؤتة، 2011م

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص أصول الدين، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وافق عليها أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور محمد أحمد ملكاوي..... مشرفا ورئيسا

أستاذ العقيدة، جامعة اليرموك

الأستاذ الدكتور حسين جابر بني خالد.....عضوا

أستاذ العقيدة، جامعة اليرموك

الأستاذ الدكتور عطا الله بخيت المعايطة.....عضوا

أستاذ العقيدة، الجامعة الأردنية

تاريخ المناقشة

2019/5/14م

9 رمضان 1440هـ

الشكر والتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم محمد ﷺ.

أتقدم بعد حمد الله تعالى بجزيل الشكر إلى أساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة الذين تتلمذت على أيديهم ففتحوا أمامي آفاقا لم أكن لأراها وأثروا لي مداركا لم أكن لأعلم كهنها.

إليهم جميعا أقول: بارك الله فيكم وجزاكم عني كل خير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى سيد المختارين وخاتم المرسلين محمد ﷺ، وإلى والدي الكريمين الذين بذلا ما بوسعهما حتى نشأت هذه النشأة في طاعة الله تعالى وحرصا على توجيهي نحو العلم الشرعي، إلى كل دكتور علمني في الكلية واستحق أن يكون قدوة، وإلى كل طالب علم غيور على دينه وأمته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن مفهوم الاختيار في الكتاب المقدس، وبيان أنواعه والطرق التي كان يتم من خلالها والأحوال والأحداث التي جعلته مهمًّا عند أهل الكتاب.

ومن ثم تمت مقارنتها بمفهوم الاختيار الوارد في القرآن والسنة النبوية.

استخدمت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها:

أن الاختيار في الكتاب المقدس يقصد به اختيار الأمم والأشخاص ليكونوا أنبياء ورهبانا، واختيار أماكن للعبادة من قِبَل الله ومن قِبَل من كانت له سلطة مكنته من الاختيار.

وهو بهذا يختلف عن الاختيار في الإسلام (القرآن والسنة)؛ لأن الاختيار في الإسلام يكون من الله تعالى وحده في اختيار الأنبياء والأمم والأماكن لتبليغ رسالته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحتويات

الشكر والتقدير.....ا

الإهداء.....**ب**

الملخص.....ت

قائمة المحتويات.....ث

المقدمة.....خ

الفصل الأول: التعريف بعنوان الرسالة والمصطلحات المتعلقة به.....١

المبحث الأول: تعريف مصطلحات الرسالة.....٢

المطلب الأول: تعريف الاختيار.....٣

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب المقدس.....٦

المطلب الثالث: أسماء الكتاب المقدس.....١٥

المبحث الثاني: مصطلحات الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الكتاب المقدس.....١٨

المطلب الأول: الألفاظ والمصطلحات المرادفة للاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الكتاب المقدس.....١٩

المطلب الثاني: المصطلحات التي انفرد بها القرآن الكريم والسنة النبوية عن الكتاب المقدس....٢٢

المطلب الثالث: الألفاظ والمصطلحات التي انفرد بها الكتاب المقدس عن القرآن الكريم والسنة النبوية.....٢٩

المبحث الثالث: أسباب انفراد الكتاب المقدس عن القرآن الكريم والسنة النبوية في التعريفات.....٣٦

المطلب الأول: مخالفة الألفاظ التي اعتبرها الكتاب المقدس من ألفاظ الاختيار للغات ولتعريفات قواميس الكتاب المقدس وكتب التفسير.....٣٧

المطلب الثاني: أسباب انفراد الكتاب المقدس ببعض الألفاظ.....٤٠

الفصل الثاني: منهج الكتاب المقدس في عرض قضية الاختيار.....٤١

المبحث الأول: الاختيار في العهد القديم.....٤٢

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المطلب الأول: طرق الاختيار في العهد القديم وبعض النصوص الدالة عليه.....٤٣
المطلب الثاني: أسباب الاختيار في العهد القديم.....٥١
المبحث الثاني: الاختيار في العهد الجديد.....٦٢
المطلب الأول: طرق الاختيار في العهد الجديد وبعض النصوص الدالة عليه.....٦٣
المطلب الثاني: أسباب الاختيار في العهد الجديد.....٧١
المبحث الثالث: بيان الاضطراب في كيفيات الاختيار في الكتاب المقدس.....٧٤
المطلب الأول: بيان اضطراب طرق الاختيار في الكتاب المقدس.....٧٥
المطلب الثاني: ترجيح سبب الاختيار من أجل المكاسب المادية.....٨١
الفصل الثالث: سر الاختيار في رسائل بولس.....٨٣
المبحث الأول: التعريف ببولس وبيان منهجه الدعوي.....٨٤
المطلب الأول: التعريف ببولس.....٨٥
المطلب الثاني: عداء بولس لرموز التوحيد.....٨٩
المطلب الثالث: سر الاختيار الذي ادعاه بولس والهدف من القول بسريته.....٩٦
المبحث الثاني: طرق الاختيار عند بولس ونقض ادعائه الرسالة العالمية.....٩٨
المطلب الأول: طرق الاختيار بناء على ما جاء به بولس.....٩٩
المطلب الثاني: نتيجة الاختيار عند بولس.....٩٩
المطلب الثالث: نقض رسالة بولس بناء على ما جاء به.....١٠١
الفصل الرابع: الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية وبيان اضطراب الاختيار في الكتاب المقدس.....١١٣
المبحث الأول: عقيدة المسلمين تجاه قضية الاختيار.....١١٤
المطلب الأول: الإيمان المطلق بالأنبياء والرسل.....١١٥
المطلب الثاني: الاختيار أمر خاص لا يعلمه إلا الله.....١١٧
المبحث الثاني: طرق الاختيار وأسبابه في القرآن الكريم والسنة النبوية.....١٢٠
المطلب الأول: طرق الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية.....١٢١
المطلب الثاني: أسباب الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية.....١٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: بيان ما انفرد به المختارون من صفات وأحوال.....١٢٦
المطلب الأول: الصفات الخُلُقية للمختارين في القرآن الكريم والسنة النبوية.....١٢٧
المطلب الثاني: المعجزات الإلهية الواقعة على المختارين.....١٢٩
المبحث الرابع: بيان اضطراب الاختيار في الكتاب المقدس.....١٣٥
المطلب الأول: عصمة المختارين.....١٣٦
المطلب الثاني: المختارون في القرآن الكريم والسنة النبوية خلاف ما جاء في الكتاب المقدس١٣٨
المطلب الثالث: منزلة المختارين ودرجتهم بين الناس.....١٤١
الفصل الخامس: اختيار أصحاب محمد واختيار مكة في القرآن الكريم والسنة النبوية.....١٤٥
المبحث الأول: اختيار العرب وبيان فضلهم وصفاتهم.....١٤٦
المطلب الأول: صفات العرب التي انفردوا بها عن باقي الأمم.....١٤٧
المطلب الثاني: الفرق بين العرب والأعراب.....١٤٩
المطلب الثالث: محمد ﷺ عربي وليس أعرابيا.....١٥٣
المبحث الثاني: اختيار أصحاب محمد ﷺ و بيان فضلهم وصفاتهم.....١٥٥
المطلب الأول: اختيار أصحاب النبي في القرآن الكريم والسنة النبوية.....١٥٦
المطلب الثاني: صفات أصحاب النبي وفضلهم.....١٥٧
المطلب الثالث: الفرق بين أصحاب النبي وبين أتباع موسى وعيسى عليهم السلام.....١٥٨
المبحث الثالث: اختيار مكة وبيان فضلها.....١٦٣
المطلب الأول: اختيار مكة في القرآن الكريم والسنة النبوية.....١٦٤
المطلب الثاني: ذكر مكة في الكتاب المقدس.....١٦٦
المطلب الثالث: أسباب اختيار مكة.....١٦٩
الخاتمة.....١٧٣
Abstract ١٨٢
قائمة المصادر والمراجع.....١٨٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأطيب الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

عندما أنزل الله تعالى الكتب السماوية هداية للناس، اقتضت حكمته أن تُنَزَّل على بشر مثلهم، وذلك لحكم كثيرة؛ منها ما لا يعلمها إلا الله تعالى، ومنها أن من نزلت عليهم هذه الكتب بشر مثلهم، لا يأتون إلا بما كان في مقدور البشر من التكليف؛ وليكون الأمر أكثر إيناسا، فكان من جنس خلقهم؛ ولتكريم هذا الجنس الذي أراده الله تعالى أن يخلف بعضه بعضا في الأرض.

فاختار الله من البشر من يهديهم ويصلح حالهم ويقوِّم ما تسببه النفس الأمارة بالسوء من اعوجاج، فكان اختياره جل وعلا إما بالنبوة وإما بالنبوة والرسالة معا.

فمن اختارهم بالنبوة كانوا بين الناس هداة دعاة إلى دين الله تعالى، وأيدهم بالمعجزات وغيرها من مقتضيات النبوة.

ومنهم من كان اختيارهم بالنبوة والرسالة، فأرسلهم الله تعالى وأنزل إليهم كتبا سماوية مرحلية كل حسب زمانه ومكانه إضافة إلى ما كان من أمور النبوة.

واختار منهم بالنبوة والرسالة من كانت رسالته خاتمة الرسالات كرسالة محمد ﷺ – فكان لزاما صلاحية هذه الرسالة الخاتمة لكل زمان ومكان، وعلى هذا فلا حاجة بعدها للنبوات والرسالات والأشخاص طالما أن هذه الرسالة المصطفاة وصاحبها يكفون البشرية جميع أسباب اتصال السماء مع الأرض من هداية وتشريع وطرق عيش.

فما هو الاختيار؟، ومن هم المختارون؟، وهل اختيرت أماكنهم أيضا؟، وهل من مبشرات تدل على اختيار لمن كان بعدهم من الأنبياء؟.

من أجل ذلك جاءت هذه الرسالة لتبين ماهية الاختيار وقيمة كل ما كان مختارا.

حرص الكتاب المقدس على مسألة الاختيار، لا سيما اختيار بني إسرائيل، والتي على أساسها قامت ممالك بني إسرائيل وتمسكت بكل ما يعني كيانها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن الاختيار في الكتاب المقدس لم يقف عند بني إسرائيل وحدهم كشعب، فكان اختيارا للأنبياء، واختيارا لأصحابهم، واختيارا للملوك، واختيارا للمَواطن عند بني إسرائيل وعند غيرهم، وهذا ما ستبينه رسالتي والتي أعرض فيها مسألة الاختيار في الكتاب المقدس، مبينا الأسباب التي لأجلها قامت قضية الاختيار.

مشكلة الرسالة:

يمكن تحديد مشكلة الرسالة في أنها تسعى إلى الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما الاختيار، ومن هم أشخاصه وأماكنه في الكتاب المقدس؟.

ويتفرع عنه من الأسئلة ما يأتي:

1- ما الاختيار، ومن المقصودون بالاختيار؟.

2- كيف عرض الكتاب المقدس قضية الاختيار، وما الظروف التي أخرجت مسألة الاختيار وحددت أشخاصها؟.

3- كيف كان اختيار الأنبياء في الكتاب المقدس؟.

4- ما هي عقيدة المسلمين تجاه قضية الاختيار؟.

5- هل وجد من النصوص ما يبين اختيار الأماكن وما يبين فضلها؟.

أهداف الرسالة:

تسعى هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1- بيان مفهوم الاختيار والمختارين وأنواعه، وبيان من يحدد الاختيار في الكتاب المقدس.

2- بيان الطرق التي كان من خلالها الاختيار، والظروف التي أخرجته وجعلته مهما عند أهل الكتاب المقدس.

3- بيان اختيار الأنبياء في الكتاب المقدس ومن يملك تنصيبهم.

4- بيان عقيدة المسلمين تجاه قضية الاختيار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- بيان اختيار الأماكن، وأن لها فضل من خلال النصوص.

أهمية الرسالة:

تأتي أهمية هذه الرسالة فيما يأتي:

1- تسهم هذه الرسالة في إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع مهم يتعلق بمقارنة الأديان، نظرا لقلة الكتابات العلمية التي تبحث في هذا الموضوع.

2- تسعى هذه الرسالة -باعتبارها من أمور العقيدة إلى الكشف عن بعض الحقائق التي تتعلق بالنبوات والظروف التي تحيط بها.

3- من ناحية عملية تفيد هذه الرسالة الدعاة والقائمين على العلم الشرعي، موضوعا مشتركا بين الديانات قد يجهله كثير من المسلمين ومن غير المسلمين.

حدود الرسالة:

اقتصرت الرسالة على مقارنة موضوع الاختيار في الكتاب المقدس وبيان موقف القرآن الكريم والسنة النبوية منه.

الدراسات السابقة:

في حدود بحثي واطلاعي، لم أجد دراسة تناولت الموضوع بعنوانه ومضمونه، إلا إن هناك بعض الجوانب ذات العلاقة بحثتها الدراسة الآتية:

1- دراسات خليفة، محمد،١٩٩١، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، طبيعتها، تاريخها، الموقف الإسلامي منها.

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم النبوة الإسرائيلية وفقا للفهم والتصور اليهودي لهذا التاريخ.

تعالج هذه الدراسة تاريخ النبوة الإسرائيلية كما يراها اليهود أنفسهم، وكما رواها التراث اليهودي في مصادره اليهودية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعليق على الدراسة السابقة:

إن الدراسة السابقة تختلف في المجمل عن رسالتي، حيث إن الدراسة السابقة قد تناولت اختيار الأنبياء في بني إسرائيل وحصرت موضوع الاختيار في الأنبياء وحدهم، متناولة الموضوع من ناحية المعتقد إضافة إلى تركيزها على ناحية التاريخ والتراث اليهودي.

إن الموضوع الرئيس لهذه الدراسة هو الاختيار في الكتاب المقدس، حيث بينت أن الاختيار في الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم والسنة النبوية لم يقع على الأنبياء وحدهم، ولكنه وقع على الأنبياء والأمم والأماكن.

منهج الرسالة:

اتبع الباحث في هذه الدراسة عدة مناهج أهمها، وعلى النحو التالي:

- المنهج الاستقرائي من خلال استقراء لنصوص الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية، والكتاب المقدس.
- المنهج التحليلي من خلال تحليل النصوص اعتمادا على المراجع المعتبرة في تفسير القرآن الكريم وشرح السنة النبوية، وشرح الكتاب المقدس.
- المنهج المقارن من خلال مقارنة نصوص الكتاب المقدس مع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

التعريف بعنوان الرسالة والمصطلحات المتعلقة به.

تعددت المصطلحات والألفاظ الدالة على الاختيار، فمنها ما كان في الكتاب المقدس دون القرآن الكريم، ومنها ما كان في القرآن الكريم دون الكتاب المقدس، ومنها ما كان مشتركا بينهما؛ مما جعل الدراسة تحتاج إلى أن تكون المصطلحات والألفاظ في فصل مستقل نبين من خلاله الأسباب التي أدت إلى هذه التقسيمات.

بناء عليه جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول

تعريف مصطلحات الرسالة

المبحث الثاني

ألفاظ ومصطلحات الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الكتاب المقدس

المبحث الثالث

أسباب انفراد الكتاب المقدس عن القرآن الكريم وعن السنة النبوية في الألفاظ والمصطلحات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف مصطلحات الرسالة

سأقوم في هذا المبحث بتعريف مصطلحات موضوع الرسالة، والتي تعتبر المدخل الأساس لفهم بقية المصطلحات المتعلقة بالرسالة، مضمنا المبحث التعريف الإجرائي للاختيار.

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: تعريف الاختيار.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب المقدس.

المطلب الثالث: أسماء الكتاب المقدس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: تعريف الاختيار

تعددت الألفاظ المرادفة للاختيار في اللغة، لكن على الرغم من تعددها لم تتجاوز معنى الاختيار.

وأردت تعريف الاختيار؛ لأنه موضوع الرسالة؛ ولأنني أرى أن لفظ الاختيار يعتبر عاما مع جميع الألفاظ والمصطلحات؛ ولأن الاختيار لا خلاف عليه بين الكتاب المقدس وبين القرآن الكريم والسنة.

الاختيار لغة:

جاء في لسان العرب خَير: الخَيْرُ: ضِدُّ الشَّرِّ، وَجَمْعُهُ خُيور.
وخارَهُ عَلَى صَاحِبِهِ خَيْراً وخِيَرَةً وخَيَّرَهُ: فَضَّله.

وقال تعالى:﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ التوبة:٨٨؛ جَمْعُ خَيْرَةٍ، وَهِيَ الْفَاضِلَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ الأعراف: ١٥٥.

وَالِاخْتِيَارُ: الِاصْطِفَاءُ وَكَذَلِكَ التَّخَيُّرُ(١).

بين التعريف أن الاختيار يكون لخير وفضل في المختار جعله مصطفى ومفضلا على غيره.

وبناء عليه أرى أن الاختيار هو اصطفاء شخص أو شيء؛ لفضله ولما انفرد به من خصائص فاق بها غيره، وذلك في الأشخاص والأمم والأماكن، قال تعالى:﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾طه: ١٣.

أما في الكتاب المقدس، فقد جاء تعريف الاختيار على أكثر من وجه وتقسيم، كما يأتي(٢):

الاختيار:(يختار،مختار،اختيار:اقترنت كلمة (مختار) ببعض الأشخاص في العهدين القديم والجديد.

---

(١)ابن منظور ٧١١هـ، لسان العرب، مجلد٤، باب الخاء، ص٢٦٤-٢٦٧، دار صادر-بيروت، ط١، [بتصرف].

(٢)قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من علماء اللاهوت، ط٢، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى-بيروت، ١٩٧١م، ص٣٥١ – ٣٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"بل أُخرِج من يعقوب نسلا ومن يهوذا وارثا لجبالي، فيرثها مختاري...."[إشعياء٦٥: ٩]، "ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصر لتلك الأيام"[متى٢٤: ٢٢]، "أفلا ينصف الله مختاريه؟..."[لوقا١٨: ٧]، وجاء في العهد الجديد عبارات تحمل معنى الاختيار كقوله: ((المختارة معكم))[١بطرس٥: ١٣]،.... و((من الله اختياركم))[١تسالونيكي١: ٥]....).

وتدل هذه النصوص الكتابية وغيرها على أن الاختيار عمل من أعمال الله يقصد به أن يختار قوما من البشر ويخلصهم كي تكون لهم به علاقة خاصة(١).

وكذلك يتصل الاختيار بأعمال عناية الله وبمعاملته للبشر، كاختيار يعقوب وعيسو مثلا في رومية ٩: ١١ ((لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار)).

الاختيار في العهد القديم: يظهر الاختيار في العهد القديم في أن الله اختار جماعة خاصة لغرض خاص: "ولأجل أنه أحب آباءك واختار نسلهم من بعدهم، أخرجك بحضرته بقوته العظيمة..."[تثنية٤: ٣٧]، "وعبدك في وسط شعبك الذي اخترته شعب كثير"[ملوك١ ٣: ٨].

وكثيرا ما يذكّر الله هذا الشعب بأن اختياره له لا يتوقف على فضيلة فيه أو على استحقاق من جانبه، إنما تم نعمة من الله وفضلا: "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب لتكون شعبا أخص من جميع الشعوب"[تثنية٧: ٦].

وفي اختيار الله لهذا الشعب، اختار الله أفرادا ليكونوا أداة إعلان ومنفذي إرادته وقصده؛ فقد اختار ملوكا، واختار أنبياء، كما اختار أماكن العبادة.

---

(١)قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٥١ [بتصرف].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فقال صموئيل لجميع الشعب: ((أرأيتم الذي اختاره الرب أنه ليس أنه ليس مثله في جميع الشعب؟))[صموئيل١ ١٠: ٢٤]، "ثم سمعت صوت السيد: ((من أُرسل، ومن يذهب من أجلنا؟)) فأجبت: ((هئنذا أرسلني))"[إشعياء٦: ٨].

<u>الاختيار في العهد الجديد</u>: يشير إلى أن البشر الذين هم غاية الاختيار هم جماعة المخلصين المفديين، وهؤلاء هم شعب الله الخالص والجنس المختار الجديد الذي حل محل الشعب المختار في العهد القديم، ولذا فلهذا الشعب الجديد امتيازات خاصة كما أن له مسؤوليات خاصة تتعلق بمكانته في ملكوت الله وخدمته لذلك الملكوت.

والامتيازات التي يمنحها الله لهذه الجماعة لا تنبعث منها ولا تنبثق من ذاتيتها بل إنها نعمة من الله يهبها ، فضلا وعلى غير استحقاق من جانب المنعم عليهم ، فهي عمل إلهي خالص تتم فيه شروط وامتيازات العهد الجديد التي تحدث عنها إرميا وما بعده: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب"[إرميا٣١: ٣١و٣٢].

فإن خطايا هذا الشعب لا تذكر فيما بعد، وإن شريعة الله سوف تكتب في قلوبهم، ثم إن من تسمى باسم المسيح دون أن يكون له نصيب من روح المسيح وحياته فهو ليس من المسيح في شيء: "وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له"[رومية٨: ٩]، فالجماعة المختارة بحسب تعليم العهد الجديد هي إذن شركة أفراد كل منهم شملته نعمة الله المجانية التي تظهر في حياة جديدة يمنحها الله لهذا الفرد(١).

---

(١)قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثير ولدنا ثانية...."[١بطرس١: ٣].

مختار الله :وقد دعي المسيح مختار الله أي إن ابن الله الأزلي القدير وابن الإنسان قد وقع عليه اختيار الله لتنفيذ قصده في الخلاص، "هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرَّت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم"[إشعياء٤٢: ١](١).

أرى أن تعريف الاختيار في الكتاب المقدس ليس على وجه واحد؛ حيث تم بيان معنى الكلمة وحدها، وتم بيان معنى الكلمة بناء على تقسيم الكتاب المقدس كعهد قديم وعهد جديد فربط الاختيار في العهد القديم ببعض الأشخاص وببني إسرائيل عموما فكانوا في العهد القديم شعب الله المختار.

وكان بعد ذلك أن الاختيار انحسر في جماعة دون شعب، بعد ذلك كان تحديدا في المسيح .

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب المقدس.

الكتاب المقدس، هو اسم للكتاب الذي جمع التوراة والإنجيل وملحقاتهما، أطلق عليهما بعد ذلك العهد القديم والعهد الجديد؛ وقد اعترت الكتاب المقدس تسميات من جهة الكتاب ومن جهة ما جمع فيه.

الكتاب المقدس:

بحسب ما يدعي مؤلفو قاموس الكتاب المقدس: هو مجموع الكتب الموحاة من الله والمتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه.....، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع بني البشر في كل الأزمنة ويدعى أيضا الكتب[يوحنا٥: ٣٩] ، وكلمة الله [رومية٩: ٦](٢).

---

(١)قاموس الكتاب المقدس ص٣٥١ – ٣٥٢.

(٢)قاموس الكتاب المقدس ص٧٦٢ (بتصرف).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنصارى يؤمنون –نسبيا– بالكتاب المقدس والذي يضم العهد القديم والذي يحتوي التوراة وأسفار الأنبياء، بالإضافة إلى بعض الوصايا والإرشادات.

ويضم الكتاب المقدس العهد الجديد والذي يشمل الأناجيل الأربعة فقط، والرسائل المنسوبة للرسل، ويقولون بأن ما في العهد الجديد يلغي ما في العهد القديم، لأنه في اعتقادهم أن العهد الجديد هو كلمة الله وذلك على خلاف بين طوائفهم في الاعتقاد في عدد الأسفار والرسائل وفي صحة التوراة نفسها(١).

وسأبين تاليا بالتفصيل ما يتعلق بالكتاب المقدس وملحقاته.

كما قلنا فإن الكتاب المقدس يقسم إلى قسمين، وهما اللذان أكسباه هذه التسمية؛ فقبل أن يضما إلى بعضهما لم يكن يعرف كتاب منها بهذه التسمية.

العهد القديم: هو أحد جزئي الكتاب المقدس.

العهد العتيق (القديم): ويضم التوراة وملحقاتها: أي جميع الأسفار المنسوبة للأنبياء الذين قبل عيسى عليه السلام، وأوله سفر التكوين، واختلف في عدد أسفار العهد القديم، وقد استخدمت كلمة العهد في التوراة بمعنى الوعد الصادق من الله للإنسان(٢).

ويتألف العهد القديم من تسعة وثلاثين سفرا، وكل من الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية تضيف إلى العهد القديم أسفارا أخرى تمت تسميتها بالأبوكريفا(٣).

---

(١)انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف ومراجعة د.مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص٥٧٥و٥٧٦.

(٢)رحمت الله الهندي، ١٣٠٨هـ، إظهار الحق، دراسة وتحقيق وتعليق: د.محمد ملكاوي،ج١، ص٩٨، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية،ط١،١٤١٠هـ–١٩٨٩م.

(٣)انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعهد القديم مقدس عند اليهود والنصارى والغريب في الأمر أنه عبارة عن سجل فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء...إلخ، ورغم ذلك فهو كتاب عبادة عندهم(١).

ومصطلح العهد القديم يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس، ويضم أسفار موسى الخمسة وملحقاتها(٢).

وهناك جماعة من اليهود تسمى بالسامريين، وهي جماعة لا تسلم إلا بأسفار موسى الخمسة، ويؤمنون بسفري يوشع والقضاة كسفرين تاريخيين، وينكرون الباقي(٣).

وينقسم العهد القديم إلى قسمين:

القسم الأول: اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين وهو بزعمهم ثمانية وثلاثون كتابا، وأول خمسة أسفار من هذا القسم تسمى (التوراة) وهو لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة، وهذا اللفظ يطلق على مجموع كتب العهد القديم مجازا.

و**التوراة** كلمة مستعربة أصلها العبري تورا: بمعنى القانون والتعليم والشريعة، وهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام.

وأما الآن فهو خمسة أسفار كتبها الأحبار بعد موت موسى عليه السلام وأسماؤها كما يلي:

سفر التكوين (الخليقة) وسفر الخروج وسفر الأحبار (اللاويين) وسفر العدد وسفر التثنية، وقد تسمى في كتب العهدين باسم الناموس.

---

(١)انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج١، ص٥٠٠.

(٢) عبد الوهاب المسيري٢٠٠٨م، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مجلد٢، ص٢٧، ط٤، دار الشروق – القاهرة، (بتصرف).

(٣)انظر: إظهار الحق، ج١، ص٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتطلق التوراة مجازا على العهد القديم المشتمل على أسفار موسى الخمسة السابقة وعلى كتب الأنبياء التي ألحقت بالتوراة خلال تسعة قرون(١).

أما **القسم الثاني** من العهد القديم فتسعة كتب تبدأ بكتاب إستير.

القسم الثاني من العهد القديم (أسفار الأنبياء)وهي نوعان من الأسفار: الأنبياء المتقدمون و المتأخرون.

وهناك الكتابات وهي:١. الكتابات العظيمة ٢. المجلات الخمس ٣. الكتب.

العهد الجديد: وهو القسم الثاني من الكتاب المقدس.

القسم الثاني يسمى بالعهد الجديد، ويدعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام.

ويضم الأناجيل وملحقاتها، أي جميع الأسفار والرسائل المكتوبة بعد عيسى عليه السلام، وأولها إنجيل متى وآخرها رؤيا يوحنا ، وفي قبولها اختلافات كبيرة بين الكنائس، وهذه التسمية اجتهادية أخذها النصارى من قول سفر أرميا: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديدا. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر[إرميا٣١: ٣١-٣٢](٢).

وكما انقسم العهد القديم إلى عدة أقسام فقد انقسم العهد الجديد إلى عدة أقسام أيضا.

فالقسم الأول من العهد الجديد يتكون من عشرين كتاباً، وكما هو الحال في العهد القديم بالنسبة لتسمية التوراة بالنسبة للكتب الخمسة الأولى فإن الكتب الأربعة الأولى في العهد الجديد يطلق عليها اسم الأناجيل حقيقة بينما يطلق على مجموع العهد الجديد اسم الإنجيل مجازا وهذا اللفظ معرب كان في الأصل اليوناني (إنكليون) بمعنى البشارة والتعليم.

القسم الثاني من العهد الجديد يتكون من سبعة كتب ومن بعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا.

---

(١)انظر: إظهار الحق، ج١، ص٩٨و٩٩.

(٢)إظهار الحق، ج١، ص٩٨(بتصرف).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعرف – أيضا – بأنه: مصطلح يستخدم للإشارة إلى الأسفار التي تتضمنها الأناجيل الأربعة وإلى أعمال الرسل ورسائلهم(١).

أما **الإنجيل:** فهو كلام الله الموحى إلى المسيح بن مريم بواسطة جبريل عليهما السلام(روح القدس)(٢).

وفيما يلي بيان تقسيمات الكتاب المقدس في العهدين القديم والجديد:

الأسفار الآتية الذكر هي أول قسم من العهد القديم وهي معترف بها لدى اليهود، وكذلك لدى البروتستانت(٣).

القسم الأول:

١- سفر التكوين ويسمى سفر الخليقة أيضا.
٢- سفر الخروج.
٣- سفر الأحبار(اللاويين). **(التوراة)**
٤- سفر العدد. **الأسفار التي يؤمن بها السامريون**
٥- سفر التثنية.
٦- كتاب يوشع بن نون.
٧- كتاب القضاة.
٨- سفر صموئيل الأول.
٩- سفر صموئيل الثاني. **أسفار الأنبياء المتقدمين**
١٠- سفر الملوك الأول.
١١- سفر الملوك الثاني.

– ----------

(١)موسوعة اليهود واليهودية، مجلد٢،ص٢٧.

(٢)إنجيل برنابا، دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، تحقيق سيف الله أحمد فاضل، دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ص٧.

(٣)قمت بترتيب الأسفار والكتب بما توافق مع تقسيمات وتسميات الطوائف التي تؤمن بما في الكتاب المقدس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢- السفر الأول من أخبار الأيام.
١٣- السفر الثاني من أخبار الأيام.
١٤- السفر الأول لعزرا.
١٥- السفر الثاني لعزرا ويسمى سِفر نحميا.
١٦- كتاب دانيال.
١٧- زبور- مزامير.
١٨- أمثال سليمان.
١٩- كتاب أيوب.
٢٠- مراثي أرميا.
٢١- كتاب نشيد الإنشاد.
٢٢- كتاب راعوث.
٢٣- كتاب أشعيا.
٢٤- كتاب أرميا.
٢٥- كتاب حزقيال.
٢٦- كتاب الجامعة.
٢٧- كتاب هوشع.
٢٨- كتاب يوئيل.
٢٩- كتاب عاموس.
٣٠- كتاب عوبديا.

تسمى الكتابات العظيمة

المجلات الخمس إضافة إلى سفر أستير

تسمى أسفار الأنبياء المتأخرين

٣١- كتاب يونان.
٣٢- كتاب ميخا.
٣٣- كتاب ناحوم.
٣٤- كتاب حبقوق.
٣٥- كتاب صفونيا.
٣٦- كتاب حجّي.
٣٧- كتاب زكريا.
٣٨- كتاب ملاخي.
٣٩- كتاب أستير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأضافت الكنيسة الكاثوليكية سبعة أخرى وهي:

١- طوبيا.

٢- يهوديت.

٣- الحكمة.

٤- يسوع بن سيراخ.

٥- باروخ.

٦- المكابيين١.

٧- والمكابين٢.

كما جعلت أسفار الملوك أربعة أولها وثانيها بدلا من سفري صموئيل ١و٢.

القسم الثاني

١- أستير.

٢- باروخ.

٣- جزء من كتاب دانيال.

٤- طوبيا.

٥- يهوديت.

٦- وزدم.

٧- إيكليزيا ستيكس.

٨- المكابيين١.

٩- المكابيين٢.

كما تجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها بدلاً من سفر صموئيل الأول والثاني(١).

العهد الجديد ويقسم أيضا إلى قسمين:

القسم الأول

١- إنجيل متى.

٢- إنجيل مرقس.

٣- إنجيل لوقا.

٤- إنجيل يوحنا

٥- كتب أعمال الحواريين.

٦- رسالة بولس إلى أهل الرومية.

٧- رسالته إلى أهل كورنثوس.

- ----------

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان، ج١، ص٥٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨- رسالته الثانية إليهم.
٩- رسالته إلى أهل غلاطية.
١٠- رسالته إلى أهل أفسس.
١١- رسالته إلى أهل فيلبي.
١٢- رسالته إلى أهل كولوسي.
١٣- رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي.
١٤- رسالته الثانية إليهم.
١٥- رسالته الأولى إلى تيموثاوس.
١٦- رسالته الثانية إليه.
١٧ رسالته إلى تيطس.
١٨- رسالته إلى فليمون.
١٩- الرسالة الأولى لبطرس.
٢٠- الرسالة الأولى ليوحنا سوى بعض الفقرات.

القسم الثاني:

١- رسالة بولس إلى العبرانيين.
٢- الرسالة الثانية لبطرس.
٣- الرسالة الثانية ليوحنا.
٤- الرسالة الثالثة ليوحنا.
٥- رسالة يعقوب.
٦- رسالة يهودا.
٧- مشاهدات يوحنا.

بناء على ما سبق أرى بأن تعريف الكتاب المقدس -بحسب ما ادعاه مؤلفو قاموس الكتاب المقدس- مخالف لحقيقة أنه [هو نفس] التوراة والإنجيل، وذلك من عدة وجوه.

أولا: الاختلاف في الاتفاق على الإيمان بأسفار العهد القديم بالكلية؛ فالسامرية من اليهود تخالف جمهور اليهود في الإيمان بجميع أسفار العهد القديم، والبروتستانت من النصارى يخالفون الكاثوليك أيضا في الاتفاق على العهد القديم بالكلية، وهذا يستدعي قدسية بعض الكتاب وعدم قدسية البعض الآخر.

ثانيا: الإضافة والحذف في الكتاب المقدس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فجمهور اليهود ومعهم البروتستانت يرون أن العهد القديم يشتمل تسعة وثلاثين سفرا ولا يؤمنون بأية زيادة، ويعتبرون نسخة الكاثوليك (اليونانية والسبعينية) محرفة بزيادة هذه الأسفار، بينما تؤمن الكاثوليك بالأسفار التسعة والثلاثين ولكنها تضيف معها سبعة أسفار لتصبح ستة وأربعين، ويعتبرون نسخة البروتستانت (النسخة العبرانية) محرفة بالنقصان.

أما السامرية(١) من اليهود فترفض هذه الأسفار بهذا العدد وتأخذ بسبعة أسفار فقط، فضلا عما تراه من أن سفر يشوع بن نون وسفر القضاة من الأسفار السبعة هي أسفار تحمل سردا تاريخيا ولا قدسية لها.

ثالثا: اليهود والنصارى يتضاربون في إيمانهم بالكتاب المقدس.

فلا يؤمن اليهود بالعهد الجديد لأنهم لا يؤمنون بالمسيح أصلا.

وعلى النقيض من ذلك يرى النصارى أن ما جاء في العهد الجديد يلغي العهد القديم(٢).

ومن الأسباب التي جعلت هذه الاختلافات موجودة هو أنه بعد تخريب الهيكل أيام بختنصر فقدت أسفار موسى، ثم كتبت مرة ثانية أيام ارتحشتا ملك فارس لكنها جاءت محرفة عن أصلها(٣).

وفيما يلي التعريف الإجرائي للاختيار في الكتاب المقدس:

---

(١) انظر: الرازي ت٦٠٦هـ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت، ص٨٣.

(٢)راجع: ص٧.

(٣)انظر: الحليمي الجرجاني ت٤٠٣ هـ، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج١، ص٣٢٣، وانظر: الموسوعة الميسرة، ج١، ص٥٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاختيار في الكتاب المقدس:

هو اصطفاءُ الله تعالى الأشخاص والأمم والأماكن لتبليغ دين الله، ونشر دعوته وإقامة شعائره.

المطلب الثالث: أسماء الكتاب المقدس.

لم يرد للكتاب المقدس ذكر بهذه التسمية في كتب العهدين ولا دليل على أن هذه التسمية قديمة.

وهنالك أكثر من تسمية للكتاب المقدس، مثل الكتب، وكلمة الله، والكتاب المقدس، والكتاب الشريف، وكتاب الحياة.

وكل هذه التسميات تعارف عليها أهل الكتاب دون دليل يعتد به .

وقد دلت هذه التسميات – كما ذكرنا سابقا – على الكتاب الذي جمع ما بين العهد القديم والعهد الجديد أو ما بين التوراة والإنجيل وملحقاتهما.

مقابل ذلك فقد ورد اسم القرآن الكريم؛ إضافة إلى أسماء و– صفات أخرى – في القرآن والسنة.

وقد سمي القرآن الكريم بتسميات محددة وهي: الفرقان، التنزيل، القرآن الكريم، الكتاب، الذكر.

والقرآن الكريم لم يسمَّ باسم إلا وكان مذكورا في القرآن الكريم نفسه، فهذه الأسماء الخمسة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرها –أيضا– ورد في السنة، مما جعلني أصفها بأنها محددة(١).

وعلى خلاف لا يتسع للبحث الخوض فيه ، فهناك من اعتبر تسميات القرآن الكريم توقيفية(٢).

– ----------

(١)انظر: ،الزرقاني، مناهل العرفان، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج١، ط٢، ص١٦– ٢٢.

(٢)يقصد بالتوقيفية أنه ليس لأحد أن يقوم بالزيادة أو النقصان أوالتبديل في التسميات؛ لأنها ثابتة بنص القرآن الكريم ولا تجوز مخالفتها إلى غيرها، انظر: مناهل العرفان، ص٢٦٥، ومباحث في علوم القرآن،مناع القطان، مؤسسة الرسالة، ط١٤١٨،٣٥هـ،١٩٩٨م، ص٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن تحديد التسميات وتوقيفها، وذِكرها في الكتاب المقدس نفسه لم توجد.

بل ليس هناك ذكر لمصطلح الكتاب المقدس فيه، ولم تذكر إلا تسميتان فقط، كما يأتي:

١ – **(الكتب)** وذكرت في إنجيل يوحنا:"فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيه حياة أبدية...."[يوحنا٣٩:٥].

٢ – **(كلمة الله)** والتي ذكرت في رسالة بولس إلى أهل :"ولكن ليس هكذا حتى أن كلمة الله قد سقطت. لأن ليس جميع الذين من إسرائيل إسرائيليون"[رومية٦:٩].

ونلاحظ أن كلتا التسميتين ذكرتا في العهد الجديد ولكنهما لم تذكرا في العهد القديم ولم يبشر بهما، وهما اللتان ذكرتا في الكتاب المقدس فقط ولم يذكر غيرهما، حتى مصطلح الكتاب المقدس لم يذكر فيه.

أما القرآن الكريم فقد ذكرت فيه أسماؤه وصفاته وسأذكر هنا الأسماء فقط دون الصفات مقابلة لأسماء الكتاب المقدس، وكما يأتي:

١–الذكر، قال تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ الحجر: ٩.

٢–القرآن الكريم، قال تعالى:﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ الواقعة: ٧٧.

٣–الكتاب، قال تعالى:﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ الأنبياء: ١٠.

٤ – الفرقان، قال تعالى:﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾الفرقان:١.

٥– التنزيل، قال تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢﴾الشعراء:١٩٢.

ولم يذكر القرآن الكريم الكتاب المقدس بشقيه التوراة والإنجيل معا؛ ولكنه ذكرهما منفصلين، ولم تذكر تسميتهما بالعهد القديم والعهد الجديد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يبين أن ضم التوراة والإنجيل مع بعضهما أمر مستحدث جاء به شاول بولس تلميحا(١).

قال تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾المائدة:٦٨.

أما ما جاء من ذكر الأسفار في قوله تعالى:﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾الجمعة:٥.

فليس المقصود هنا أسفار الكتاب المقدس أو تسميةً للكتاب الذي ضم العهدين بالأسفار؛ لأن (أسفار) هنا قد جاءت نكرة غير معرفة، و(أسفار) هي علم على كل كتاب لا على الكتاب المقدس وحده.

أما (القرآن الكريم) فهو علم على كلام الله القديم المنقول بالتواتر، فنستطيع نعت القرآن الكريم بالكتاب المقدس على وجه المجاز والحقيقة، ولا نستطيع أن ننعت الكتاب المقدس بالقرآن على أي وجه.

وقد قمت بالبحث في عدة مراجع لمعرفة أسباب هذه التسميات كالكتاب الشريف وكتاب الحياة والتي لم تذكر في الكتاب المقدس، أو معرفة من أطلقها فلم أعثر على شيء.

أما التوراة المنزلة على موسى عليه السلام والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام فقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم بلفظهما، وبأسماء أخرى، –فمثلا– نفس الألفاظ التي أطلقت على القرآن الكريم في لقرآن الكريم ورد إطلاق بعضها على التوراة في القرآن الكريم، فورد فيه ذكر التوراة: الفرقان، ضياء، نور، هدى، رحمة، ذكر، كتاب.

---

(١)انظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، د.ط، دار سحنون للنشر–تونس، مجلد٢، ج٣، ص١٤٨–١٤٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

ألفاظ ومصطلحات الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الكتاب المقدس

قمت في هذا المبحث بتعريف الألفاظ والمصطلحات المرادفة للاختيار والمشتركة ما بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم، تعريفا لغويا، وتعريفا اصطلاحيا –إن وُجد– في قاموس الكتاب المقدس.

وقد انفرد كل من القرآن الكريم والسنة النبوية بمصطلحات دلت على الاختيار، ولم ترد في أسفار الكتاب المقدس، فقمت في هذا المبحث –أيضا– بإيرادها وببيان معناها لغة واصطلاحا.

وبينت في هذا المبحث –أيضا– المصطلحات والألفاظ التي انفرد فيها الكتاب المقدس عن القرآن الكريم والسنة النبوية، فقمت بإيرادها وببيانها، وذلك من حيث التعريف اللغوي، والتعريف الاصطلاحي.

وقد قمت بالتدليل على الألفاظ السابقة من خلال ذكر بعض النصوص التي أوردها القرآن الكريم أو السنة النبوية، والنصوص التي أوردها الكتاب المقدس فيما تعلق به من مصطلحات.

وبعد استقراء هذه الألفاظ والمصطلحات جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: الألفاظ والمصطلحات المرادفة للاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الكتاب المقدس.

المطلب الثاني: المصطلحات التي انفرد بها القرآن الكريم والسنة النبوية عن الكتاب المقدس.

المطلب الثالث: الألفاظ والمصطلحات التي انفرد بها الكتاب المقدس عن القرآن الكريم والسنة النبوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الألفاظ والمصطلحات المرادفة للاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الكتاب المقدس.

اشترك الكتاب المقدس مع القرآن الكريم والسنة النبوية في خمسة ألفاظ مرادفة للاختيار وكما يلي:

أولا: الإرسال:

لغة:الإرْسَال: التَّوْجِيهُ، وَقَدْ أَرْسَلَ إليه، وَالِاسْمُ الرِّسَالَة والرِّسَالَة والرَّسُول والرَّسِيل.

وَقَالَ أَبو بَكْرِ بْنُ الأَنباري في قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ: أَشهد أَن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَعلم وأُبَيِّن أَن مُحَمَّدًا مُتابِعٌ للإِخبار عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. والرَّسُول: مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الَّذِي يُتابِع أَخبار الَّذِي بعثه(١).

اصطلاحا: الرسول: إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام(٢).

إذن فالإرسال من ألفاظ الاختيار التي دلت على بعث الله تعالى شخصا إلى أمة معينة أو إلى كافة الأمم بتشريع سماوي يبلغهم ما فيه.

قال تعالى:﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾البقرة:١٥١.

ثم قال له إيليا: "امكث هنا لأن الرب أرسلني إلى الأردن"، ولما عبرا قال إيليا لأليشع :"اطلب ماذا أفعل لك قبل أن أوخذ منك". فقال أليشع :"ليكن نصيب اثنين من روحك علي"[الملوك الثاني٢: ٦و٩].

ثانيا: الاتخاذ:

لغة: أخذ: الأَخْذ: خِلَافُ الْعَطَاءِ، وَهُوَ أَيضاً التَّنَاوُلُ. أَخذت الشَّيْءَ آخُذُه أَخذاً: تَنَاوَلْتُهُ.... وائْتَخَذْنا فِي الْقِتَالِ، بِهَمْزَتَيْنِ: أَخَذَ بعضُنا بَعْضًا، والاتخاذ:افتعال أيضا من الأخذ، واتخذه:عمِله(٣).

---

(١)لسان العرب، مجلد١١،باب اللام، ص ٢٨٣ و٢٨٤.

(٢)الجرجاني علي ٨١٦هـ، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، باب الراء، ص١١٠.

(٣)لسان العرب، مجلد٣،باب الذال،ص ٤٧٣ و٤٧٤و ٤٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى:﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ النساء: ١٢٥.

من خطاب الرب لموسى:"وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها فتعلمون إني أنا الرب....."[الخروج٦:٧].

فالاتخاذ من ألفاظ الاختيار التي دلت على الاختصاص بعمل ومكانة ليستا لأي أحد، كأن يختار الله شخصا ويختصه بالنبوة، أو يختار مكانا ليكون فيه بيت لعبادته.

ثالثا: الإقامة:

لغة: قوم: القِيَامُ: نَقِيضُ الْجُلُوسِ، قَامَ يَقُومُ قَوْماً وقِياماً وقَوْمَة وقَامَةً.

وَمَعْنَى القِيام العَزْمُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ)[الجن:١٩]؛ أَيْ لَمَّا عَزَمَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ)[الكهف:٤]؛ أَيْ عزَموا فَقَالُوا، قَالَ: وَقَدْ يَجِيءُ الْقِيَامُ بِمَعْنَى الْمُحَافَظَةِ والإصلاح. وقَامَ الشيءُ واسْتَقَامَ: اعْتدَل وَاسْتَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا)[فصلت:٣٠]؛ مَعْنَى قَوْلِهِ اسْتَقَامُوا عَمِلُوا بِطَاعَتِهِ ولَزِموا سُنة نَبِيَّهُ ﷺ..... لم يشركوا به شيئا(١).

فالإقامة إذن من ألفاظ الاختيار التي تعني اختيار الرب من يرفض الفساد والضلال ويجهر بالحق رغم المشقة ويقود أمته، ويصلح حالها، وينشر تعاليم الرب، ويعمل بها.

قال تعالى:﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ الجن: ١٩.

"وقد أقمت أيضا أنبياء لينادوا بك في أورشليم"[نحميا٧:٧].

رابعا: الجعل:

لغة:جَعَلَ الشيءَ يَجْعَله جَعْلًا ومَجْعَلًا واجْتَعَلَه: وَضَعه.

وجَعَلَه يَجْعَلُه جَعْلًا: صَنَعه، وجَعَلَه صَيَّرَه.

وجَعَل:عَمِلَ وهَيَّأَ. وجَعَلَ:خَلَق....؛ قَوْلُهُ:(وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)[مريم:٣٠].قَالَ الزَّجَّاجُ: الجَعْل هاهنا. بمعنى الْقَوْلِ وَالْحُكْمِ عَلَى الشَّيْءِ كَمَا تَقُولُ قَدْ جَعَلْتُ زَيْدًا أَعلم النَّاسِ.

---

(١)لسان العرب، مجلد١٢، باب الميم، ص٤٩٦–٤٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَي قَدْ وَصَفْتُهُ بِذَلِكَ وَحَكَمْتُ به(١).

قال تعالى:﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ البقرة: ١٢٤.

"وخاطب الرب إبراهيم قائلا له:"فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك"[التكوين١٢:٢].

فالجعل هو أن ينقل الله من اختاره من حالة إلى أخرى والنسبة إليها بعد التهيؤ لذلك بأسباب معينة، كأن يكون هناك إنسان عادي ثم يجعله الله تعالى نبيا.

خامسا: النبوة:

لغة: نبأ: النَّبَأُ: الْخَبَرُ، وَالْجَمْعُ أَنْبَاءٌ، وإنَّ لِفُلَانٍ نَبَأً أَي خَبَرًا.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: يُجْمع أَنْبِيَاء، قَالَ الفرَّاءُ: النبيُّ: هُوَ مَنْ أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ.... قال: وإن أُخِذَ مِنَ النَّبْوةِ والنَّباوةِ، وَهِيَ الِارْتِفَاعُ عَنِ الأَرض، أَي إنه أَشْرَف عَلَى سَائِرِ الخَلْق(٢).

اصطلاحا: من أوحي إليه بمُلك، أو أُلهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة، فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة؛ لأن الرسول هو من أوحى إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله(٣).

فالنبوة من ألفاظ الاختيار الدالة على اختيار الله تعالى من يخبر عنه ويكمل ما جاء به الرسول.

قال تعالى:﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾البقرة:١٣٦.

قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾المائدة: ٢٠.

---

(١)لسان العرب، مجلد١١، باب اللام، ص١١٠-١١٢.

(٢)لسان العرب، مجلد١، باب الألف، ص١٦٣-١٦٥.

(٣)التعريفات، باب النون، ص٢٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فالآن رد امرأة الرجل، فإنه نبي، فيصلي لأجلك فتحيا"[التكوين٢٠: ٧].

"يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي"[التثنية١٨: ١٥و١٨و٢٠].

أرى أن الألفاظ والمصطلحات في المطلب دلت على الاختيار صراحة، فسياق الآيات القرآنية بينت ذلك، كما أن دلالاتها اللغوية بينت ذلك صراحة، إضافة إلى أنها اشتركت مع ما ورد من نصوص الكتاب المقدس في نفس المعنى المطلوب.

المطلب الثاني: المصطلحات التي انفرد بها القرآن الكريم والسنة النبوية عن الكتاب المقدس.

وقد جاءت في القرآن الكريم والسنة عشرة كلمات دلت على الاختيار لغة واصطلاحا وكما يلي:

أولا: الاجتباء:

لغة: جبي: جَبَى الخراجَ وَالْمَاءَ والحوضَ يَجْبَاهُ ويَجْبِيه: جَمَعَه....جَبَيْت أَي جَمَعْتُ وحَصَّلت.
واجْتَبَاه أَي اصْطفاه....اجْتَبَاه لِنَفْسِهِ، أَي اخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ. ابْنُ سِيدَهْ: واجْتَبَى الشيءَ اخْتَارَهُ.
وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِذا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها)[الأعراف:٢٠٣].
قَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ هَلَّا اجْتَبَيْتَها هَلَّا اخْتَلَقْتَها وافْتَعَلْتها مِنْ قِبَل نفسك، وَهُوَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ جَائِزٌ أَن يَقُولَ لَقَدِ اخْتَارَ لَكَ الشيءَ واجْتَبَاه وارْتَجَله.
وَقَوْلُهُ:(وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ)[يوسف:٦]، قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ وَكَذَلِكَ يَخْتَارُكَ وَيَصْطَفِيكَ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ جَبَيْت الشيءَ إِذَا خَلَّصْتَهُ لِنَفْسِكَ(١).
فالاجتباء من ألفاظ الاختيار التي دلت على اختيار الله تعالى من يشاء واصطفائه له بعد أن اجتمعت فيه الصفات المهيأة لذلك والتي فاق بها غيره.

---

(١)لسان العرب، مجلد١٤، باب الياء المعتلة، ص١٢٨-١٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾يوسف:٦.

ثانيا: الإيتاء:

لغة:أتى: الإِتْيان: المَجيء. أَتَيْته أَتْياً وأُتِيّاً وإِتِيّاً....: جِئْته.... وآتَى إِليه الشيءَ: ساقَه. والإِيتاءُ: الإِعْطاء. آتَى يُؤَاتِي إِيتَاءً وآتاهُ إِيتاءً أَي أَعطاه....وآتاه الشَّيْءَ أَي أَعطاه إِيَّاه. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)[النمل:٢٣].

وأَتَّاه اللَّهُ: هَيَّأه. وَيُقَالُ: تَأَتَّى لفُلان أَمرُه، وَقَدْ أَتَّاه اللَّهُ تَأْتِيَةً(١).

فالإيتاء من الألفاظ التي دلت على إعطاء الله واختصاصه شخصا أو أمة بأسباب تمكن من إقامة دين الله تعالى في الأرض بعد التهيؤ لذلك.

قال تعالى:﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ﴾البقرة:٢٥٣.

ثالثا: الإيثار:

لغة:أثر: الأَثر: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ آثَارٌ وأُثور. وَخَرَجْتُ فِي إِثْره وَفِي أَثَره أَي بَعْدَهُ.

والمأْثَرَة والمأْثُرة، بِفَتْحِ الثَّاءِ وَضَمِّهَا: الْمَكْرَمَةُ لأَنها تُؤْثر أَي تُذْكرُ.

وآثَرَه: أَكرمه. وَرَجُلٌ أَثِير: مَكِينٌ مُكْرَم، وَالْجَمْعُ أُثَرَاءُ والأُنثى أَثِيرَة. وآثَرَه عَلَيْهِ: فَضَّلَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: (لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا)[يوسف:٩١].

وأَثِرَ أَن يَفْعَلَ كَذَا أَثَراً وأَثَر وآثَرَ، كُلُّهُ: فَضّل وقَدّم.

الأَصمعي: آثَرْتُك إِيثاراً أَي فَضَّلْتُك. وَفُلَانٌ أَثِيرٌ عِنْدَ فُلَانٍ وذُو أُثْرَة إِذا كَانَ خَاصًّا(٢).

اصطلاحا:الإيثار: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة(٣).

---

(١)لسان العرب، المجلد١٤، باب الياء، ص١٣و١٥و١٧.

(٢)لسان لعرب، مجلد٤، باب الراء، ص٥-٩(بتصرف).

(٣)التعريفات، باب الألف، ص٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالإيثار من ألفاظ الاختيار التي تدل على تفضيل الله تعالى شخصا على أقرانه بمزيد من الصفات، وجعله المختار من بينهم.

قال تعالى:﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾يوسف:٩١.

رابعا: الإخلاص:

لغة: خلص: خَلَص الشَّيْءُ، بِالْفَتْحِ، يَخْلُص خُلُوصاً وخَلاصاً إِذا كَانَ قَدْ نَشِبَ ثُمَّ نَجا وسَلِم.وأَخْلَصَ الشيءَ: اخْتَارَهُ، وَقُرِئَ: إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلِصين، والْمُخْلَصِينَ؛ قَالَ ثَعْلَبٌ: ....المُخْلَصِين الَّذِينَ أَخْلَصهم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. الزَّجَّاجُ:... والمُخْلَص: الَّذِي أَخْلَصه اللهُ جَعَلَهُ مُختاراً خَالِصًا مِنَ الدَّنَسِ، والمُخْلِص: الَّذِي وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى خَالِصًا وَلِذَلِكَ قِيلَ لِسُورَةِ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، سُورَةُ الإِخلاص. فالمُخْلَصُون المُخْتارون، والمُخْلِصون المُوَحِّدُون(١).

وَهَذَا الشَّيْءُ (خَالِصَةٌ) لَكَ أَيْ خَاصَّةٌ. و(اسْتَخْلَصَهُ) لِنَفْسِهِ اسْتَخَصَّهُ(٢).

اصطلاحا: أن لا تطلب لعملك شاهدًا غير الله....وقيل: الإخلاص: ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوًى فيميله(٣).

وأرى أن الإخلاص من ألفاظ الاختيار التي تعني الاختيار والاختصاص من الله لمن يوحده ويعبده من البشر واختيار الله للأماكن بعد أن يطهر الجميع من الدنس.

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ يوسف: ٢٤.

---

(١) لسان العرب، مجلد٧، باب الصاد، ص٢٦(بتصرف).

(٢)الرازي أبو بكر ت ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، باب الخاء، ص٨٤.

(٣) التعريفات، باب الألف، ص١٣و١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسا: الاصطفاء:

لغة: صَفَا:الصَّفْوُ والصَّفَاءُ:نَقِيضُ الكَدَرِ، صفَا الشيءُ والشَّرابُ يَصْفُو...وصَفْوَةُ كُلِّ شيءٍ: خالِصُهُ. وَفِي حَدِيثِ عَوفِ بْنِ مَالِكٍ: ((لَهُمْ صِفْوَةُ أَمْرِهِمْ))(١).

الصِّفْوةُ، بالكَسْرِ: خِيارُ الشَّيْءِ وخُلاصَتُه وَمَا صَفَا مِنْهُ،والصَّفَاءُ: مَصْدَرُ الشيءِ الصَّافِي.

واسْتَصْفَى الشيءَ واصْطَفاه: اختارَهُ. والاصْطِفَاءُ: الاخْتِيارُ، افْتِعالٌ مِنَ الصَّفْوَةِ. وَمِنْهُ: النبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَفْوَةُ اللَّهِ منْ خَلْقِه ومُصْطَفاهُ، والأَنْبِياءُ المُصْطَفَوْنَ، وهم من المُصطَفَين إِذَا اخْتِيرُوا، وهُمُ المُصْطَفُون إِذَا اخْتَارُوا، وَهَذَا بِضَمِّ الْفَاءِ.

والصَّفِيُّ: الخالِصُ مِنْ كلِّ شيءٍ. واصْطَفَاه: أَخذَه صَفِيًّا(٢).

(ص ف ا – (صَفْوة) الشيء خالصه يقال: محمد ﷺ صفوة الله من خلقه و(مصطفاه))(٣).

اصطلاحا: هو الاجتباء الخالص(٤).

فالاصطفاء من الألفاظ التي دلت على اختيار الله تعالى أفضل الخلق وأخلصهم على الإطلاق لتبليغ دينه.

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ آل عمران: ٣٣.

سادسا: الاصطناع:

لغة:صنع: صَنَعَه يَصْنَعُه صُنْعاً، فَهُوَ مَصْنوعٌ وصُنْعٌ: عَمِلَه.

واصْطَنَعَه: اتَّخَذه. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[طه:٤١]، تأْويله اخْتَرْتُكَ لإِقامة حُجَّتي.

---

(١)رواه مسلم، باب في الإمام يمنع القاتل السلب إن رأى والفرس والسلاح من السلب، حديث٢٧١٩.

(٢)لسان العرب، مجلد١٤، باب الواو والياء من المعتل، ص٤٦٢ – ٤٦٤.

(٣)مختار الصحاح، باب ص، ص١٧٧.

(٤)التهانوي بعد١١٥٨هـ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص د. عبد الله الخالدي، ترجمه للأجنبية د. جورج زيناني، ط١، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص٢١٢(بتصرف).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَجَعَلْتُكَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَلْقِي حَتَّى صِرْتَ فِي الْخِطَابِ عَنِّي وَالتَّبْلِيغِ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَكون أَنا بِهَا لَوْ خَاطَبْتُهُمْ وَاحْتَجَجْتُ عَلَيْهِمْ.

والاصطِناع: افتِعالٌ مِنَ الصنِيعة وَهِيَ العَطِيّةُ وَالْكَرَامَةُ والإحسان.

واصطنعت عند فلان صنيعة، وفلان صنيعة فلان إذا اصطنعه وأدبه وخرجه ورباه(١).

فدل لفظ الاصطناع على اختيار الله رسولا أو نبيا دون غيره واختصاصه بمزيد من العناية والرعاية والتأديب، واختصاصه بمعجزات وبمكانة مختلفة عن غيره؛ ليبلغ دعوة الله ويحاجج بها الناس.

قال تعالى:﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾طه: ٣٩،وقال تعالى:﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝٤١﴾طه: ٤١.

سابعا: البعث:

لغة: بعث: بَعَثَهُ يَبْعَثُه بَعْثاً: أَرْسَلَهُ وَحْدَه، وبَعَثَ بِهِ: أَرسله مَعَ غَيْرِه. وابْتَعَثَه أَيضاً أَي أَرسله فانْبعَثَ والبَعْثُ: الرسولُ، وَالْجَمْعُ بُعْثانٌ.

والبَعْثُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحدهما الإِرْسال، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى)[يونس:٧٥]، مَعْنَاهُ أَرسلنا. والبَعْثُ: إِثارةُ بارِكٍ أَو قاعِدٍ، تَقُولُ: بَعَثْتُ الْبَعِير.... أَي أَثَرْتُه فَثار(٢).

(بَعَثَهُ) و (ابْتَعَثَهُ) بِمَعْنَى أَيْ أَرْسَلَهُ (فَانْبَعَثَ) و (بَعَثَهُ) مِنْ مَنَامِهِ أَهَبَّهُ وَأَيْقَظَهُ(٣).

فالبعث من الألفاظ التي دلت على الاختيار والإرسال وتعني إرسال الله من يبلغ شريعته وينشرها.

قال تعالى:﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾البقرة: ١٢٩.

---

(١)لسان العرب، مجلد ٨، باب العين، ص٢٠٨ و٢٠٩ و٢١٠ و٢١٢.

(٢)لسان العرب، مجلد ٢، باب الثاء، ص ١١٦ و ١١٧.

(٣)مختار الصحاح، باب الباء، ص ٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثامنا: التفضيل:

لغة: فضل: الفَضْل والفَضِيلة مَعْرُوفٌ: ضدُّ النَّقْص والنَّقِيصة.

وَرَجُلٌ فَضَّال ومُفَضَّل: كَثِيرُ الفَضْل. والفَضِيلة: الدَّرَجة الرَّفِيعَةُ فِي الفَضْل.

والتَّفاضُل: التَّمازِي فِي الفَضْل.... والتَّفاضُل بَيْنَ الْقَوْمِ: أَن يَكُونَ بَعْضُهُمْ أَفضَل مِنْ بَعْضٍ.

وفاضَلَني ففَضَلْته أَفْضُلُه فَضْلًا: غَلَبَتْهُ بالفَضْل، وَكُنْتُ أَفضَل مِنْهُ. وتَفَضَّل عَلَيْهِ: تَمَزَّى.

وفضلته على غيره تفضيلا إذا حكمت له بذلك أو صيرته كذلك(١).

فالتفضيل إذن دل على اختيار الله تعالى شخصا أو أمة لما لهم من فضل فاقوا به غيرهم.

قال تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾الآية البقرة:٢٥٣.

تاسعا: التمكين:

لغة: مكن.... المَكِنةُ التَّمَكُّنُ.قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَيُقَالُ النَّاسُ عَلَى مَكِناتِهم أَي عَلَى اسْتِقَامَتِهِمْ.

ابْنُ سِيدَهْ: والمَكانةُ المَنْزلة عِنْدَ الْمَلِكِ. وَالْجَمْعُ مَكاناتٌ، وَقَدْ مَكُنَ مَكانَةً فَهُوَ مَكِينٌ، وَالْجَمْعُ مُكَناء.

الْجَوْهَرِيُّ: مَكَّنَه اللهُ مِنَ الشيءِ وأَمْكَنَه مِنْهُ بِمَعْنًى(٢).

اصطلاحا:التمكين: هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكين؛ لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين(٣).

فالتمكين من ألفاظ الاختيار التي دلت على اصطفاء الله تعالى أشخاصا وإعطائهم أسباب القوة والمنعة والهداية.

قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾الآيتان يوسف:٢١-٢٢.

---

(١)لسان العرب، مجلد ١١، باب اللام، ص ٥٢٤ و ٥٢٥.

(٢)لسان العرب، مجلد ١٣، باب النون، ص٤١٢- ٤١٥.

(٣)التعريفات، ص٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عاشرا: المن:

لغة:منن: مَنَّهُ يَمُنُّه مَنّاً: قَطَعَهُ. والمَنِينُ: الْحَبْلُ الضَّعِيفُ. وحَبل مَنينٌ: مَقْطُوعٌ.

والمُنّة: الْقُوَّةُ. وَرَجُلٌ مَنِينٌ أَي ضَعِيفٌ، كأَنَّ الدَّهْرَ مَنَّه أَي ذَهَبَ بمُنَّته أَي بِقُوَّتِهِ.
والمَنينُ: الْقَوِيُّ. وَالمَنِينُ: الضَّعِيفُ؛ عَنِ ابْنِ الأَعرابي، مِنَ الأَضداد.
وَالثَّانِي مَنَّ فلانٌ عَلَى فُلَانٍ إِذا عَظَّمَ الإِحسان وفخَرَ بِهِ وأَبدأَ فِيهِ وأَعاد حَتَّى يُفْسده ويُبَغِّضه.... .
وَفِي أَسماء اللَّهِ تَعَالَى: الحَنّانُ المَنّانُ أَي الَّذِي يُنْعِمُ غيرَ فاخِرٍ بالإِنعام.
وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي شَرْحِ المَنَّانِ، قَالَ: مَعْنَاهُ المُعْطِي ابْتِدَاءً، وَلِلَّهِ المِنَّة عَلَى عِبَادِهِ(١).
أرى أن المن من ألفاظ الاختيار التي دلت على إنعام الله تعالى على أمة معينة بأن يختار منها شخصا يقوم بدين الله، ودلت على إعطاء الله تعالى من اختاره ما يمكنه من تبليغ دينه كالرسالة والنبوة.

قال تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾آل عمران: ١٦٤.

قال تعالى:﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ إبراهيم: ١١.

أرى أن ألفاظ الاختيار في المطلب قد دلت على الاختيار وإن لم تشترك في هذه الألفاظ مع ما كتب في الكتاب المقدس، فالمعنى اللغوي دل على أنها من ألفاظ الاختيار.

وسياق النصوص القرآنية دلت على ذلك، ولا يوجد ما يخالفها في المعنى، ولم يوجد ما يخلف المقصود من هذه الألفاظ في الكتاب المقدس بالرغم من انفراد القرآن الكريم بها عن غيرها.

---

(١)لسان العرب، مجلد١٣، باب النون، ص ٤١٥ – ٤١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: الألفاظ والمصطلحات التي انفرد بها الكتاب المقدس عن القرآن الكريم والسنة النبوية.

لم أعتمد في هذا المطلب على تعريف ألفاظ الاختيار من جهة اللغة بقدر ما اعتمدت فيه على التعريف من جهة الاصطلاح، وتحديدا اصطلاح أصحاب الكتاب المقدس، فاعتمدت على تعريفهم للألفاظ؛ والسبب في ذلك عدم اعتمادهم على اللغة من جهة استخدام الألفاظ، وبالرغم من اهتمامي بذكر تعريف ألفاظ الاختيار اصطلاح أصحاب الكتاب المقدس على ألفاظ الاختيار إلا إنني لم أجد تعريفات لجميع الألفاظ رغم أنها استخدمت عندهم للدلالة على الاختيار.

وقد جاء في الكتاب المقدس سبع كلمات دلت على الاختيار وكما يلي:

أولا: الاستبقاء:

لغة: بقي:.... البَقَاء: ضِدُّ الفَناء، بَقِيَ الشيءُ يَبْقَى بَقَاءً وبَقَى بَقْياً.... وأَبْقَاه وبَقَّاه وتَبَقَّاه واسْتَبْقَاه.

واسْتَبْقَيتُ مِنَ الشَّيْءِ أَي تَرَكْتُ بَعْضَهُ. واسْتَبْقَاه: اسْتَحْياه.

واسْتَبْقَى الرجلَ وأَبْقَى عَلَيْهِ: وَجَبَ عَلَيْهِ قَتْلٌ فَعَفَا عَنْهُ(١).

"فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض ونتقي الرب إلهنا، ليكون لنا خير كل الأيام، ويستبقينا كل هذا اليوم"[التثنية:٦: ٢٤].

مما سبق أرى المقصود بالاستبقاء هنا هو إبقاء الله بني إسرائيل أحياء لأنهم شعبه المختار.

وإن اختيارهم وإبقاءهم أحياء هو زعمهم أنهم قاموا بالفرائض التي أمرهم الله بها من دون الناس إضافة إلى التقوى، فربط الاستبقاء بالاختيار كلفظة دالة على الاختيار أو الاصطفاء.

---

(١)لسان العرب، مجلد١٤، باب الياء، ص٧٩-٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا قالوا استبقانا الرب لغرض معين دل ذلك على أنه اختارهم دون غيرهم لهذا الغرض.

ثانيا: الافتداء أو الفداء.

لغة: فدى: فَدَيْتُه فِدًى وفِدَاءً وافْتَدَيْتُه.

والمُفَادَاةُ: أَن تَدْفَعَ رَجُلًا وتأْخذ رَجُلًا. والفِدَاء: أَن تَشتريه، فَدَيْته بِمَالِي فِدَاءً وفَدَيْتُه بِنَفْسي. يَقُولُونَ:...فَدَيْتُه بِمَالِي كأَنه اشْتَرَيْتُهُ وخَلَّصتُه بِهِ إِذا لَمْ يَكُنْ أَسيراً(١).

أما اصطلاحا فيبين قاموس الكتاب المقدس أن الفداء قد أخذ معنيين، الأول بحسب العهد القديم والثاني بحسب العهد الجديد.

فتشير لفظة الفداء في العهد القديم في أغلب الأحيان إلى خلاص الجسد، وأما في العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة.....وإلى الخلاص من رق الناموس....وإلى بذل الجهد في استعمال الوقت في خدمة الله"(٢).

"وأية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذي سار الله ليفتديه لنفسه شعبا، لتجعل لك اسم عظائم ومخاوف بطردك أمما من أمام شعبك الذي افتديته من مصر. وقد جعلت شعبك إسرائيل لنفسك شعبا إلى الأبد، وأنت أيها الرب صرت لهم إلها"[أخبار الأيام الأول١٧: ٢١و٢٢].

أرى أن سياق نص العهد القديم قد دل على أن الافتداء من ألفاظ الاختيار؛ فأقرب ما يكون فهم كلمة الافتداء في النص "ليفتديه لنفسه" هو عند مقابلتها بكلمة الاصطناع والتي هي من ألفاظ الاختيار التي انفرد بها القرآن الكريم قال تعالى:﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾طه: ٤١.

---

(١)لسان العرب، باب الياء المعتلة، مجلد ١٥، ص ١٤٩ و ١٥٠.

(٢)قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: الإفراز:

لغة: فرز: ....الفِرْزُ: القِطعةُ مِنْهُ، وَالْجَمْعُ أَفْرازٌ وفُرُوزٌ. والفِرْزَةُ: كالفِرْزِ. وأُفْرِزَ لَهُ نَصِيبُهُ: عُزِلَ. وفَرَزَهُ ...وأَفْرَزَه: مازَهُ.الْجَوْهَرِيُّ: الفَرْزُ مَصْدَرُ قَوْلِكَ فَرَزْتُ الشَّيْءَ أَفْرِزُه إِذا عَزَلْتَهُ عَنْ غَيْرِهِ ومِزْتَه تَقُولُ: فَرَزْتُ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءِ أَي فَصَلْتُهُ(١).

"لأنك أنت أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الأرض"[الملوك الأول٨: ٥٣].

أرى أن المقصود بالإفراز هنا هو تمييز شعب وعزله من غيره من الأمم باختيار من الله، وهذا واضح في بني إسرائيل الذي جعل من نفسه شعب الله المختار.

رابعا: الانتخاب:

لغة: نخب: انْتَخَبَ الشيءَ: اختارَه.
والنُّخْبَةُ:مَا اخْتَارَهُ، مِنْهُ. ونُخْبةُ القَوم ونُخَبَتُهم:خِيارُهم. وَيُقَالُ:جاءَ فِي نُخَبِ أَصحابه أَي فِي خِيَارِهِمْ.
وَيُقَالُ: جاءَ فِي نُخَبِ أَصحابه أَي فِي خِيَارِهِمْ.
ونَخَبْتُه أَنْخُبه إِذا نَزَعْتَه. والنَّخْبُ: النَّزْعُ. والانْتِخابُ: الانتزاع.
والانتخابُ: الاختيارُ والانتقاءُ؛ وَمِنْهُ النُّخَبةُ، وَهُمُ الْجَمَاعَةُ تُخْتارُ مِنَ الرِّجَالِ، فتُنْتَزَعُ مِنْهُمْ.
النُّخْبة، بِالضَّمِّ: المُنْتَخَبُون مِنَ النَّاسِ، المُنْتَقَوْن(٢).
جاء في اختيار لموسى: "هكذا يقول الرب :هل تجليت لبيت أبيك وهم في مصر في بيت فرعون، وانتخبته من جميع أسباط إسرائيل لي كاهنا ليصعد على مذبحي ويوقد بخورا...."[صموئيل الأول٢: ٢٧و٢٨].

فالانتخاب من ألفاظ الاختيار التي اعتمدها الكتاب المقدس والتي تدل على اختيار وانتقاء الأشخاص والأماكن لأمور ومهام الرب، وتوافق لفظة الانتخاب لفظة الافتداء.

---

(١)لسان العرب، مجلد ٥، باب الزاي، ص ٣٩٠ و ٣٩١.

(٢)لسان العرب، مجلد ١، باب الباء، ص ٧٥١ و ٧٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكل من النصين المذكورين للاستدلال على الافتداء والانتخاب في المطلب تبينان أن المقصود من اللفظتين هو الاختيار ويعضد ذلك المنى اللغوي لكل منهما.

خامسا: التقديس:

لغة: قدس: التَّقْدِيسُ: تَنْزِيهُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ....وَهُوَ المتَقَدِّس القُدُّوس المُقَدَّس. وَيُقَالُ: القَدُّوس.... والتَقْدِيس: التَّطْهِير والتَّبْرِيك. وتَقَدَّس أَي تطهَّر....الزَّجَّاجُ: مَعْنَى نُقَدِّسُ لَكَ أَي نُطهِّر أَنفسنا لَكَ، وَكَذَلِكَ نَفْعَلُ بِمَنْ أَطاعك نُقَدِّسه أَي نطهِّره.

وَمِنْ هَذَا بَيْتُ المَقْدِس أَي الْبَيْتُ المُطَهَّر أَي الْمَكَانُ الَّذِي يُتطهَّر بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ.

والقُدُّوس: هُوَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ. وَيُقَالُ لِلرَّاهِبِ مُقَدِّسٌ والمُقَدِّس: الحَبْر.

قَالَ: والمُقَدَّس المُبارَك. والأَرض المُقَدَّسة: المطهَّرة. وَقَالَ الفرَّاء: الأَرض المقدَّسة الطَّاهِرَةُ، وَهِيَ دِمَشْق وفِلَسْطين وَبَعْضُ الأُرْدُنِّ. وَيُقَالُ: أَرض مقدَّسة أَي مُبَارَكَةٌ(١).

ويعرِّف أتباع الكتاب المقدس التقديس كما يلي: "قدس يقدس تقديسا: جعله قديسا بتغيير القلب.... وبالتقديس تتطهر النفس.... وتتزين بالنعم الروحية التي تعدها للأفراح السماوية.

تكريس الشيء أو الشخص للاستعمال المقدس.

قداسة: صفة من صفاته تعالى....وهي الخلوة من الخطيئة والطهارة التامة. وهي أخص صفات الله وتميزه بنوع كلي من جميع آلهة الوثنيين وتجعله يكره المعصية ويعاقب الخاطئ وقد خلق الله الإنسان على صورته وشبهه....أي في البر والقداسة.

والقدس: المعنى الأولى.... هو"منفصل أو منعزل عن الاستعمال العادي ومخصص لله""(٢).

---

(١)لسان العرب، مجلد٦، باب السين، ص١٦٧-١٦٩.

(٢)قاموس الكتاب المقدس، ص٧١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أرى بناء على ما سبق أن التقديس عند أهل الكتاب المقدس هو تكريس الشيء أو الشخص للاستعمال المقدس، بحيث يكون منفصلا ومنعزلا ومخصصا لله.

"فقال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا، وليغسلوا ثيابهم،يكونوا مستعدين لليوم الثالث. لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء...وليتقدس أيضا الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم الرب"[الخروج١٩: ١٠و١١و٢٢].

"إني أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكونون قديسين، لأني أنا قدوس.ولا تنجسوا أنفسكم ....،إني أنا الرب الذي أصعدكم من أرض مصر ليكون لكم إلها فتكونون قديسين لأني أنا قدوس"[اللاويين١١: ٤٤و٤٥].

سادسا: التخصيص:

لغة:خصص: خَصَّهُ بِالشَّيْءِ يخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً، وَالْفَتْحُ أَفصح.... واخْتصّه: أَفْرَدَه بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَيُقَالُ: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ لَهُ إِذا انْفَرَدَ.... .

والخاصّةُ: خلافُ الْعَامَّةِ. وَالْخَاصَّةُ: مَنْ تخُصّه لِنَفْسِكَ(١).

وأرى بأن التخصيص والتقديس لهما نفس المعنى عند أصحاب الكتاب المقدس؛ لأن قاموس الكتاب المقدس عندما فسر معنى التقديس بين أنه التخصيص(٢).

ويدلل على هذا بقوة أن التقديس في نسخة من الكتاب المقدس ذكرت بدلا منه التخصيص، ففي سفر الخروج من النسخة العبرانية جاء ما يلي: "وقال الرب لموسى: **قدس** لي كل بكر، كل فاتح رحم من بني إسرائيل، من الناس ومن البهائم. إنه لي"[الخروج١٣: ١و٢].

_ ----------

(١)لسان العرب، مجلد٧، باب الصاد، ص٢٤ و٢٥.

(٢)انظر قاموس الكتاب المقدس، ص٧١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينما جاء في النسخة اللاتينية والموسومة بطبعة الحياة ما يلي: "وقال الرب لموسى : **خصص** لي كل بكر ذكر. كل فاتح رحم من بني إسرائيل هو لي. كل بكر من الناس أو البهائم"[الخروج١٣: ١].

"فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة"[الخروج١٩: ٥و٦].

"أنتم أولاد للرب إلهكم. ....، لأنك شعب مقدس للرب إلهك ، وقد اختارك الرب لتكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"[التثنية١٤: ١و٢].

سابعا: التمييز:

لغة:ميز: المَيْزُ: التَّمْيِيزُ بَيْنَ الأَشياء.

تَقُولُ: مِزْتُ بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ فأَنا أَمِيزُه مَيْزاً، وَقَدْ أَمازَ بعضَه مِنْ بَعْضٍ، ومِزْتُ الشيءَ أَمِيزُه مَيْزاً: عَزَلْتُهُ وفَرَزْتُه، وَكَذَلِكَ مَيَّزْتُه تَمْيِيزًا... ابْنُ سِيدَهْ: مازَ الشيءَ مَيْزاً ومِيزَةً ومَيَّزَهُ: فَصَلَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ(١).

واسْتَمازَ عَنِ الشَّيْءِ: تَبَاعَدَ مِنْهُ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ(٢).

إذن فالتمييز هو عزل بعض الناس أو الأشخاص عن بعض لينفردوا عن غيرهم ويعرفوا بصفة معينة، وهو بذلك يكون قريب مما دل عليه الفرز(٣).

"وقلت لكم :ترثون أنتم أرضهم.... أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب، وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب . وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي"[اللاويين٢٠: ٢٤و٢٦].

---

(١) لم تأت كلمة التمييز في القرآن إلا في المواضيع المتعلقة بالسلبية، قال تعالى:﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الأنفال: ٣٧، وقال تعالى:﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ ﴾ يس: ٥٩.

(٢)لسان العرب، مجلد ٥، باب الزاي، ص٤١٢ و٤١٣.

(٣)راجع: ص٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثامنا: المسح:

لغة: مسح: المَسْحُ: الْقَوْلُ الحَسَنُ مِنَ الرَّجُلِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَخْدَعُكَ، تَقُولُ: مَسَحَه بِالْمَعْرُوفِ أَي بِالْمَعْرُوفِ مِنَ الْقَوْلِ وَلَيْسَ مَعَهُ إِعطاء، وإِذا جَاءَ إِعطاء ذَهَبَ المَسْحُ؛ وَكَذَلِكَ مَسَّحْتُه. والمَسْحُ: إِمرارك يَدَكَ عَلَى الشَّيْءِ السَّائِلِ أَو الْمُتَلَطِّخِ، تُرِيدُ إِذهابه بِذَلِكَ كَمَسْحِكَ رأْسك مِنَ الْمَاءِ وَجَبِينَكَ مِنَ الرَّشْح، مَسَحَه يَمْسَحُه مَسْحاً ومَسَّحَه، وتَمَسَّح مِنْهُ وَبِهِ.

قَالَ ابْنُ الأَثير: يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذا تَوَضَّأَ قَدْ تَمَسَّحَ. وتماسَحَ القومُ إِذا تَبَايَعُوا فتَصافَقُوا.
وَرَجُلٌ مَمْسوح الْوَجْهِ ومَسِيحٌ: لَيْسَ عَلَى أَحد شَقَّيْ وجهِه عَيْنٌ وَلَا حاجبٌ.
والمَسِيحُ الدَّجَّالُ: مِنْهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ؛ وَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنه مَمْسوحُ الْعَيْنِ.
والمَسيحُ: الصِّدِّيقُ وَبِهِ سُمِّيَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ(١).

أما بالنسبة للمسح من جهة التعريف الاصطلاحي فبحسب ما يدعي مؤلفوا الكتاب المقدس :هو صب الزيت أو الدهن على الشيء لتكريسه لخدمة الله(٢).

"قال الرب مخاطبا موسى: وتُلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي"[الخروج٤٠: ١٣]، "وامسح ياهو بن نمشي ملكا على إسرائيل، وامسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا"[الملوك الأول١٩:١٦].

ومن خلال النص الأخير يتبين أن المسح قد صار من ألفاظ الاختيار فهو عندما يقول: مسحه نبيا فإنه بذلك يقول: اختاره نبيا.

---

(١)لسان العرب، مجلد ٢، باب الحاء، ص ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٧.

(٢)قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٥٩، [بتصرف].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

أسباب انفراد الكتاب المقدس عن القرآن في الألفاظ والمصطلحات.

سأقوم في هذا المبحث ببيان أسباب انفراد الكتاب المقدس عن القرآن الكريم في بعض المصطلحات الدالة على الاختيار من عدة وجوه.

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين كما يلي:

المطلب الأول: مخالفة الألفاظ التي اعتبرها الكتاب المقدس من ألفاظ الاختيار للغات ولتعريفات قواميس الكتاب المقدس وكتب التفسير.

المطلب الثاني: أسباب انفراد الكتاب المقدس ببعض الألفاظ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: مخالفة الألفاظ التي اعتبرها الكتاب المقدس من ألفاظ الاختيار للغات ولتعريفات كتب التفسير.

انفرد الكتاب المقدس عن القرآن الكريم والسنة النبوية ببعض الألفاظ التي عدها من ألفاظ الاختيار، فخالف الكتاب المقدس بسبب هذا الانفراد في لفظتين وهما: (الافتداء أو الفداء، والمسح)(١)، فهما من جهة اللغة لا تدلان على معنى الاختيار، لكن قواميس الكتاب المقدس بينت أنها ألفاظ اختيار.

فالناظر في معنى الافتداء وفي معنى المسح من جهة اللغة العربية يجد أنه لا علاقة لهما بالاختيار أو الاصطفاء أوغيرهما من ألفاظ الاختيار، وأنه لا علاقة بين التعريف اللغوي وبين التعريف الاصطلاحي الذي وضعه قاموس الكتاب المقدس، وإذا أتينا من جهة الترجمة إلى كلمة الافتداء في الكتاب المقدس المترجم إلى اللغة العربية ومن اللغة الإنجليزية تحديدا، نجد أن الكلمة تأخذ نفس المعنى الذي يدل على الاستبدال، كاستبدال رجل مكان رجل أو شيء مقابل شيء آخر مختلف كما يلي:

21. Ears. And what one nation in the earth is like they people Israel, whom God went to(**redeem**) to be his own people, to make thee a name of greatness, by driving out nations from before they people, whom thou hast (**redeemed**) out of Egypt ?(٢)

والنص في اللغة العربية كما يلي:

"وأية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذي سار الله ليفتديه لنفسه شعبا و يجعل له اسما و يعمل لكم العظائم و التخاويف لأرضك أمام شعبك الذي افتديته لنفسك من مصر"[صموئيل٢ ٧:٢٣].

فكلمة (redeem) هنا هي الكلمة التي جاءت في الكتاب المقدس المترجم إلى العربية من النسخة العبرانية بمعنى (ليفتديه)، والتي قد وضعت هنا في النص (ليفتديه لنفسه).

---

(١)راجع تعريف الافتداء و إلى تعريف المسح في الرسالة.

(٢)الطبعة المعتمدة للكتاب المقدس بتعديلات جون ستيرلنغ، بريطانيا–لندن، جامعة أوكسفورد،ط١،١٩٥٤م، باللغة الإنجليزية، ص٣٤٠، وسأشير إليه تحت اسم الكتاب المقدس بالإنجليزية وقد قمت بوضع الكلمة المطلوبة بين قوسين لتحديدها، وقمت بهذا في بقية النصوص التالية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتدل من السياق على الاختصاص والاختيار فأوهمت العبارة بأنه يختاره لنفسه أو يختصه لنفسه.

بينما جاءت ترجمة كلمة (redeem) في أحد أشهر قواميس اللغة الإنجليزية لتعني ما يلي:

يسترد، يفتدي، يحرر، يخلُص، يصلح، يفك الرهن، ينجز، يفي، يعوض (١).

وللعلم فإن الخطأ في النقل لم يصل إلى الخطأ في التعبير فحسب، بل وصل إلى عدم ضبط الفقرات فجاءت كلمة (ears) مخالفة لمعنى الفقرة٢١، فكان يجب أن تكون في الفقرة٢٠.

وكذلك الأمر بالنسبة للفظة المسح، فإذا أخذنا نص الكتاب المقدس المترجم إلى اللغة الإنجليزية نجد بأن المعنى لم يتجاوز المسح حرفيا، وهذا اختلاف أكبر من الاختلاف في كلمة الافتداء وكما يلي:

16. king over Syria : and Jehu the son of Nimshi shalt thou (**anoint**) to be king over Israel : and Elisha the son of Shaphat of Abel – meholah shalt thou (**anoint**) to be prophet in thy room(٢).

والنص باللغة العربية كما يلي:

"وامسح ياهو بن نمشي ملكا على إسرائيل و امسح إليشع بن شافاط من ابل محولة نبيا عوض عنك"[ملوك١ ١٩: ١٦].

فكلمة(anoint) جاءت بمعنى المسح فقط ولا تدل على أي شيء آخر كطقس من الطقوس أو كدلالة اختيار.

وجاءت ترجمة كلمة (anoint) لتعني: يدهن بمرهم، يمسح بالزيت ولا معنى لها غير ذلك (٣).

والغريب في الأمر أنك إذا أردت ترجمة جملة (shalt thou anoint) فإنها تعني مسح بالطين لا بالزيت، فتصير كلمة (anoint) معناها هنا هو من الترجمة الأولى للمسح وهو (يدهن بمرهم) فهو يكون مسح بمرهم الطين لا الزيت.

---

(١)المورد القريب، منير البعلبكي، ط١، ٢٠٠٨، حرف R ، ص٣١٦.

(٢)الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية، ص٢٩٢.

(٣)انظر:قاموس المورد، حرف A ، ص ٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يدل على أن الكلمة ليست صحيحة من حيث توظيفها في معنى الاختيار ولا علاقة لها بالاختيار، ولكنها وضعت في النص ودلل عليها ما رسخ في أذهان أصحاب الكتاب المقدس لا معنى الكلمة، وليست المناسبة في هذا المقام حتى كطقس من طقوس الاختيار والاصطفاء.

وللعلم – أيضا– فإن الخطأ في النقل قد وصل إلى عدم ضبط الفقرات؛ فجاءت جملة (king over Syria) مخالفة لمعنى الفقرة ١٦ ، فكان يجب أن تكون في الفقرة ما قبلها .

وفي الكتاب المقدس الكثير من الكلمات التي لا علاقة لها بالمعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي للمضمون لكن سياق الجملة هو الذي دلل على المفهوم والمضمون المراد بيانه، وأضرب على ذلك مثالا من أول سفر من أسفار الكتاب المقدس من العهد القديم (سفر التكوين).

ففي أول فقرة من الأصحاح الرابع من سفر التكوين جاء ما يلي:

(وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين)[التكوين٣: ١]، فجاءت كلمة (عرف) هنا بدل كلمة عاشر أو جامع أو تزوج أو حتى لامس .

ولكن هذه الكلمة لا علاقة لها أبدا بأي معنى من معاني الاتصال بين المرأة والرجل، ودليل ذلك أن الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية قد جاء فيه النص كما يلي:

)(١).And Adam (**knew**) Eve his wife; and she conceived, and bare Cain….(

وقد جاء معنى كلمة (**knew**) كما يلي:

Knew past of know.

والترجمة تعني: عرف هي ماضي يعرف.

– ----------

(١)الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية، ص ٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم بعدها جاءت في القاموس كلمة (Know) لتعني: يعلم ويعرف(١).

فلا علاقة في المعنى بين المعرفة والمعاشرة الزوجية على أنها وسيلة من مؤدية إلى الحمل.

المطلب الثاني: أسباب انفراد الكتاب المقدس ببعض الألفاظ.

وأرى أن الأسباب في ذلك ما يأتي:

١ – خطأ الترجمة والذي وقع فيه نقلة نصوص الكتاب المقدس إلى اللغات الأخرى، علما بأنه لا توجد أية دراسة وقفت على حقيقة اللغة الأم أو اللغة الأصلية للكتاب المقدس والتي نقلت عنها ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغات الأخرى.

٢ – التحرر من أية دلالة واضحة؛ ليسوغ كل من أراد الكلام في الكتاب المقدس لنفسه تأويل النصوص كما يتطلب الموقف الذي يريد، ولذلك قاموا بربط بعض الألفاظ على أنها من ألفاظ الاختيار رغم أنها لا تتجاوز أن تكون طقوسا يقومون من خلالها بتنصيب الأنبياء والرهبان كمصطلح المسح .

٣ – الترجمة الحرفية إلى اللغة العربية والتي لم يراع المترجم فيها المعنى الحقيقي المراد، ليلجأ من قام بتفسير الكتاب المقدس إلى التأويل عندما يتناول نصا ليفسره.

٤ – عدم مراعاة الأخذ بالمعنى اللغوي، والذي لا يخالف في مضمونه المعنى الاصطلاحي دائما.

٥ – الافتراق بسبب الدلالة البلاغية؛ فبالإضافة إلى الدلالة اللغوية والاصطلاحية، نجد أن القرآن الكريم قد اهتم بالبلاغة فلم توضع كلمة من كلمات الاختيار في القرآن الكريم إلا لمراد ومناسبة.

ومثل ذلك :تميز القوم وامتازوا: صاروا في ناحية. وفي التنزيل العزيز:﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ يس:٩٥؛ أي تميزوا، وقيل أي انفردوا عن المؤمنين. واستماز عن الشيء: تباعد منه.
وتميز من الغيظ: تقطع. وفي التنزيل العزيز:﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ الملك: ٨، فلم تخالف كلمة التميز في القرآن الكريم المعنى اللغوي ودلالاته.

---

(١)انظر: المورد القريب، حرف K ، ص ٢٣٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثانـي

منهج الكتاب المقدس في عرض قضية الاختيار

تعددت طرق الاختيار في الكتاب المقدس وتعددت طقوسها حتى إن بعض ألفاظ الاختيار كانت عبارة عن نوع معين من أنواع الاختيار وليست لفظة تدل على الاختيار فحسب.

والغريب في الأمر أن الاختيار في الكتاب المقدس ليس ربانيا خالصا بل إن للإنسان علاقة بالاختيار ،هذا إن لم تكن له اليد الطولى في الاختيار على عكس ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، فالاختيار في القرآن الكريم قد جاء ربانيا خالصا دون تدخل أحد من البشر أو الملائكة.

والاختيار في الكتاب المقدس له طقوس متعددة معينة، منها ما يقوم به أشخاص معينون لينصّبوا الأنبياء وغيرهم بناء على ما ادعاه هؤلاء الأشخاص من علم الكهنوت لديهم.

ويزداد الأمر غرابة عند مفارقة العهد الجديد للعهد القديم؛ لينفرد في طريقة الاختيار وفي طقوسه وغير ذلك.

بناء عليه جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

الاختيار في العهد القديم

المبحث الثاني

الاختيار في العهد الجديد

المبحث الثالث

بيان الاضطراب في كيفيات الاختيار في الكتاب المقدس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الاختيار في العهد القديم

للعهد القديم طقوس معينة في كيفية الاختيار تختلف عما في العهد الجديد؛ وذلك لأسباب كثيرة أهمها انتقال أتباع الكتاب المقدس عبر العهدين من مرحلة إلى أخرى، وهناك أسباب أخرى نبينها في الفصول والمباحث القادمة.

وسأبين في هذا المبحث الطرق والكيفيات والأسباب التي من خلالها كان الاختيار مدللا على ذلك ببعض النصوص من أسفار العهد القديم.

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين كما يلي:

المطلب الأول: طرق الاختيار في العهد القديم وبعض النصوص الدالة عليه.

المطلب الثاني: أسباب الاختيار في العهد القديم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: طرق الاختيار في العهد القديم وبعض النصوص الدالة عليه.

<u>الاختيار بتكليم الله</u>(١):

يطالعنا العهد القديم في بداية سفر التكوين بأول طريقة من طرق الاختيار وهو الكلام المباشر من الله للمختار دون وساطة.

ويبين سفر التكوين أن أول من كلمه الرب من البشر آدمَ عليه السلام، وقد كلمه بعد أن وضعه في الجنة (جنة عدن) واختاره لرعايتها، وكان في أثناء هذه الرعاية أن كلمه الرب موصيا إياه بألا يأكل من شجرة معينة والتي كانت السبب في خروج آدم من الجنة(٢).

"من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها"[تكوين٢: ١٦و١٧].

ثم بعد ذلك كلم الرب نوحا عليه السلام بعد أن وجد نوح نعمة في عيني الرب –أي بعد أن وجد أن في نوح خيرا وبركة اختلف فيهما عن البشر –بعد أن عم الفسادُ الأرض فاختاره كوسيلة لتبديل الخلق على وجه الأرض والبدء ببشرية تعود إلى الرب وتوحيده دون غيره.

فخاطب الرب نوحا قائلا له : " نهاية كل البشر قد أتت أمامي، لأن الأرض امتلأت ظلما منهم. فأنا مهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك فلكا من خشب جُفْر. تجعل الفلك مساكن...."[تكوين٦: ١٣-١٥].

وقال: "ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك"[تكوين٦: ١٨](٣).

وكلم الله بعد الطوفان أبناء نوح الذين كانوا معه في الفُلك مبينا أنه اختارهم ليكونوا نواة الحياة الجديدة التي سيحيوْنها ومؤكدا العهد الذي كان منه لوالدهم نوح: فخاطب أولاد نوح قائلا: "وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم"[تكوين٩:٩].

وكلم الرب إبراهيم في أكثر من موقف ولأكثر من غرض كان أهمها اختياره والعهدَ الذي قطعه له بأن يباركه وأن يجعل ذكره خالدا وأن يبارك نسله فيكون نسلا كثيرا مباركا مختارا.

---

(١)أقصد بذلك تكليم الله تعالى للمختارين مباشرة دون واسطة، لا أن يكلم الرب المختار في الرؤيا أو أن يكلم ملاك الرب المختار ناقلا له كلام الرب –مثلا– أو غيرهما من الطرق كما سيأتي فيما بعد.

(٢)يدل النص على كلام الرب لآدم وعلى اختياره والكلام معه كان لرعاية الجنة.

(٣)راجع: ص٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كلم الرب إبراهيم فيما حدث بينه وبين ملك مصر في ذلك الزمن في قصة زوجته (سارة) وذلك في سفر التكوين ١٧: ١٥.

وكلمه أيضا مبينا اختياره وتعظيمه: "وقال الرب لأبرام:"اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة...."[تكوين:١٢: ١و٢].

وكلم الرب إسحاق بعد أن ظهر له عيانا طالبا منه ألا ينزل مصر للعيش فيها وذلك بعد أن كان في الأرض جوع فظهر له الرب وكلمه بأن لا خير في نزوله: "وقال الرب لإسحاق: "لا تنزل إلى مصر اسكن الأرض التي أقول لك " [تكوين:٢٦ :٢].

وكلم الرب يعقوب وذلك عندما انحدر الرب إلى الهيئة البشرية –تعالى الله عما يصفون–، فتشكل الرب على هيئة إنسان وتصارع مع يعقوب والذي سماه الربُّ بعد ذلك (إسرائيل) مباركة واختيارا من الله له والذي بين معناه قاموس الكتاب المقدس أنه ((يجاهد مع الله))، وذلك بعد أن رفض يعقوب أن يترك الرب إلا بعد أن يحل عليه الرب من بركاته(١): "فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر.ولما رأى أنه لا يقدر عليه. وقال –الرب–: ((أطلقني، لأنه قد طلع الفجر)). فقال: ((لا أطلقك حتى تباركني)). فقال له: ((ما اسمك؟)). فقال: ((يعقوب)). فقال: ((لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل....))"[تكوين٣٢: ٢٤–٢٨].

وأرى أن أكثر من كلمه الله في العهد القديم على الإطلاق موسى عليه السلام، ويعزى ذلك إلى أسباب كثيرة؛ فموسى هو من قاد اليهود ونقلهم من العبودية إلى الحرية، وموسى عليه السلام هو من جاء إلى بني إسرائيل بشريعة من عند الرب (الشريعة الموسوية)، فكلمه الله في التشريعات وكلمه الله في الطقوس الدينية وكلمه الله في ما سيعطيه من معجزات(٢): وخاطب الرب موسى قائلا له:"ها أنا آت إليك في ظلام السحاب ليسمع الشعب حينما أتكلم معك، فيؤمنوا بك أيضا إلى الأبد "[خروج:١٩: ٩].

---

(١)انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦٩.

(٢)انظر إظهار الحق، ج٣، ص٦٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال الرب لموسى: "اصعد إلي إلى الجبل وكن هناك، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم".[خروج:٢٤: ١٢]

كما كلم الرب هارون ومريم أخت هارون وموسى وكلم الرب (يوشع) والذي صار اسمه بعدها (يشوع) –يوشع بن نون– النبي، وكلم صموئيل... إلخ: "وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية فقالا:"هل كلم الرب موسى وحده؟. ألم يكلمنا نحن أيضا؟"[عدد١٢: ١و٢].

وخاطب الرب موسى في شأن يوشع: " وقال الرب لموسى: "هو ذا أيامك قد قربت لتموت. ادع يشوع، وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه".[تثنية:٣١: ١٤].

وخاطب الرب يوشع قائلا له: "اليوم أبتدئ أعظمك في أعين جميع إسرائيل ليعلموا أني كما كنت مع موسى أكون معك".[يشوع:٣: ٧].

وأرى أن الكتاب المقدس أراد أن يبين أن كل أتباع العهد القديم كانوا مختارين، فبين أن الرب كلم الأنبياء والكهان والقضاة وكلم الملوك حتى أنه قد سمعه كل بني إسرائيل يتكلم وبذلك يسوغون لأنفسهم تنصيب من يريدون وبما يتماشى مع أهوائهم.

<u>الاختيار بالرؤيا:</u>

تعتبر الرؤيا وتكليم الله للناس من خلالها واحدة من طرق الاختيار التي اتصل بها الله من المختارين في الكتاب المقدس.

فقد كلم الرب إبراهيم في الرؤيا مبينا له أنه معه وأنه سيحميه حماية مطلقة من كل شيء، وأخبره في الرؤيا أنه سيعطيه خيرا كثيرا من النسل والمال والأرض مشيرا في ذلك أنه سيكون له نسل عظيم وهذا النسل هو وحده الذي يستحق الأفضلية والخيرية والعلو في الأرض: "لا تخف يا أبرام أنا ترس لك. أجرك كثير جدا.....أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها"[تكوين١٥: ١و٧].

وجاء في تكليم الرب بالرؤيا لإبراهيم أن ما سيكون من خير وبركة في نسله ستشوبه بعض الظروف القاسية منها استعباد المصريين لبني إسرائيل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"ولما صارت الشمس إلى المغيب، وقع على أبرام سبات، وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه. فقال لأبرام: اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم".[تكوين:١٥ :١٢و١٣].

وكلم الرب يعقوب في بيت إيل فعندما اضطجع ونام في ذلك المكان كلمه في الرؤيا مبشرا إياه بأن الأرض التي ينام فيها ستكون له ولنسله وكافأه بأنْ بشَّره –أيضا– بنسل يكون كتراب الأرض كثرة.

وكلم الله يعقوب في الرؤيا ثانية عندما بين له عدم وقوع أي ضرر من نزوله إلى مصر وبشره بأنه إن نزل مصر فإنه سيرى يوسف والذي سيضع يده على عينيه يرتد بصيرا فيراه.

جاء في حلم يعقوب في بيت إيل:" فخرج يعقوب من بيت إيل.... فاضطجع في ذلك المكان ورأى حلما.... وهوذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض"[تكوين:٢٨: ١٠ –١٤].

وكلم الرب موسى وهارون ومريم في شأن الرؤيا ذاكرا أن الرؤيا طريقة من طرق الاختيار للنبوة، فمن أراده الرب نبيا ظهر له في المنام وكلمه من خلال الرؤيا: "فخاطب الرب مريم وهارون قائلا لهما: "اسمعا كلامي. إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا أستعلن له. في الحلم أكلمه"[عدد١٢: ٦].

الاختيار بواسطة ملاك الرب:

إن من طرق الاختيار إرسال الله تعالى ملائكة يكلمون المختارين مبينين لهم تعاليم الرب ومدافعين عنهم، أو منزلين العقاب لما كان من معصية أو مبشرين أو منذرين، وقد كان هذا واضحا في أكثر من موضع في الكتاب المقدس وبشكل كبير.

فقد بين العهد القديم أن ملاك الرب حمل كلام الرب إلى هاجر تسلية لها وتبشيرا بمولودها إسماعيل عليه السلام والذي بشرها بأنه سيختاره ليكون ذا شأن عظيم.

وجاء في سفر التكوين أن ملاك الرب كلم هاجر: "وقال لها ملاك الرب: "ها أنت حبلى، فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك" [تكوين:١٦ :١١].

وجاء أيضا في كلام الملاك لهاجر: "فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ".... قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة" [تكوين:٢١ :١٧و١٨].

وأرسل الله ملاكه إلى موسى عليه السلام ليقوده في رحلته من أول خروجه إلى آخر أيامه وأمره الرب أن يستمع إلى ما يقوله له ذلك الملاك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته.احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه، لأنه لا يصفح عن ذنوبكم، لأن اسمي فيه"[خروج:٢٣: ٢٠و٢١].

وكلم الملاك جدعون النبي وصموئيل وغيرهما الكثير حاملا لهم وصايا وأوامر الرب ليدل ذلك على أن الرب اختارهم من دون الناس: "فظهر له ملاك الرب وقال له: ((الرب معك يا جبار البأس)). فقال له جدعون: ((أسألك يا سيدي، إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه؟....))"[قضاة:٦: ١٢و١٣].

إذن فقد أرسل الرب الملاك ليحمل كلامه وليبلغ المختارين بما يجب فعله ولحمايتهم أيضا ولكن هذا ليس في المختارين كأنبياء فحسب ولكن في غير الأنبياء أيضا؛ فكلم الرب هاجر –مثلا– وهي ليست نبية وكان معها في المواقف المذكورة في نصوص العهد القديم التي تحدثت عنها.

الاختيار بالمباركة:

وهو أن يختصَّ المختار أحدا ببركة قد تكون بعد ذلك سببا في أن يكون المبارَك نبيا أو كاهنا أو صاحب خير كثير من مال ونسل، والاختصاص بالبركة تجعل المبارَك خليفة لمن باركه(١).

فقد كانت المباركة من الكاهن والملِك (ملكي صادق)(٢) عندما علم خيرا في إبراهيم فباركه ضمن طقوس قام بها ودعا لإبراهيم بالبركة: "وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا. وكان كاهنا للعلي. وباركه وقال:"مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض.[تكوين:١٤: ١٨و١٩].

وعندما دعا إسحاق بالبركة لابنه يعقوب بدلا من ابنه عيسو وذلك عندما شاخ وعمي وأراد أن يُحل بركة على ابنه البكر عيسو، فخادعه يعقوب بتدبير من أمه واستغل عماه وجعل المباركة تحل فيه، فانتقل بتلك الخدعة الميراث المادي والميراث الديني ليكون في يعقوب وبالتالي في نسله بدلا من عيسو: "لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: ((.... واصنع لي أطعمة كما أحب ، وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت))".[تكوين: ٢٧: ١-٤].

وعندما ذكر الكتاب المقدس أن يعقوب تصارع مع الرب تشبث يعقوب بالرب وطلب منه أن يباركه، ولم يدعه حتى حقق الرب طلب يعقوب كما ذكرنا في طريقة الاختيار بتكليم الرب.

---

(١)انظر: الخطيب محمد، مقارنة الأديان، دار المسيرة، عمان – الأردن، ط٢، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، ص١٠٤.

(٢)(ملكي صادق): هو أول كاهن وملك يذكر في الكتاب المقدس، كان ملكا على أورشليم وهو ليس يهوديا، ويعتقد البعض أنه كان (في الواقع) يسوع نفسه، انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة لاهوتيين، تعريب شركة ماستر ميديا، مصر– القاهرة،١٩٩٧م، ص٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن اختير لتحل البركة فيه حق له أن يبارك غيره لأنه امتلك نفس مميزات من قام بمباركته قبلا، فهذا يعقوب بعد أن أخذ البركة من الرب يبارك يوسف ويبارك ابني يوسف أفرايم ومنسى: "وبارك يعقوب في آخر أيامه يوسف وابنيه: "فمد إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم وهو الصغير، ويساره على رأس منسى.... وبارك يوسف وقال: ...."."[تكوين:٤٨: ١٤و١٥].

الاختيار بالختان:

لقد كانت هذه الطريقة من طرق الاختيار –كما يذكر العهد القديم– خاصة في شعب إسرائيل دون غيرهم، وقد قام به أول من قام إبراهيم عليه السلام فختن نفسه وختن أولاده ثم بقية الذكور ممن كان معه، وقد كان الختان علامة للعهد الذي قطعه الرب لإبراهيم فكان فريضة في عقبه لمن أراد أن يكون ضمن هذا العهد، فختن جميع الذكور من أهل بيته.

وقد كان الختان في حق كل كبير أو صغير من غير بيت إبراهيم وأراد أن ينضم إليه.

وكان موسى أيضا مخاطبا بالختان لكل جماعة إسرائيل ومن أراد أن ينضم إليهم، وكان يُمنع كل من لم يختن من المباركة ومن أكل تقدمات الرب من تقدمات الفصح وغيره.

وأرى أن العهد القديم بين أن الختان قد جاء بأمر من الرب لمن كان مختارا من الشعب أو من غيره، فكلم الرب إبراهيم في أمر الختان وامتثل إبراهيم للأمر، وكلم الرب موسى في أمر الختان وأوجبه في الشريعة الموسوية، وامتثل موسى لذلك، وكذلك الأمر مع يوشع عندما أمره الرب بأن يختن بني إسرائيل مرة ثانية وكان ذلك شرطا من شروط التهيئة لدخول فلسطين فامتثل يوشع للأمر وختن قومه(١).

وجاء الأمر بالختان بالنص ما بين الرب وما بين إبراهيم ومن بعده موسى ويوشع عليهم السلام.

"هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك: يختتن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم".[تكوين:١٧: ١٠و١١].

"قال الرب ليشوع:"اصنع لنفسك سكاكين من صوان، وعد فاختن بني إسرائيل ثانية".[يشوع:٥: ٢].

الاختيار بالمسح:

لم يكن الاختيار بالمسح بداية في الأنبياء ولم يكن هناك إي خطاب متعلق بهم؛ وكان الاختيار بالمسح مقتصرا على الكهنة وبطريقة غريبة ومواد مستغربة من أجل ذلك الطقس.

---

(١)انظر: إظهار الحق، ج٢، ص٥٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأول ما كان المسح بعد خروج بني إسرائيل من مصر وقيام موسى بتحديد أوجه الطقوس التي ستقام وتحديد الجماعة التي ستقوم بهذه الطقوس وهم اللاويون.

ويكون المسح بأن يؤخذ زيت وأن يؤخذ دماء قربان من قرابين الرب وتحديدا من ذكور الحيوانات فيمسح به من تم تكريسهم ليكونوا كهنة للرب.

ويذكر العهد القديم أن أول من وقع عليه المسح هارون وأولاده، ثم كان المسح على بقية اللاويين.

ولم يكن هذا المسح لهارون ليكون نبيا ولكن من أجل الكهانة، ثم بعد ذلك جاء الكلام على لسان هارون بأنه نبي دون أن يكون ممسوحا من أجل النبوة بل بواسطة تكليم الرب له: "وتُلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي"[خروج:٤٠: ١٣]

ولكن المسح يظهر واضحا لأول مرة في سفر صموئيل الأول كطريقة من طرق الاختيار للنبوة والذي يذكر فيه مسح صموئيل لشاول ليكون ملكا في بني إسرائيل يقودهم ويحكمهم بموجب المسح، وليكون ملكا نبيا وهذا كان أول واحد من بني إسرائيل تكون نبوته بالمسح: "فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقلبه وقال: "أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا؟".... ولما جاءوا إلى هناك إلى جبعة، إذا بزمرة من الأنبياء لقيته، فحل عليه روح الله فتنبأ وسطهم. ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ" .[صموئيل١: ١٠: ٩- ١١].

<u>الاختيار من خلال حلول روح الرب</u>:

وهو حلول روح الرب أو حلول الروح القدس.

جاء في الكتاب المقدس أن شعب إسرائيل كان كثير التذمر على الرب وكانوا دائما يعاتبون موسى بأنه هو الذي أخرجهم من مصر وأنه غير قادر على القيام بجميع أعباء الخروج وحده، فشكى موسى أمره للرب فكانت الإجابة من الرب بأن يجمع سبعين رجلا من وجهاء وكبار بني إسرائيل؛ ليُحل الله من روحه التي كانت على موسى فيهم، واجتمعوا عند خيمة الاجتماع وحلت عليهم الروح، لكنه عندما حلت روح الرب فيهم أصبحوا جميعهم أنبياء، وعندما راجع يوشع بن نون موسى في أمر هؤلاء المتنبئين لم يعترض موسى لأن هذا أمر من الله، بل قال ليوشع أنه تمنى لو أن كل بني إسرائيل أنبياء فيقومون بحمل أعباء الخروج ويكونون متصلين مع الرب مباشرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فخرج موسى.... وجمع سبعين رجلا من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالي الخيمة.فنزل الرب في سحابة وتكلم معه، وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ. فلما حلت عليهم الروح تنبأوا، ولكنهم لم يزيدوا.وبقي رجلان في المحلة اسم الواحد ألداد واسم الآخر ميداد، فحل عليهما الروح،.... لكنهما لم يخرجا إلى الخيمة. فتنبئا في المحلة.فركض غلام وأخبر موسى وقال: ((ألداد وميداد يتنبئان في المحلة)).فقال يشوع بن نون خادم موسى....: "يا سيدي موسى اردعهما". فقال له موسى: "هل تغار أنت لي؟ يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم".[عدد:١١ :٢٤- ٢٩].

فحلول روح الرب من طرق الاختيار التي اختار الرب بها أنبياءً كأتباع موسى السبعين.

وحلت روح الرب على جدعون (يربُعل) فصار نبيا وخلص بني إسرائيل من إذلال المديانيين لهم: "وكان لما صرخ بنو إسرائيل إلى الرب بسبب المديانيين أن الرب أرسل نبيا إلى بني إسرائيل –يعني جدعون– .... ولبس روح الرب جدعون.[قضاة:٦: ٧و ٣٤].

"فأرسل شاول رسلا لأخذ داود. ولما رأوا جماعة الأنبياء يتنبأون. وصموئيل واقفا رئيسا عليهم، كان روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم أيضا. وأخبر شاول، فأرسل رسلا آخرين، فتنبأوا هم أيضا. ثم عاد شاول فأرسل رسلا ثالثة، فتنبأوا هم أيضا.... فذهب إلى هناك إلى نايوت في الرامة، فكان عليه أيضا روح الله فكان يذهب ويتنبأ...."[صموئيل١: ١٩: ٢٠ -٢٤].

<u>الاختيار بالتعري:</u>

وهي من أعجب طرق الاختيار المخالفة لكل ما يدعو إليه الله تعالى، لكن الكتاب المقدس جعلها واحدة من طقوس العبادة!.

((فها هو شاول لا يتنبأ إلا بعد أن يتجرد من ملابسه ويتعرى بين الناس كعادة غيره من الأنبياء، وكأن العري هو إحدى وسائل استجلاب النبوة وحلول روح الله: "فذهب "شاول" إلى هناك إلى نايوت في الرامة فكان عليه أيضًا روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى نايوت في الرامة، فخلع هو أيضًا ثيابه وتنبأ هو أيضًا أمام صموئيل وانطرح عريانًا ذلك النهار كله وكل الليل"[صموئيل الأول ١٩: ٢٤].

وبالمثل سار إشعياء عريانًا بين الرجال والنساء، والأطفال بعورته الغليظة لمدة ثلاثة أعوام استجابة للوحي –كما يدعون: "في ذلك الوقت تكلم الرب عن يد إشعياء بن آموص قائلًا: اذهب وحل المسح عن حقويك واخلع حذاءك عن رجليك، ففعل هكذا ومشى معرى وحافيًا.

فقال الرب: كما مشى عبدي إشعياء معرى وحافيًا ثلاث سنين آية وأعجوبة[إشعياء ٢٠: ٢-٤]"))(١).

---

(١) عبد الوهاب أحمد، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، ص٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: أسباب الاختيار في العهد القديم.

إن الناظر في أسباب الاختيار في الكتاب المقدس يجد بأنها متعددة، فلم تقف عند سبب محدد بعينه كأن نقول بأن أسباب الاختيار قد جاءت لأمر ديني بحت، بل إن أسباب الاختيار قد جاءت لأكثر من سبب أرى بأنها قد اجتمعت تحت ثلاثة أسباب وهي: الاختيار لأسباب الاضطهاد الاجتماعي، الاختيار للأسباب الدينية، والثالث هو الاختيار بسبب المكاسب المادية، وسأبين هذه الأسباب في هذا المطلب إلا أنني سأقوم بترجيح أهم سبب من هذه الأسباب في المبحث الأخير من الفصل.

أولا: الاضطهاد لأسباب اجتماعية:

تعتبر الأسباب الاجتماعية في الكتاب المقدس واحدة من أسباب الاختيار، مما استدعى تدخل الرب ليتكلم ويرسل ملاكه ولينقل الناس من مكان إلى مكان آخر، ومثال ذلك ما كان من ظلم فرعون الواقع على بني إسرائيل في أرض مصر وما كان من نظرة المصريين لبني إسرائيل.

بين الكتاب المقدس أن كل من كان ينزل مصر أو يسعى إلى أن يستقر بها مغيرا وجهة طريقه كانت تحل عليه المصائب؛ فهذا إبراهيم عندما نزل مصر أُخذت منه زوجه، وضمت إلى حريم فرعون.

ثم تكررت هذه الواقعة مرة ثانية مع إبراهيم وبنفس الأحداث تقريبا، فأخبر من الرب بما سيكون عليه حال نسل إبراهيم بعد مدة من الزمن وذلك عندما سكنوا مصر: "ولما صارت الشمس إلى المغيب، وقع على أبرام سبات، وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه. فقال لأبرام: ((اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة))".[تكوين:١٥: ١٢- ١٤].

وعندما حصل جوع في زمن إسحاق أراد أن ينزل إلى مصر فتكلم الرب بمنعه من النزول إليها(١).

وتتحقق رؤيا إبراهيم -عليه السلام- وتجري ضمنها أحداث رؤيا يوسف -عليه السلام- ويحسده إخوته ويضعوه في البئر، ثم ينتقل يوسف إلى مصر بواسطة الإسماعيليين ويكبر يوسف ويكون ذا شأن.

وبطلب من يوسف وفرعونِ ذلك الزمان يأتي يعقوب وإخوة يوسف ومن كان من نسل يعقوب وما ملكه -وعددهم سبعون- ليستقروا في مصر.

---

(١)انظر: سفر التكوين:٢٦: ٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فارتحل إسرائيل وكل من كان له وأتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق. فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: ((يعقوب، يعقوب!)). فقال: ((هأنذا)). فقال: ((أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر، لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر))".[تكوين:٤٦: ١- ٤].

مات يعقوب ويوسف، ومات فرعون ذلك الزمن وتكاثر نسل بني إسرائيل في مصر حتى كان مضاهيا لنسل الفراعنة، ومن وسط هذا النسل ولد موسى وعاش حياة مزدوجة الحال مابين أهله وما بين امرأة فرعون التي التقطته من النهر واعتبرته كابن لها، ولا موطن لذكر هذه الحياة في هذا المقام، وهنا تبدأ مشكلات بني إسرائيل في المجتمع المصري القديم.

فقد بين الكتاب المقدس أنه بالرغم من أن بني إسرائيل قد مضت عليهم فترة طويلة في مصر إلا أن الفراعنة ما انفكوا ينظرون إليهم نظرة دونية ونظرة التمييز العنصري.

جاء فرعون ذلك الزمان ولم يكن يعرف يوسف بن يعقوب وما قدم من خدمات للشعب وكانت الفترة ما بين زمن يوسف وزمن فرعون فترة بعيدة جدا، وقد بين هذا الفرعون خوفه من بني إسرائيل وقدم حلولا تبعد الخوف منهم.

"هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا. هلم نحتال لهم لئلا ينموا، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض". فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينتي مخازن: فيثوم، ورعمسيس. ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا. فاختشوا من بني إسرائيل. فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية.... ثم أمر فرعون جميع أتباعه قائلا:"كل ابن يولد تطرحونه في النهر، لكن كل بنت تستحيونها".[خروج:١: ٩- ٢٢](١).

يبين النص السابق اضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل، الأمر الذي يجعلني أستنتج أن المصريين كانوا ينظرون إلى بني إسرائيل نظرة دونية جدا حتى إنهم لم يتزوجوا منهم؛ ولذلك لا يهم المصريين إن وقع ذل على بني إسرائيل قد يصل إلى القتل فلا نسب يربط ما بينهم.

- ----------

(١)بين رحمت الله الهندي –رحمه الله– في كتابه إظهار الحق أن مسألة عدد أنفس بني إسرائيل الهائل لم يصح من عدة أوجه بينها بالتفصيل، ونفى أن يكونوا قد وصلوا إلى هذا العدد الذي ذكره الكتاب المقدس، وإنما قمت بذكر ما جاء في الكتاب المقدس من باب سرد الأحداث التي ذكرها الكتاب المقدس لا من باب التسليم بأنها حقيقة، أنظر: إظهار الحق، ج١، ص١٢٢-١٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا التمييز ليس وليد لحظة سكنى بني إسرائيل مصر ولا وليد تسلم الفرعون الأخير حكم مصر بل إنه قديم جدا عزاه مفسر الكتاب المقدس إلى الانعزالية التي عاشها المصريون، وأرى أن هذا الأمر يقع ضمن معتقدات المصريين وضمن الطبقية التي طغت على الحياة المصرية آنذاك.

فمن النصوص التي تبين أن هذه النظرة كانت منذ زمن قديم ما جاء في سفر التكوين عندما نزل إخوة يوسف إلى مصر ليبتاعوا من طعامها واستضافهم يوسف عنده وكان في مجلسه بعض المصريين.

وجاء وقت تقديم الطعام فجاء في النص ما يلي:

"وقال –أي يوسف–: ((قدموا طعاما)). فقدموا له وحده، ولهم وحدهم –أي لإخوة يوسف– وللمصريين الآكلين عنده وحدهم، لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين، لأنه رجس عند المصريين".[تكوين:٤٣: ٣١و٣٢].

ثم تجري الأحداث في الكتاب المقدس بسرعة كبيرة من الزمن وذلك من زمن يعقوب ويوسف إلى زمن موسى والتي قدرت بأكثر من أربعمائة سنة ليولد موسى وليكبر وليكون مختارا بأمر من الرب ليقوم بمهمة إخراج بني إسرائيل من هذا الظلم(١).

في زمن موسى جرت أحداث جديدة ، فالرب رأى مذلة الشعب على يد الفراعنة، وسمع شكواهم، فاختار الرب موسى وهارون واسطة بينه وبين بني إسرائيل وبينه وبين فرعون، وذلك بعد أن خاطب الرب موسى في ذلك وبعد أن بين له موسى ضعفه عن أن يقوم بهذه المهمة وحده فجعل معه أخاه هارون(٢).

وأرى بأن موسى قد أوكلت إليه من الرب مهمتان، وأرى بأنه قد بدأت مهمة موسى الأولى بأن كلم بني إسرائيل في شأن الخروج من مصر، والذي قد عانى فيها من إقناعهم بسبب عنادهم من أن يخرجوا، ولقبولهم بهذه الحياة على مضض، وخوفهم من عواقب هذا الخروج الذي لا يعرفون مآله؛ لضعف إيمانهم وتصديقهم لما قاله موسى، وبعد جهد كبير من موسى انقادوا لأمره على تخوف شديد.

وكانت المهمة الثانية مع فرعون، حيث ذكر الكتاب المقدس أن موسى بين له أن لبني إسرائيل ربا، وأن الرب طلب من موسى أن يخرجهم من مصر إلى أرض ثانية، فأبى فرعون وأخذ يماطل موسى.

---

(١)انظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، حسن الباش، دار قتيبة للطباعة والنشر، سورية–دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م، ج١، ص١٩٨و١٩٩.

(٢)انظر: سفر الخروج الأصحاحات ٣–٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جئت بترتيب المهمتين على خلاف ما جاء في الكتاب المقدس.

فقد جاء الكتاب المقدس بالمهمة الثانية وهي الذهاب إلى فرعون ثم جاء بالمهمة الأولى وهي الكلام مع بني إسرائيل في شأن الخروج لأن المنطق والعقل يفرضان نفسيهما في أن يهيئ موسى الشعب أولا ثم ليذهب إلى فرعون ليكونوا على قلب رجل واحد في الأقوال والأفعال وفي استقبال ردود الأفعال.

جاء في الكتاب المقدس ما يلي: "وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون: ((هكذا يقول الرب إله إسرائيل: أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية)). فقال فرعون: ((من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق بني إسرائيل؟ لا أعرف الرب، وإسرائيل لا أطلقه)). فقالا: ((إله العبرانيين قد التقانا.....))".[خروج:٥: ١-٣].

بعدما رفض فرعون إطلاق بني إسرائيل قام موسى بالمعجزات التي أجراها الرب على يديه والتي ذكرها الكتاب المقدس بشكل مطول جدا في ستة أصحاحات من سفر الخروج ابتدأت في الأصحاح السابع وختمت في الأصحاح الثاني عشر عندما رأى فرعون أن المعجزات قد نالت من بكور المصريين فوافق بعدها على إطلاق بني إسرائيل ليخرجوا من مصر إلى أرض ميعادهم.

وأجمع موسى أمره مع بني إسرائيل للخروج من مصر خفية رغم موافقة فرعون وحصل الخروج، وهكذا خلص موسى الشعب من هذا الوضع الاجتماعي البائس الذي كان نتيجته أن أشفق الرب على بني إسرائيل فاختارهم شعبا له، واختار موسى وهارون قادةً لهذا الشعب.

والأصحاح٦ من سفر الخروج يلخص المهمتين مع بني إسرائيل ومع فرعون وبيان سبب الاختيار.

ثانيا: الأسباب الدينية:

أما بالنسبة للأسباب الدينية، فقد كانت النصوص المتعلقة به قليلة جدا وبألفاظ عامة ومختصرة إذا ما قورنت بغيرها من الأسباب.

تبدأ أول الأسباب الدينية في زمن نوح؛ فيذكر سفر التكوين أن الرب الذي خلق الكائنات وأراد لها حياة طيبة وأراها طريق النجاة أعطاها حرية التصرف في شؤون حياتها، ولكن الظلم ساد العالم وابتعد الناس عن الرب وعصوه، وابتعدوا عن كل ما فيه خير، فأراد الله أن يستبدل البشر الذي طغوا على سطح الأرض بآخرين، وأن تكون هناك حياة جديدة يكون فيها الناس متصلين مع الخالق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه. فقال الرب: "أمحوا عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم".[تكوين٦: ٥-٧]

وجاء أيضا في نفس السفر: "وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلما. ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض".[تكوين٦: ١٢].

عندما نزل آدم من الجنة حزن نسل آدم حزنا امتد إلى زمن بعيد حتى جاء زمن لامك بن متوشالح والذي أنجب ابنا دعاه نوحا آملا أن يكون تقيا قائلا: "هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا...."[تكوين٥: ١٩].

وعندما أراد الرب أن يقوم بهذا التغيير العظيم أراد أن يكون من يقوم بهذا التغيير على خلاف القوم العصاة فاختار الرب نوحا ليقوم بهذه المهمة، فقد كان رجلا صالحا وقد وجد نعمة في عيني الرب.

جاء في تفسير الكتاب المقدس: "**وأما نوح فوجد نعمة**". لئلا يظن أحد أن نوحا نجا من أجل أعماله الحسنة فقط...."(١).

إذن لم يكن صلاحه وتقواه هما اللذان جعلاه قادرا على أن يقوم بالمهمة التي سيوكلها إليه الرب، ولكن ما حباه الرب من حظوة جعلته أهلا لأن يختاره الرب من أجل إعادة الخلق إلى خالقهم.

وبالفعل فقد كلم الربُّ نوحا في هذا الأمر العظيم، وأمر نوحا بأن يبني سفينة ضخمة ليكون فيها نسله وكل زوج من الدواب ضمن عدد معين بحسب تصنيف هذه الدواب.

ثم جاء الطوفان ومحا الرب كل ما على الأرض كما قال ثم غاب الطوفان في الأرض وبعدها نزل الخلق من السفينة وانتشروا في الأرض.

كان أول فعل قام به نوح بعد أن نزل إلى الأرض أن بنى مذبحا للرب من أجل العبادة وبهذا يكون الرب قد اختار نوحا ليعيد علاقة الخلق مع الخالق(٢)؛ لأن من أسباب الاختيار الدينية أيضا بناء أماكن العبادة أو ما يسمى بـ(بيت الرب أو المذبح) وما يتعلق بها من حيث البناء ومن حيث ما يقام بها من طقوس دينية ومن حيث من يقوم فيها بهذه الطقوس.

---

(١)آرثر جون ماك، تفسير الكتاب المقدس، دار منهل الحياة، القاهرة-مصر، ط١، ٢٠١٢م، ص٦٧، وسأشير إليه في الصفحات الآتية تحت اسم (تفسير الكتاب المقدس(آرثر)).

(٢)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونجد كلا من سفري الخروج واللاويين يفيض بذكر أماكن العبادة وبيان المختارين لها وبيان السبب الديني للاختيار فيهما، فبعد أن خاطب موسى وهارونُ فرعون طالبَين منه أن يُخرج بني إسرائيل معهما من مصر حيث أخرجهم بعد جدال طويل بينهم، وبعد أحداث مرعبة حلت عليهم بسبب مراوغة فرعون لكنه في النهاية وافق على خروج بني إسرائيل بعد أن ضرب الرب مصر عدة ضربات كالدم والقمّل.... إلخ، وخرج بنو إسرائيل من مصر وأتم موسى أمر الله: "فدعا –فرعون– موسى وهارون ليلا وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعا"[خروج١٢: ٣١]، .

وأمر الرب أيضا بتعاليم يقوم بها بنو إسرائيل في الأرض فهم شعب الله المختار، فأول ما قام به بنو إسرائيل أن أدوا الشكر للرب من خلال طقوس فرائض الفصح والتي على العموم يقدمون فيها طعاما قربانا للرب، وليس لأي أحد أن يأكل منه إلا بشروط معينة كالختان مثلا لمن كان من خارج بني إسرائيل وأراد أن يكون معهم وينضم إلى طعامهم.

ثم جاء الرب وخاطب موسى في برية سيناء بعد أن صعد إلى الجبل وبين له بأنه يريد جمع بني إسرائيل ليكلمهم من خلال موسى في شأن الشرائع الدينية، وأول ما بدأ به كان العقيدة فكان مما ذكره الرب أن لا يعبد معه غيره، وكان مما ذكره الرب أيضا أن اختار له يوم السبت فلا عمل فيه بل يسبت قوم موسى فهو يوم اختاره الرب للعبادة بعيدا عن أي مكسب دنيوي.

"لا يكن لك آلهة أخرى أمامي..... وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك".[خروج٢٠: ٣-١٠].

وأمر الرب موسى بأن يصعد هو وهارون وبعض من شيوخ إسرائيل لملاقاة الرب، وبعد ذلك اختار الرب موسى من بينهم جميعا ليأخذ لَوحيْ الشريعة التي كتبها الرب فيهما لبني إسرائيل.

جاء في سفر الخروج: "وقال الرب لموسى: ((اصعد إلي إلى الجبل، وكن هناك، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم))..... وصعد موسى إلى جبل الله".[خروج٢٤: ١٢و١٣].

وكلم الرب موسى في شأن بيت للعبادة يكون لهم مركزا ولكنه اختار لهذا البيت مواصفات كثيرة وسمي بخيمة الاجتماع يجتمع فيها المختارون من بني إسرائيل لمخاطبة الرب في شؤونهم.

جاء في وصف بيت العبادة ما يلي: "وكلم الرب موسى قائلا: "التقدمة التي تأخذونها منهم: ذهب وفضة ونحاس، وإسمانجوني(حجر أزرق) وأرجوان وقرمز(ياقوت أحمر).... وشعر معزى، وجلود كباش محمرة وجلود تخس(حيوان الدلفين البحري) وخشب سنط(شجر الصمغ العربي)، وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر،....وحجارة ترصيع للرداء والصدرة. فيصنعون لي مقدسا))".[خروج٢٥: ١-٨].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا إضافة إلى الآنية الملحقة بالخيمة، وتابوت العهد وغطاءه، وثياب الكهنة المبتذلة وغيرها من الأشياء الكثيرة والتي ذكرها سفر الخروج من الأصحاح ٢٥ إلى الأصحاح ٢٩ وأجملها الأصحاح ٣٥.

أيضا من أسباب الاختيار الدينية أن عبادة الرب تحتاج إلى من يقوم بها، فاختار الرب هارون وأبناءه للقيام بطقوس الرب الدينية في بني إسرائيل، كما اختار أن يكون ذلك فيه وفي نسله إضافة إلى بني لاوي ليكونوا كهنة بني إسرائيل، والناظر في سفر اللاويين يرى شرائع الرب وأعمال الكهنة.

وأرى أيضا أن من أهم أسباب الاختيار الدينية هو كثرة ارتداد بني إسرائيل وتذمرهم على ربهم وعلى موسى ورجال الدين، فقد بين العهد القديم أن بني إسرائيل ارتدوا عن دين الله فوقع عليهم الذل من الشعوب الأخرى، فاحتاجوا إلى من يعيدهم إلى الدين، فاختار الرب لهم من يقودهم ويعيدهم إلى دينهم.

وأول ارتداد عن الدين كان عندما صعد موسى إلى جبل الله ليكلم الرب وبقي أربعين يوما فطلب بنو إسرائيل من هارون أن يصنع لهم عجلا ليعبدوه حسب ما في سفر الخروج: "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: "قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه".فقال لهم هارون: "انزعوا أقراط الذهب.... فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل، وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا: "هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر"[خروج٣٢: ١-٤].

وذكر سفر القضاة ما كان من ردة بني إسرائيل أكثر من مرة، فبعد أن مات يشوع بن نون ومات جيله ارتد بنو إسرائيل وتركوا عبادة الرب ليعبدوا آلهة أخرى ويتزوجوا من غير نساء بني إسرائيل –فهذه عندهم ردة عن دينهم– وأعطوا بناتهم لغيرهم، ويعتذر المفسرون لذلك بأن الجيل الجديد من بني إسرائيل لم يشهد الأحداث والمعجزات والمخاضات كما شهدها الجيل السابق ليعاينوا ذلك ويبقوا متمسكين بدينهم، فكان من السهل أن يرتدوا ويبقوا بلا دين أو أن يعبدوا ما يعاينوه من آلهة فعبدوا آلهة وثنية، فارتد بنو إسرائيل عن دينهم عشر مرات ابتداء من عجل هارون إلى آخر قاض مخلّص، والأسباب كثيرة فمنها ما كان من أجل ما شعروا به من فراغ ديني بسبب ابتعاد وإبطاء موسى عنهم ليكلم الرب؛ ولبعد الزمن ما بين جيلين منهم، ولأجل النساء، ومن أجل المال، وخوفا من أعدائهم، ولعدم ثبات قيم الدين عندهم(١).

---

(١) انظر: تفسير الكتاب المقدس(آرثر)، ص٤١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غضب الرب بعدها وجعل الأمم تتسلط عليهم حتى ضاق بهم الأمر، فأختار لهم الرب قضاة ليخلصوهم من هذا الأمر شريطة أن يرجعوا إليه فكان كلما خلصهم قاض ممن اختارهم الرب ومات ذلك القاضي، ارتدوا من ورائه وعبدوا آلهة أخرى يتقربون إليها بالفاحشة كالزنى وغيره ليعود تسلط الأمم عليهم.

وعندما ارتد بنو إسرائيل أول مرة وتسلطت عليهم الأمم صرخوا إلى الرب فاختار لهم أول قاض يسمى عُثنيئيل خلصهم من أعدائهم وبقي فيهم أربعين سنة ثم مات فعادوا وارتدوا بعده فاختار الرب إهود والذي خلصهم باغتياله لملك مؤاب الذي تسلط عليهم ثم ارتدوا بعدها فاختار الرب قاض يدعى شمجر.

وعندما ارتد بنو إسرائيل للمرة الرابعة وتسلطت الأمم عليهم ثانية أقام الرب لهم هذه المرة امرأة تقضي بينهم ولتخلصهم من أعدائهم، ولكنه في هذه المرة اختارها لتكون نبية إضافة إلى القضاء وقد قادت لتخليص بني إسرائيل حربا شرسة ضد أعدائها وانتصرت.

إذن ففي كل مرة ارتد فيها بنو إسرائيل كان الرب يختار لهم قاضيا يخلصهم من أعدائهم، ومنهم من كان إضافة إلى القضاء نبيا أو ملكا.

"وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم (آلهة وثنية)، وتركوا الرب إله آبائهم.... وساروا وراء آلهة أخرى، فحمي غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم.... فضاق بهم الأمر جدا. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم. وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي.... وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها" [قضاة:١١-١٩].

ثالثا: المكاسب والأسباب المادية:

تظهر الأسباب المادية في الاختيار بوضوح؛ فإبراهيم عليه السلام اختاره الرب ليكون هو ونسله من طريق إسحاق ثم يعقوب في أرض طيبة، واختار الرب الأرض التي تفيض لبنا وعسلا لموسى عندما كلمه في شأن هذه الأرض التي وعدها إبراهيم لينقل نسله إليها، ويختارها مستقرا لشعب الله، فخاطب الرب إبراهيم قائلا : "((اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك))"[تكوين١٢: ١].

وعمل كما أمره الرب آخذا معه زوجته ومقتنياته وآخذا معه ابن أخيه لوطا وذهب إلى أرض كنعان حيث ظهر له الرب فيها ثانية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال له: "((لنسلك أعطي هذه الأرض))"[تكوين١٢: ٧]، ثم انتقل إبراهيم إلى النقب، ليرعى غنمه وليدير تجارته.

ويذكر الأصحاح الثاني عشر من سفر التكوين أنه كان قد حدث في الأرض جوع شديد، فترك إبراهيم أرض كنعان ونزل إلى مصر وصار ذا أموال كثيرة، ثم خرج من مصر ليعود ثانية إلى الجنوب، وطلب أبرام من لوط أن يفارقه بسبب ازدياد أموالهما، وكأن إبراهيم قد نسي الأرض التي اختارها الرب.

فقد انشغل بأمواله، فاختار لوط أول حدود الأردن الفاصلة عن كنعان وسكن إبراهيم أرض كنعان.

بعد ذلك كلم الرب إبراهيم؛ لينقله من حالة إلى أخرى مازجت بين الدين والاقتصاد، فأمره الرب بالختان كتشريع وكتمييز لنسله، وبين له ما سيكون من كثرة النسل والأرض: "وتكلم الله معه قائلا: "أما أنا فهوذا عهدي معك.... لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون.... وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك..... هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم".[تكوين١٧: ٢-١١].

مات إبراهيم –كما ذكر العهد القديم– وانتقلت الثروة إلى إسحاق، ونزل إسحاق في جرار وزرع فيها ونمّى مواشيه حتى صارت عظيمة جدا حتى إن ملك الفلسطينيين في ذلك الزمان حسده على ما هو عليه وطلب منه أن يرحل من المكان فرحل، ومات إسحاق بعدها وقد حقق ما كان من التجارة العظيمة التي ورثها عقبه دون أن يذكر الكتاب المقدس لأي واحد منهما جهدا للدين سوى مذبح بناه إبراهيم للرب.

وفي زمن موسى عليه السلام يخاطب الرب موسى بأنه قد رأى ما كان من ذل واستعباد وقع فيه بنو إسرائيل من قِبل فرعون وشعبه، فيخاطب الرب موسى بأنه سيخرجه وبني إسرائيل من مصر وأنه كان في السابق قد اختار أرضا وعدها إبراهيمَ من قبل أنها ستكون له ولنسله وبين الرب أنه سينزلهم أرضا تفيض لبنا وعسلا دون أن يبين شيئا من أمور الاختيار من أجل الدين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاطب الرب موسى: "إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا"[خروج٣: ٧و٨].

وقد ذكر العهد القديم أرض الميعاد بهذه الصفة –تفيض لبنا وعسلا– في أكثر من موضع: "وأنا أرسل أمامك ملاكا.... إلى أرض تفيض لبنا وعسلا" [خروج٣٣: ٢و ٣].

"وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضا تفيض لبنا وعسلا. أنا الرب إلهكم الذي ميزكم" [لاويين٢٠: ٢٤].

وخرج موسى ببني إسرائيل كما أراد الرب من مصر؛ ولكن الرب طلب من موسى قبل الخروج طلبا غريبا، فقد طلب منه أن لا يخرج بنو إسرائيل فارغين بل يقوم كل واحد منهم بسرقة المصريين.

وخرجوا بما سرقوا دون أن يُشعروا المصريين فيستعيدونها: "وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين. بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم. **فتسلبون** المصريين".[خروج٣: ١٢و٢٢].

بدأت رحلة الخروج لموسى وبني إسرائيل، وكانت رحلة مليئة بمواقف ومحطات غريبة، منها أنهم خرجوا إلى أرض الميعاد لأجل تكوين الثروات، لذلك كلما كانت تحدث حادثة كانوا يتذمرون على الرب وعلى موسى وينهالوا على موسى بألوان اللوم والمعاتبة من أجل ما وعدهم من معيشة غنية بالمال والمواشي واللبن والعسل اللذان تفيض بهما أرض الميعاد فمما قاله الشعب عندما تذمر ما يلي:

" فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية. وقال لهما بنو إسرائيل: "ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع".[خروج١٦: ٢و٣].

"وتذمر الشعب على موسى وقالوا: "أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش؟".[خروج١٧: ٣].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأخيرا فإن أغرب نص ورد في العهد القديم هو ذلك النص الذي جاء ليبين أن الرب اختار بني إسرائيل وأعطاهم ثروة ليكونوا معه ولا يذهبوا إلى آلهة غيره ويسجدوا لها، ويفهم أيضا أنه اختارهم ليعبدوه مقابل الثروة لا من أجل عبادته فحسب فلا تهم الشعائر ولا يهم بعدها أي شيء آخر ولا عبادة من دون مال، فقد جاء في سفر التثنية ما يلي: "((بل اذكر الرب إلهك، إنه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة، لكي يفي بعهده الذي أقسم لآبائك كما في هذا اليوم. وإن نسيت الرب إلهك، وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها، أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة. كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم....إلخ))[تثنية٨: ١٨ -٢٠].

النص يؤكد أنه من أجل الثروة كان اتباع الرب وذلك من خلال القسم الذي ألزم به الرب نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الاختيار في العهد الجديد

كنت قد بينت في مقدمة المبحث الأول أن هناك اختلافا بين العهد القديم وبين العهد الجديد، ذلك وأن كل عهد يستدعي طرقا معينة من الاختيار بحسب مقتضى الحال، وأنها قد برزت فيه شخصيات كانت تُعتبر محور العهد الجديد أحوالها مختلفة، وأن هناك تغيرا في أسباب الاختيار.

سأبين في هذا المبحث الطرق والكيفيات والأسباب التي من أجلها كان الاختيار مدللا على ذلك ببعض النصوص من أسفار العهد الجديد ومقابلا ذلك مع ما كان الطرق والأسباب في العهد القديم.

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين كما يلي:

المطلب الأول: طرق الاختيار في العهد الجديد وبعض النصوص الدالة عليه.

المطلب الثاني: أسباب الاختيار في العهد الجديد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: طرق الاختيار في العهد الجديد وبعض النصوص الدالة عليه.

الاختيار بتكليم الله:

كلم الرب في العهد الجديد عيسى عليه السلام أو (يسوع)، فعندما ذهب إلى يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) وأراد أن يتعمد فما أن خرج من الماء حتى جاءه الصوت من السماء والذي لا يمكن إلا أن يقال أنه صوت الرب والسبب هو تقييد النص بأن صاحب الصوت قد قال عن يسوع: ((ابني)) فدل ذلك على اختيار يسوع ولكن دون أن يعرف بأنه نبي أم رب أم أنه مبشر بشيء أو أن المنادى شخص آخر لكن النص يبين أن المقصود هو (يسوع): " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه، وصوت من السماوات قائلا: ((هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به))"[متى٣: ١٦و١٧].

ولكن هناك تغيرا كبيرا قد حدث في العهد الجديد وهو أن الرب قد صار له ابن ولذلك فقد انتقل الخطاب من الرب والذي يدعوه الكتاب المقدس بـ(الآب) إلى الابن الذي أقامه من الأموات ليختار الابنُ شخصا يدعى بولس ويكلمه فيبدأ بعدها بولس رحلاته الدعوية مبشرا بملكوت الرب الابن(١): "أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناسا من الطريق، رجالا أو نساء، يسوقهم موثقين إلى أورشليم. وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له:((شاول، شاول! لماذا تضطهدني؟)). فقال:((من أنت يا سيد؟)). فقال الرب: ((أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس)). فقال وهو مرتعد ومتحير:((يا رب ماذا تريد أن أفعل؟)). فقال له الرب:((قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل)).[أعمال الرسل٩: ١-٦].

الاختيار بواسطة تكليم ملاك الرب:

ذكرت أن من طرق الاختيار إرسال الله تعالى ملائكة يكلمون المختارين مبينين لهم تعاليم الرب ومدافعين عنهم أو منزلين العقاب لما كان من معصية أو مبشرين أو منذرين.

---

(١)ملكوت الله ، ملكوت السماوات، ملكوت الرب: تفيد هذه العبارة عدة معان –عند أهل الكتاب المقدس– فهي تعني حياة التقوى في القلب، والنظام الذي أتى المسيح لينظمه، وتفضل شعب الله حسب اختيار الرب، ومجد المسيح وتسلطه، وسلطان الله على الكل، والحالة السماوية، قاموس الكتاب المقدس، حرف الميم، ص٩١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأريد أن أبين هنا أن العهد الجديد قد ذكر أن ملاك الرب قد خاطب الأشخاص فعلا واختارهم لمهمات على الواقع وهم في وعيهم مباشرة ودون واسطة.

فقد كلم ملاك الرب جبرائيلُ مريم العذراء مسلَّما عليها ومبلغا لها بأنها حظيت باختيار الرب لها وبإنعامه عليها، ومبشرا لها بمولود سيدعي يسوع وسيكون عظيما(١): "وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله.... إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود.... واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال: "سلام لك أيتها المنعم عليها! الرب معك. مباركة أنت في النساء".... وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما))"[لوقا١: ٢٦-٣٢].

الاختيار بالرؤيا:

والاختيار بالرؤيا جاء على وجهين فقد جاء الرب بالرؤيا وكلم المختارين، كما جاء ملاك الرب بالرؤيا وكلم المختارين أيضا، وأول ما بدأ العهد الجديد في الاختيار كان من خلال الرؤيا وذلك في أول إنجيل فيه (إنجيل متى) فقد كلم ملاك الرب يوسف خطيب مريم في المنام.

ذكر العهد الجديد أن نجارا يدعى يوسف تقدم لخطبة مريم العذراء فتفاجأ أنها أثناء الخطبة كانت حاملا، فقرر أن يتركها دون أن يظهر ذلك للناس خوفا من أن ترجم عقوبة على الزنى(٢)، وبينما هو نائم جاء إليه ملاك الرب في المنام وبين له أن مريم لم تقم بفاحشة وأن ما في بطنها هو تقدير الرب واختياره بأن تحبل من الروح القدس: "إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا: "يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم".... فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب"[متى١: ٢٠-٢٤].

كما كلم ملاك الرب يوسف في الرؤيا ثانية طالبا منه أن يهرب بامرأته وبمولوده إلى مصر حتى لا يقتله ملك اليهود، وذلك بعدما ظهر نجم يسوع في السماء وعرف أمره منجمون من المجوس قدموا ليروه ويسجدوا له، فاضطرب الملك في ذلك الزمان والمدعو هيرودس خوفا على ملكه فأراد قتل هذا المولود، ليتم هناك –حسب ما يدعيه كاتب الإنجيل– إتمام اختيار آخر وهو اختيار الرب ليسوع(٣).

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس(آرثر)، ص١٦٦٧.

(٢)انظر: تفسير الكتاب المقدس(آرثر)، ص١٥١٦.

(٣)انظر: تفسير الكتاب المقدس(آرثر)،ص١٥١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وبعدما انصرفوا، إذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا: ((قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر....لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه))...لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: ((من مصر دعوت ابني))"[متى٢: ١٣-١٥].

الاختيار بالختان:

أكتفي في هذه الطريقة من طرق الاختيار بذكر حالتي ختان ذكرتا في العهد الجديد: الحالة الأولى هي ختان يوحنا المعمدان، والثانية هي ختان يسوع.

كان الختان في العهد الجديد ما يزال موجودا ليفرز شعب الله المختار لفترة من الزمن(١)، ثم بعد ذلك تم إلغاء الختان بل وأصبح محرما ومحاربا وصار يُذم من يقوم بذلك، وسأبين الأسباب التي دعت إلى ذلك في الفصل الثالث عند الحديث عن بولس وما جاء به من تشريعات في عهده الجديد.

عندما ولد يوحنا المعمدان (يحيى -عليه السلام-) ختن في اليوم الثامن تبعا لوصية الله الواردة في سفر التكوين في أن يختن المولود في اليوم الثامن ومن ثم تمت تسميته بيوحنا، والذي بدأ الكلام بمجرد أن ختن: "وأما أليصابت فتم زمانها لتلد، فولدت ابنا. وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها، وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبي، وسموه باسم أبيه زكريا. فأجابت أمه وقالت:"لا! بل يسمى يوحنا". فقالوا لها:"ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم". ثم أومأوا إلى أبيه، ماذا يريد أن يسمى. فطلب لوحا وكتب قائلا:((اسمه يوحنا)). فتعجب الجميع. وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم..."[لوقا١: ٥٧-٦٣].

كما ذكر العهد الجديد ختان يسوع (عيسى -عليه السلام-) بعد أن أتم ثمانية أيام حسب وصية الرب، وتمت تسميته من قِبَل ملاك الرب قبل أن تحمل به أمه مريم، فسمي بعد اليوم الثامن يسوعا: "ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع، كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن"[لوقا٢: ٢١].

الاختيار بالمسح:

نُعت يسوع بالمسيح مما يُشعر أن المسح سيكون رمزا للمسيح وصفة اختيار ذات طقوس معينة ترافق يسوع المسيح أو من سيكون مختارا لأمر لاهوتي.

---

(٢)انظر: سفر التكوين١٧: ١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن المسح المذكور في العهد القديم يختلف عن المسح المذكور في العهد الجديد، وبالرغم من تسمية يسوع بالمسيح فقد كان ذكر الاختيار بالمسح وطقوسه في العهد القديم أكثر من العهد الجديد، وقد انحصر المسح في العهد الجديد في شخص يسوع.

(والمَسيحُ: الصِّدِّيقُ وَبِهِ سُمِّيَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِصِدْقِهِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ بِهِ لأَنه كَانَ سَائِحًا فِي الأَرض لَا يَسْتَقِرُّ، وَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنه كَانَ يَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَى الْعَلِيلِ والأَكمه والأَبرص فَيُبْرِئُهُ بإِذن اللَّهِ.... وَقِيلَ: سَمِّيَ مَسِيحًا لأَنه خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمه مَمْسُوحًا بِالدُّهْنِ)(١).

وجاء في دعاء المؤمنين للرب من أجل يسوع عندما تآمر اليهود لقتله وسلموه إلى بيلاطس وهيرودس ما يلي: "أيها السيد، أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، القائل بفم داود فتاك: لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل؟ قامت ملوك الأرض، واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس الذي مسحته، هيرودسُ وبيلاطس" [أعمال الرسل٤: ٢٤-٢٧].

وجاء في كلام بطرس وهو يبشر بيسوع أن الرب اختار يسوع وأن اختياره كان بالتعميد وبالمسح: "أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية مبتدئا من الجليل، بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا. يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيرا ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس، لأن الله كان معه"[أعمال الرسل١٠: ٣٧و٣٨].

حتى في العهد الجديد ذُكر المسح بناء على ما جاء في سفر إشعياء النبي والذي كان قد أعطي ليسوع ليفتحه ويقرأ منه نص المسح:

"ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبا فيه:((روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب....))"[لوقا٤: ١٧و١٨].

<u>الاختيار بالتعميد:</u>

أرى من خلال نصوص العهد الجديد المتعلقة بالتعميد أن التعميد كان من طرق الاختيار للجميع، فكل من أراد المسيحية كان يتعمد، ولم يكن حكرا على أحد إلا من كان خارج المسيحية فلا تعميد له.

---

(١) لسان العرب، مجلد ٢، باب الحاء، ص ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعتبر تعميده قبوله النصرانية ثم بعد ذلك إن أراد التعميد كان له ذلك.

فقد تعمد يسوع المسيح من قبل يوحنا المعمدان والذي كان يوحنا يعرف قدره وقال بأن يسوع يعمِّد ولا يتعمَّد ولكن يسوع أصر على التعميد فيخاطبه الرب بعد التعميد مباشرة، وقد ذكر العهد الجديد أن التعميد كان في الأردن: "حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليتعمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلا: ((أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي!)). فأجاب يسوع وقال له: ((اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر))[لوقا٣: ١٣-١٥].

وأول ما ابتدأ به إنجيل مرقس كان التعميد، فقد عمد يوحنا العوام من أجل التوبة وتكفير الخطايا: "كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة ليغفر الخطايا. وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن".[مرقس١: ٤و٥].

أما سمعان أو الملقب ببطرس فعندما ذهب إلى منطقة تدعى قيصرية، استقبله أحد الأشخاص الذين آمنوا بدعوته ليسوع، وطُلب منه أن يتكلم مكرزا بيسوع فابتدأ الكلام عن يسوع من عند التعميد ليذكر أن يوحنا المعمدان كان يعمد الناس بعد أن ذاع خبر يسوع، والتعميد نوعان: تعميد بمعنى انصياع الناس لأوامر يوحنا متقبلين ما جاء به من تكريز عن يسوع(١).

والتعميد الآخر هو ما قصد به من طقس التعميد بالماء: "أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية مبتدئا من الجليل، بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا، "[أعمال الرسل١٠: ٣٧].

وأرى أن التعميد الذي ذكر دون الماء هو ليس بالتعميد حقيقة، ذلك أن كتاب الأناجيل والأسفار قد ذكروا التعميد دون الماء على المجاز، فعلى سبيل المثال في سفر رومية جاء على لسان بولس ما يلي: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنَّا معه بالمعمودية"[رومية٦: ٣و٤].

وقد جاء تفسير الكتاب المقدس مبينا المقصود بالمعمودية في النص السابق ما يلي: "هذه ليست إشارة إلى معمودية الماء. فإن بولس في الواقع يستخدم كلمة ((اعتمد)) بمعنى مجازي، كما قد نفعل حين نقول عن شخص ما إنه غاطس في عمله.... ذلك أن جميع المؤمنين بالمسيح إذ وضعوا فيه إيمانهم المؤدي إلى الخلاص غطسوا في شخصه روحيا"(١).

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٨٧٦، تفسير معمودية يوحنا، ص١٨٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن فمن خلال فالتعميد بالماء يكون الشخص محط نظر الرب دون غيره، ولذلك غضب اليهود غضبا شديدا على أحد حواريي المسيح (بطرس) لأنه عمد من ليسوا من شعب الله المختار: "فقال بطرس: " أيستطيع أحد أن يمنع الماء فلا يتعمد أيضا هؤلاء.... وأمر أن يتعمدوا باسم يسوع المسيح حينئذ سألوه أن يمكث أياما"[أعمال الرسل١٠: ٤٧و٤٨].

"فسمع الرسل....في اليهودية أن الأمم أيضا قبلوا كلمة الله. ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان، قائلين:" إنك قد دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم"[أعمال الرسل١١: ١-٣].

<u>الاختيار من خلال حلول الروح:</u>

ولدت أليصابات مولودها يوحنا المعمدان ابن زكريا -عليهما السلام- الذي تم ختانه وتسميته في اليوم الثامن والذي تحدث بعد ذلك مباشرة، ثم بعدها حلت روح الرب على زكريا فتحدث عن أمور تعلقت بيوحنا وشكر الرب لأنه سيجعل يوحنا فداء له، وتحدث عن أهمها وهو أن يوحنا مختارٌ ليكون نبيا للرب: "وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلا: ((مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه، وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه. كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر خلاص من أعدائنا.... وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه))"[لوقا١: ٦٧-٧٦].

ويبين تفسير الكتاب المقدس ماهية هذه الحالة التي يمر بها من تحل عليه الروح بأنها حالة يوجه الشخص من خلالها كلامه إلى أفراد معينين من أجل الإخبار بشيء محدد يتعلق بالعبادة كالإخبار بالاختيار أو الإخبار بتشريع(٢).

ولكن عندما ذهب بولس إلى أفسس وجد تلاميذ تابعين ليوحنا المعمدان فأراد أن يدعوهم إلى دعوته الجديدة في تأليه يسوع والتي لم يسمعوا بها ولم يخبرهم بها يوحنا من الأصل، إلا إن بولس والذي يأخذ بالمجاز كما ذكرت بين لهم أن التعميد الذي اعتمد به تلاميذه هو التبشير بيسوع -ضمنا- والذي سيأتي بعد يوحنا ويكون ابنا للرب.

آمن التلاميذ بما قاله بولس واعتمدوا فجاء بولس ووضع يديه عليهم فحلت عليهم الروح القدس وكانت نتيجة حلول الروح أنهم صاروا يتكلمون بعدة لغات.

---

(١)تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٩١٣.

(٢)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، تفسير الفقرة ١: ٦٧، ص١٦٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وصارت فيهم ميزة من مميزات الأنبياء المختارين بأن صاروا يتنبئون: "....أن بولس بعدما اجتاز في النواحي العالية جاء إلى أفسس. فإذا وجد تلاميذ قال لهم:"هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟". قالوا له: "ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس". فقال لهم:"فبماذا اعتمدتم؟". فقالوا:"بمعمودية يوحنا". فقال بولس:"إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة". قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع". فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع. ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبئون"[أعمال الرسل١٩: ١-٦].

الاختيار بواسطة عيسى عليه السلام:

اختار عيسى عليه السلام اثني عشر شخصا دعاهم بالرسل، وقد اختارهم من تلاميذه الذين اتبعوه إلا إنه لا يُعرف الأساس ولا الطريقة التي بناء عليها قد تم اختيار هؤلاء الرسل.

فبدؤوا بنشر دعوة يسوع والإنجيل، والتبشير بملكوت الرب بعد أن أرشدهم من خلال بعض التعاليم والأمثلة، ولم يذكر العهد الجديد إن كان اختيار التلاميذ كان من الرب الآب أو من نفسه باعتباره نبيا أو باعتباره ابن الرب.

"واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضا ((رسلا: سمعان الذي سماه أيضا بطرس وأندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس. متى وتوما. يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يدعى الغيور. يهوذا أخا يعقوب، ويهوذا الإسخريوطي الذي صار مسلّما أيضا.[لوقا٦: ١٣-١٦].

وسبب عدم ذكري اختيار يسوع لبولس، فأقول أن ما كان من حوار ما بين بولس ويسوع عندما ظهر له لا يبين أن هناك ما يدل على الاختيار وسأبين ذلك في الفصل الثالث(١).

الاختيار دون معرفة الطريقة أو معرفة الأشخاص أو معرفة السبب:

ورد في العهد الجديد اختيار دون معرفة من هم المختارون أو كيف تم اختيارهم، ودون معرفة من اختارهم؛ أهو الرب أم الابن أم بولس أم بالقرعة، ولا يعرف سبب الاختيار هل هو من أجل تأكيد تشريع معين أم لقيادة الأمم دينيا أم لقيادتها سياسيا ... إلخ.

راجع: ص١١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا شخص اسمه سمعان عاش في أورشليم وقد كان كاهنا أو ما شابه ذلك، كان يدعو الله أن يرى المسيح المخلص، وكان قد حل عليه الروح القدس، وأوحى له الروح القدس بأن ما طلبه مستجاب، فعندما نزل يوسف ومريم بيسوع وهو رضيع من أجل طقوس الناموس وكان قد ذهب سمعان إلى الهيكل أو أن الروح القدس قد أنزله –كما فهمت من النص– إلى الهيكل في تلك اللحظة، رأى يسوع وعرف أنه المسيح والمخلص الذي كان ينتظر ثم بعد ذلك يفترض أن سمعان قد مات فقد وعده الرب بهذا: "وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه. وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب. فأتى بالروح إلى الهيكل. وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه، ليصنعا له حسب عادة الناموس.

أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك، الذي أعددته قدام وجه الشعوب"[لوقا٢: ٢٥-٣١].

فسمعان هذا لا يُعرف من هو ولا توجد له ترجمة، حتى أن كتب التفسير لم تذكر عنه معلومة، وهو ليس سمعان المعروف ببطرس؛ لأن اسم أو لقب سمعان قد كان مشهورا في اليهودية(١).

جاء في سفر أعمال الرسل ما يلي: "وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية. وقام واحد منهم اسمه أغابوس، وأشار بالروح أن جوعا عظيما كان عتيدا أن يصير على جميع المسكونة، الذي صار أيضا في أيام كلوديوس"[أعمال الرسل١١: ٢٧و٢٨].

هذه مجموعة من الأنبياء لا يعرف كيف تم اختيارهم للنبوة ولم يعرف من اختارهم للنبوة، هل هو الرب أم يسوع أم بولس، لكن تفسير الكتاب المقدس بين أنهم مبشروا العهد الجديد، وبين أيضا شخص أغابوس بأنه قد كان خادما لبولس عندما بدأ دعوته التي قام بها ولكن بعد سنوات عدة من نزول هؤلاء الأنبياء إلى أنطاكية(٢).

ولا يمكن الجزم أو الاحتمال أن هؤلاء الأنبياء في النص السابق هم نفس الأنبياء الذين ذكروا ضمن فقرات الأصحاح الثالث عشر من نفس السفر لأسباب كثيرة منها:

١– ورد في النص: "وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون...."[أعمال الرسل١٣: ١].

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٦٧٢.

(٢)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٨٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يبين أن هؤلاء الأنبياء كانوا أصلا في الكنيسة بخلاف النص الأول والذي يبين أن الأنبياء قد انحدروا من أورشليم إلى أنطاكية.

٢- أن النص قد بين أسماء الأنبياء الذين كانوا في الكنيسة: "برنابا، وسمعان الذي يدعى نيجر، ولوكيوس القيرواني، ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع، وشاول"[أعمال الرس١٣: ١] في حين لم يبين النص الأول أسماء الأنبياء إلا أغابوس والذي لم يرد اسمه مع الذين تم ذكرهم في النص الأخير(١).

٣- بين تفسير الكتاب المقدس مهمة كل جماعة من الأنبياء، فالأنبياء الذين نزلوا أنطاكية نزلوا ليبشروا بالعهد الجديد وليخدموا المحتاجين الساكنين في اليهودية بسبب الجوع الذي تنبأ به أغابوس(٢).

بينما الأنبياء الذين كانوا في الكنيسة من قبل يعملون على التبشير بيسوع، وإرشاد أهل المكان، ثم في نهاية الأمر كانت مهمتهم العمل على خدمة المعلمين والمبشرين.

المطلب الثاني: أسباب الاختيار في العهد الجديد.

أرى بأن أسباب الاختيار في العهد الجديد كانت دينية ولم تكن كما في العهد القديم؛ فقد كانت في العهد القديم اقتصادية في الأساس ثم بعدها تأتي الأسباب الاجتماعية ودينية، فكانت في العهد الجديد دينية بحتة وهذا يظهر بجلاء من أول العهد الجديد إلى نهايته.

فالأناجيل الأربعة جاءت لتبين أن يسوع جاء ليرد بني إسرائيل إلى صوابهم وليبعدهم عن مظاهر الشرك ولينقلهم في التشريع نقلة مختلفة عما كان في التشريع الموسوي ولا بأس في ذلك طالما أن التشريع من الله فهو يفعل ما يشاء من التشريع بما أنه هو الخالق المتصف بالكمال.

<u>الأسباب الدينية:</u>

اكتشف يوسف النجار أن مخطوبته مريم كانت حبلى من قبل، ولم يرد أن يفضحها وأراد أن يطلقها، فجاءه الخطاب بأن لا يطلقها وأن يتم الزواج ومختصر السبب هو أن المولود الذي في أحشائها مختار من الرب إلى بني إسرائيل ليخلصهم مما ارتكبوه بسبب بعدهم عن شرع الله، فقد خاطب ملاك الرب يوسف النجار قائلا: "((فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم))"[متى١: ٢١].

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٨٥٠.

(٢)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٨٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاختار الرب مريم لتحبل بهذا المولود واختار هذا المولود ليكون هو المخلص لبني إسرائيل حتى إن الرب اختار اسمه (يسوع) والذي يعني (المخلص)(١).

وافتتح سفر أعمال الرسل الكلام عن اختيار يسوع للرسل بواسطة الروح القدس وهذا يعني أن الروح القدس اختارهم وكان معهم وهذا الاختيار لم يكن إلا لأسباب دينية أهمها أن يكملوا ما جاء به يسوع.

ويوصلوا ما جاء به من تعاليم وليبشروا –كما أورد النص– بملكوت الرب وهذا ما بينته الفقرات الأولى من سفر أعمال الرسل ومن أول أصحاح(٢): "إلى اليوم الذي ارتفع فيه، بعدما أوصى بالروح القدس الذين اختارهم. الذين أراهم نفسه حيا ببراهين كثيرة بعدما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوما، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله. وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم،.....فقال لهم: "..... لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودا في أورشليم وفي كل اليهودية"..... هؤلاء كانوا كلهم يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطِّلْبة"[أعمال الرسل١: ٢-٤، ٧و٨و١٤].

لم تُذكر في العهد الجديد بعض أسباب الاختيار الدينية والتي كنت قد ذكرتها في العهد القديم، ومن هذه الأسباب أيضا ما كان قد تغير، فاختيار المكان لإقامة الشعائر –مثلا– ليس موجودا في العهد الجديد؛ لأن اليهود –وكما يذكر العهد الجديد– صاروا يعيشون في أورشليم والتي كانوا قد وُعدوا بها وما حولها كأرض مباركة تفيض لبنا وعسلا، بل وتوزعوا في أنحاء المناطق المجاورة وكأن الحياة في العهد الجديد قد صارت أكثر مدنية مع شيء بسيط من التحفظ من جهة الديانة ومن جهة الطائفية

ومن حيث أنظمة الحكم وهذا واضح من ذكره في العهد الجديد في جميع أسفاره وواضح من حيث تنقل اليهود إلى أي مكان يريدون.

والناظر في قصة شاول بولس –مثلا– يجد أنه قد تنقل بين عدة أماكن دون اعتراض من أحد، ودون أن يتجسس ليرى خطورة المكان وقوة أهل المكان، وإنما واجه المشكلات والاعتراض عندما جاء بشيء جديد وبدأ يبثه بين الناس على أنه دين.

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٥١٦.

(٢)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٨٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وتغيرت خصوصية اختيار الرب لشعب بني إسرائيل وحدهم من دون الناس، فقد أخذ الاختيار يشمل الأمميين رغم ما كان يوجد من مناوشات بين اليهود والأمميين، بل إن روح القدس قد حلت على الأمميين على مرأى من اليهود ومن كان على شاكلتهم عندما قام بطرس يعظ الناس ويعظهم ويبشر بملكوت الرب.

"بينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة. فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان،.... لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضا. لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله. حينئذ أجاب بطرس:((أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يتعمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس....؟)). وأمر أن يعتمدوا باسم الرب"[أعمال الرسل١٠: ٤٤-٤٨].

وقد حصل اعتراض من بعض اليهود على ما قام به بطرس فبين لهم أن هذا إنما كان اختيار من الرب ليشمل حتى الأمميين ومن لم يختتن فأذعن اليهود للأمر:

"فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية أن الأمم أيضا قد قبلوا كلمة الله. ولما صعد بطرس إلى أورشليم، خاصمه الذين من أهل الختان، قائلين:((إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم)) فابتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع..... فلما ابتدأت أتكلم حل الروح القدس عليهم كما علينا أيضا في البداءة..... فلما سمعوا ذلك سكتوا، وكانوا يمجدون الله قائلين:((إذاً أعطى الله الأمم أيضا التوبة للحياة!))"[أعمال الرسل١١: ١-٤و١٥و١٨].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

بيان الاضطراب في طرق الاختيار في الكتاب المقدس

سأبين في هذا المبحث أن قضية الاختيار متمثلة بطرقها قد كانت مضطربة وغير منضبطة، مبينا الردود على ما جاء في الكتاب المقدس بعهديه.

ثم سأقوم ببيان ما ينبغي أن يكون عليه اختيار الأنبياء بشكل عام متناولا بعض ما جاء في الكتاب المقدس من نصوص خالفت أحوال الأنبياء.

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين كما يلي:

المطلب الأول: بيان اضطراب طرق الاختيار في الكتاب المقدس.

المطلب الثاني: ترجيح سبب الاختيار من أجل المكاسب المادية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: بيان اضطراب طرق الاختيار في الكتاب المقدس.

الاختيار بتكليم الله:

اتفق القرآن الكريم مع الكتاب المقدس في الاختيار من خلال تكليم الرب ومن خلال تكليم ملاك الرب إلا إنه خالفه في بقية طرق الاختيار.

أما بالنسبة لطريقة الاختيار في الكتاب المقدس للمختارين من خلال تكليم الرب فقد خالف القرآن الكريم –أيضا– الكتاب المقدس في المختارين.

جاء اختيار الله في العهد القديم من خلال تكليم المختارين الذين أرادهم أن يقوموا بمهامّ الاختيار.

وأول من كلمه الله هو آدم، ثم نوحا، ثم بعدها كلم الكثير من المختارين كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون ومريم ويشوع وصموئيل إلى أن كلم الله زكريا وهو آخر من كلمه الله في العهد القديم.

فآدم –عليه السلام– قد قام برعاية الجنة –كما يدعي العهد القديم– حتى إنه عندما أكل من الشجرة وبدأت أحداث الأرض كان بمثابة خليفة عن الرب عليه القيام برعاية الأرض وأن يبقى متصلا مع الله تعالى وعابدا له.

ونوح –عليه السلام– قد قام بأمر الله باستبدال البشر من خلال معجزة الطوفان العظيمة عندما طغى الناس على وجه الأرض وابتعدوا عن الله، فكان هذا الأمر تغييرا كليا لتاريخ الأرض وأحداثها ليكوّن نواة لحياة جديدة على وجه الأرض.

وإبراهيم –عليه السلام– كلمه الرب مختارا له ولنسله بأنه سيكون أمة وسيكثر نسله وأن نسله سيكون أفضل نسل على وجه الأرض، ومع ذلك نسب الكتاب المقدس له الدياثة عندما تخلى عن زوجته سارة إلى ملوك مصر مرتين.

وموسى عليه السلام نقل بني إسرائيل نقلة كاملة من عبيد مستضعفين عند أهل مصر إلى أحرار وملوك، وهو الذي أحل الله من أجله وقومه على أهل مصر أنواعا من العقوبات التي اتصفت بالإعجاز وهو الذي انشق له ولقومه البحر، وهو الذي قد جاء لهم بالتشريع من عند الرب.

يشوع (يوشع عليه السلام) والذي لم يكن ليدخل واحد من بني إسرائيل الأرض المباركة من دونه فقد كانت حربه معجزة تغير فيها ناموس الوقت(١).

– ----------

(١)قال رسول الله ﷺ: ((غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولمّا يبنِ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها، قال: فغزا، فأدنى للقرية حين صلاةِ العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها علي شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه))، (صحيح مسلم، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، ج٣، ص١٣٦٦)===

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: إن كلا من آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وأيوب ليسوا أنبياء في الكتاب المقدس ولا يعتد بهم كأنبياء، بينما هم أنبياء عند المسلمين وجب الإيمان بهم بنص القرآن الكريم والسنة النبوية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾آل عمران: ٣٣.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾الأنعام: ٨٣ – ٨٦.

لقد ذكر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس بيان حال بعض الأنبياء بأنهم أناس عاديون وليسوا أنبياء، غير أنهم كانوا مختارين لمهمات أوكلها الرب إليهم ثم انتهى الأمر، وقد نعتوا بنعوت غير لائقة، فقد جاء في التفسير تحت عنوان (يستخدم الله أناسا عاديين) ما يلي: "يستخدم الله أناسا من كل نوع لإنجاز عمله، مثلك ومثلي:

يعقوب كذاب ليكون أبا للأمة الإسرائيلية، يوسف عبد ليخلص عائلته، موسى راعٍ في المنفى (وقاتل) ليخلص بني إسرائيل من العبودية إلى أرض الموعد، داود راعٍ وأصغر إخوته ليكون أعظم ملوك إسرائيل(١).

ولم يذكر الكتاب المقدس أي شيء عن نبوتهم؛ لأنه اعتبرهم رعاة وعبيدا، والمتتبع لترجمات الأنبياء في التفسير التطبيقي يجد أنه لم يذكر أحدا بالنبوة ممن بينهم لنا الكتاب وبينتهم السنة النبوية إلا القليل كزكريا ويوحنا (يحيى) –عليهما السلام–.

ثانيا: إن الرب كان يظهر لأي شخص أو يكلم أي شخص وهذا لم يكن ليوجد في الإسلام إلا للأنبياء والملائكة وإلا فما الفائدة من التشريع وما الفائدة من الأنبياء إذا كان الرب سيظهر لأي شخص ويخبره ماذا يفعل وماذا يترك.

===وقال رسول الله ﷺ: ((إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس))، إسناده صحيح على شرط البخاري، أبو بكر –وهو ابن عياش– من رجاله، وباقي رجال الإسناد ثقات من رجال الشيخين. هشام: هو ابن حسان القردوسي. (مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ج١٤، ص٦٦.

(١)التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص٦٩٤، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمر آخر هو أن في تكليم الرب لأي شخص فيه اختلاط لمقام النبي مع مقام الصالح ومع مقام الفاجر فأين مقام النبي من هؤلاء الذين من السهل أن يكلم الرب أيا منهم؟

ويستطيع أي إنسان أن يدعي النبوة إن سمع صوتا من أي مكان بغض النظر عن ماهية الصوت وصاحبه سواء أعطي مقومات النبوة من معجزة أو تشريع أو غيرهما أو لم يعطها وهذا ما حصل مع مريم فيما قالت، وهذا ما حصل مع شاول بولس فيما ادعى.

وبغض النظر –هنا– عن موضع الخلاف في افتراض أن من اعتبرهم الإسلام أنبياء واعتبرهم الكتاب المقدس بشرا عاديين، فإن الكتاب المقدس ذكر أن الله كلم أبناء نوح وأن الله كلم مريم أخت موسى وهارون وهم باتفاق القرآن الكريم والكتاب المقدس ليسوا أنبياء حتى ما ذكر من نبوة مريم فيه اضطراب شديد بين المفسرين، بل وإن الرب في الكتاب المقدس قد كلم من ليس مختارا في الأصل عندما كلم قايين (قابيل) عندما سأله عن أخيه هابيل ليرد قايين بطريقة غير مؤدبة ولا تليق بالمخاطبة مع الرب(١).

ثالثا: أن الرب كان في بعض الأحيان يكلم الشخص في أمر لا يستحق أن يظهر ويتكلم من أجله ولا يستحق أن يعيده على أشخاص آخرين، فقد كلم الرب نوحا قائلا بأنه سيقيم معه عهدا ثم كلم بعدها أبناء نوح في نفس الأمر، وظهر الرب ليعقوب ليتصارع معه ويباركه ويغير اسمه.

لن تصل مصارعة وتكليم يعقوب أو تكليم أبناء نوح إلى تلك الدرجة تكليم الرب نوحا ليغير مجرى أحداث الأرض، ولا إلى درجة تكليم الرب لموسى معطيا إياه شريعة لمن ادعوا أنهم شعب الله المختار.

رابعا: وإن كان الرب قد ظهر وكلم بعض الناس فإن ذلك مخالف لنواميس الكون ولجبلة الإنسان فلا يليق بجلاله تعالى أن ينحدر من ذاته الإلهية إلى الهيئة البشرية ففي ذلك تحديد للرب وتشخيص له.

كما حدث مع يعقوب عندما صارع الرب، وعندما استعلن الرب لموسى وكلمه على رأس شجرة.

وليس من السهل أو الطبيعي أن يتناول أي شخص مسألة تكليم الرب أو ظهوره بمنتهى البساطة دون أن تعتريه بعض المخاوف إن لم يكن الهلع بسبب هذا الأمر العظيم، فإن الوحي أو تكليم الرب ليسا بالأمر السهل وهما بحاجة إلى التدرج حتى يمكن تلقي الوحي، وليس كل إنسان يمكن أن يكلمه الله أو أن يكون مختارا فالبواطن تختلف من شخص إلى آخر فلا يختار إلا من زكت نفسه ولم يشبها خبث(٢).

خامسا: لا يوجد احترام للمختارين فعندما يظهر أنه لا نبوة –في الكتاب المقدس– للأنبياء الذين عُرفوا عند المسلمين بنص الكتاب والسنة بنبوتهم.

---

(١)انظر: سفر التكوين٤: ٩.

(٢)انظر: مناهل العرفان، ج١، ص٦١و٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان من السهل أن يجوّز الكتاب المقدس عليهم أي شيء حتى شرب الخمر أو الزنى أو القتل.

ففي الفقرتين ٢١و٢٢ من الأصحاح التاسع من سفر التكوين يسكر نوح –عليه السلام– حتى الثمالة وتتكشف عورته لابنه حام، ومن الفقرة ١٤ وحتى ٢٠ من الأصحاح الثاني عشر من نفس السفر جاء أن إبراهيم –عليه السلام– رضي ببساطة أن يسلم زوجته سارة إلى فرعون مرة وإلى أبيمالك ملك جرار مرة أخرى مدعيا أنها أخته والتي نجاها الرب من الفاحشة، وهاهو لوط –عليه السلام– يزنى بابنتيه بعد أن قامتا بتقديم الخمر له وحملتا منه خوفا على اندثار نسلهم وأنجبتا ذكرين فيما ذكرته فقرات الأصحاح التاسع عشر من الفقرة ٣٠ وحتى الفقرة ٣٨ من سفر التكوين، ويعقوب يخدع أباه إسحاق –عليه السلام– ويكذب عليه بعدما صار أعمى وحصل على بركته رغم أنها من حق أخيه عيسو بصفته البكر ومن نال بركة أبيه فهو خليفته، وأن موسى –عليه السلام–أمر بقتل الأطفال، ومارس إبادة النساء والأطفال والرجال في ستين مدينة شرق الأردن(١).

سادسا: أن من الذين اختارهم الرب بالتكليم من لم يكن له دور على الإطلاق، فلا يوجد أي جهد دعوي أو أية معجزة لمريم أخت موسى –مثلا– في الكتاب المقدس وهي التي كلمها الرب(٢).

<u>الاختيار بالرؤيا:</u>

سأتحدث هنا عن موسى –عليه السلام– والذي لا يري أهل الكتاب المقدس أنه نبي.

فيرى المفسرون في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أن موسى عليه السلام لم يكن نبيا، في حين إن نصوص الكتاب المقدس فيها ما يدل على نبوته، وسأتناول هنا بعض النصوص من العهد القديم لأبين كيف ثبتت نبوة موسى في حين نفى المفسرون النبوة عن موسى –عليه السلام–.

تكلمت مريم وهارون على موسى لأنه تزوج من امرأة حبشية وكان من ضمن ما قالت كلاما يبين أنها نبية كما هو نبي إلا إن المفسرين لم يبينوا ذلك، بل ونفوا ذلك بطريقة ظنوا أنها منطقية: "…. فقالا: ((هل كلم الرب موسى وحده؟ أم يكلمنا نحن أيضا؟))"[عدد١٢: ١و٢].

فجاء الرد من الرب أن النبي هو من كلمه الرب في الرؤيا واستعلن له فيها.

---

(١)انظر: مقارنة الأديان (الخطيب)، ص١٠٣و١٠٤.

(٢)انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة مريم، ص٢٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبهذا تكون الرؤيا هي ميزان النبوة لكن الكتاب المقدس –كما أشرنا سابقا– ذكر أن مريم نبية.

فخاطب الرب مريم وهارون قائلا لهما: "فقال اسمعا كلامي. إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا أستعلن له. في الحلم أكلمه"[عدد١٢: ٦].

ولكن من جهة التصديق والقوة في الاختيار فإن المعاينة للرب وتكليمه مباشرة أقوى من الرؤيا، فقال الرب في شأن موسى: "((وأما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي. فما إلى فم وعيانا أتكلم معه، لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين))"[عدد١٢: ٧و٨].

لكن هذا لم يكن عند مفسري الكتاب المقدس، فالتفسير التطبيقي للكتاب المقدس لم يوضح من هو النبي بين الثلاثة أو إن كان الثلاثة أنبياء فهو لم يفسر هذه الفقرات(١).

وتفسير الكتاب المقدس (آرثر) بين أن موسى عليه السلام شخص استجاب لدعوة ربه وليس مختارا للنبوة، وهو لا يتعدى أن يكون وسيطا بين الرب وبين بني إسرائيل رغم كل عمله ورغم كل المعجزات(٢).

<u>الاختيار بواسطة ملاك الرب:</u>

في أحد نصوص الكتاب المقدس جعل ملاك الرب نفسه هو الرب أو العكس، فهذا أحد القضاة يدعى جدعون يختاره الرب قاضيا ومخلصا لبني إسرائيل من الذل الذي كان واقعا عليهم من المديانيين فيكلمه ملاك الرب من أجل ذلك.

ولكن الغريب في الأمر أن جدعون بدأ يسأل ملاك الرب عن بعض الأمور للتأكد ليجيب بعدها الرب، فمن هو الذي جاء إليه وكلمه هل هو ملاك الرب أم الرب؟

"فظهر له ملاك الرب وقال له: ((الرب معك يا جبار البأس)). فقال له جدعون: ((أسألك يا سيدي، إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه؟.....))"[قضاة:٦: ١٢و١٣].

ويأتي التفسير في تأويل غير مبرر لهذه المسألة بما يلي: ملاك الرب. إن ملاك الرب هذا (حرفيا ((رسول)))، اعتُبر ((الربُّ)) نفسه(٣).

---

(١)انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص٢٩٨.

(٢)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص٢٨٤.

(٣)تفسير الكتاب المقدس، ص٤٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاختيار بالمباركة:

بينت سابقا في الاختيار بالمباركة وهو أن يختصَّ المختار أحدا ببركة قد تكون بعد ذلك سببا في أن يكون المبارك نبيا أو كاهنا أو صاحب خير كثير من مال ونسل.

ولذلك نجد أنه عندما أراد إسحاق أن يبارك عيسو كان يعقوب وأمه حريصين على نيل هذه المباركة لما لها من أثر مهم للمختار، وعندما تصارع يعقوب –أيضا– مع الرب لم يقبل أن يترك الرب حتى ينال تلك البركة، علما أن مقام النبوة أعظم وأكبر من هذه المباركة لكن يعقوب كان حريصا عليها.

هذه المباركة جعلت يعقوب عليه السلام مشوه السمعة في الكتاب المقدس، وشخصت الرب المدبر للكون وصورته عاجزا عن إفلات نفسه من شخص أصيب أثناء المصارعة وهذا طعن كبير في العقيدة، فيستحيل على الرب جل وعلى أن ينحدر بجلاله إلى الهيئة البشرية.

الاختيار بالختان والاختيار بحلول الروح :

هاتان الطريقتان من طرق الاختيار تعتبران من الطرق التي تم من خلالها اختيار أشخاص أو أمَّة. وسأتكلم عنهما في الفصل الذي أتكلم فيه عن شاول بولس وسر الاختيار عنده.

الاختيار بالمسح:

لا يمكن لأي إنسان أن يجعل شخصا مختارا لله ولكن الاختيار بالمسح جعل من يتعرض له يصبح مختارا لله وهذا لا يجوز في حق الله، لأن الاختيار يكون بأمر من الله لا بأمر أحد من خلقه.

فعندما أراد موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى الله وليرسل بني إسرائيل مع موسى، دعا الله سبحانه وتعالى أن يجعل له أخاه هارون معضدا ومعينا في هذه المهمة، وما كان منه إلا أن ينتظر الاستجابة أو عدم الاستجابة ولم ينصب هارون نبيا دون أي اعتبار للرب.

قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾طه:٢٥ – ٣٢.

وكانت بعدها الإجابة من الرب، قال تعالى:﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ طه: ٣٦.

لكن الغريب في الاختيار بالمسح أنه كان من إنسان لإنسان وجعلت الممسوح يتنبأ، ففي سفر صموئيل الأول قام صموئيل بمسح شاول ليكون ملكا في بني إسرائيل يقودهم ويحكمهم بموجب المسح، وليكون –أيضا– ملكا نبيا: "فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقلبه وقال: ((أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا؟..... ولما جاءوا إلى هناك إلى جبعة، إذا بزمرة من الأنبياء لقيته، فحل عليه روح الله فتنبأ وسطهم. ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ، قال الشعب الواحد لصاحبه: ((ماذا صار لابن قيس؟ أشاول أيضا بين الأنبياء؟))"[صموئيل١: ١٠: ٩– ١١].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جعل هذا المسحُ الاختيارَ مدعاة للتعجب والسخرية ممن يعرفون شاول.

وأخير أرى بأن الاختيار بالمسح كان يقوم به أتباع الكتاب المقدس منصبين أنفسهم عن الله وهذا باطل، ولو أن هذا المسح حق لكان الماسح أولى من الممسوح لأنه امتلك القدرة على الاختيار.

المطلب الثاني: ترجيح سبب الاختيار من أجل المكاسب المادية.

أرى بأن المكاسب المادية هي السبب الرئيس للاختيار في العهد القديم، فعندما كلم الرب إبراهيم لم يذكر شيئا يتعلق بأنه سيختاره من أجل الدين بل كان الكلام مختصا بإبراهيم بأنه سيكون عظيما وأمَّة، وأنه سيكون له نسلا ومالا وتحل عليه البركة: "وقال الرب لأبرام: "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة.... إلخ"[تكوين:١٢: ١و٢].

أيضا عندما كلم الرب إبراهيم في الرؤيا وأراد أن يطمئنه ويبين له أنه معه لم يكن إبراهيم الذي صوره القرآن بالنبي الصابر على أمر الله له بأن يذبح ابنه ذلك الذي صوره الكتاب المقدس يريد مالا ويريد ولدا ويريد ميراثا لا يكون إلا لولده(١)، فجاء في حلم يعقوب في بيت إيل:"فخرج يعقوب من بيت إيل..... فاضطجع في ذلك المكان ورأى حلما .... وهوذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض"[تكوين:٢٨: ١٠ -١٤].

أما بنو إسرائيل فقد كان اتباعهم موسى واضحا من حيث الأسباب والمكاسب المادية وهو السبب الرئيس للخروج من مصر، فعندما خرج بنو إسرائيل أمرهم الرب بأن يسرقوا المصريين.

وكانوا كلما اشتدت عليهم المواقف يتذمرون على موسى عليه السلام ويتمنون لو أنهم بقوا مستعبدين عند المصريين مقابل قدور اللحم، وكانوا يتذمرون بتهكم على موسى ومتسائلين عن الأرض التي تفيض لبنا وعسلا التي وعدهم إياها الرب.

أثناء رحلة الخروج وعندما وصل موسى بالشعب إلى أراض في أطراف الأردن عند النهر، رأى بعض الأسباط أن يبقوا فيها؛ لأنها أرض ذات مراع وافرة الخصوبة تصلح لمواشيهم فطلبوا من موسى أن تكون لهم وأن لا يكملوا معه الرحلة.

---

(١)انظر: سفر التكوين١٥: ١-٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلو كانت الأسباب الدينية هي التي جعلتهم يخرجون من مصر إلى مكان مقدس وبأمر من الله لما اختاروا عدم إكمال الرحلة لسبب بسيط كهذا.

"وأما بنو رأوبين وبنو جاد فكان لهم مواش كثيرة وافرة جدا. فلما رأوا أرض يعزير وأرض جلعاد، وإذا المكان مكان مواش، أتى بنو جاد وبنو رأوبين وكلموا موسى وألعازر الكاهن ورؤساء الجماعة.... ثم قالوا: " إنا وجدنا نعمة في عينيك فلتعط هذه الأرض لعبيدك ملكا، ولا تعبِّرنا الأردن"[عدد٣٢: ١-٥].

حتى في العهد الجديد عندما دخلوا فلسطين وكانوا في أورشليم جعلوا أماكن العبادة فيها أماكن لهو وتجارة، تاركين وراء ظهورهم أمور الدين والدعوة إليه.

"ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم: "مكتوب: بيتي بيت الصلاة يدعى. وأنتم جعلتموه مغارة لصوص!"[متى٢١: ١٢و١٣].

هذا كله يبين أن المال والتجارة والاقتصاد أكبر ما سعى إليه أصحاب الكتاب المقدس، حتى إن أحد تلاميذ المسيح -كما سأذكر لاحقا- قد باع المسيح وسلمه إلى أعدائه مقابل المال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

سر الاختيار في رسائل بولس

ادعى بولس أنه مختار كرسول بل وادعى أكثر من ذلك، فقد خرج بفكرة لم تكن موجودة من قبل وهي ادعاؤه امتلاك (سر الاختيار) فكان مؤسس سر الاختيار في العهد الجديد.

وقد انحصر منهج الاختيار في العهد الجديد بما جاء به بولس فقط، وذلك يذكره بولس في رسائله والذي بينه بأنه سر من الأسرار التي اختُص بها من الرب (يسوع)، لذلك جعلت بيان الاختيار في العهد الجديد من خلال ما جاء به بولس لأنه صرح أنه امتلك سر الاختيار فقط دون غيره.

بناء على ذلك جاء هذا الفصل في مبحثين كما يلي:

المبحث الأول

التعريف ببولس وبيان منهجه الدعوي.

المبحث الثاني

طرق الاختيار عند بولس ونقض ادعائه الرسالة العالمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

التعريف ببولس وبيان منهجه الدعوي.

معرفة منابع بولس وتربيته وتعليمه أمر مهم من خلاله يُتوصل إلى سلوكه وثقافته والعقيدة التي ترسخت عنده حتى نعرف الأهداف التي استطاع تحقيقها ومن خلالها استطاع التأثير في مجتمع الوثنيين عقديا.

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: التعريف ببولس.

المطلب الثاني: عداء بولس لرموز التوحيد.

المطلب الثالث: سر الاختيار الذي ادعاه بولس والهدف من القول بسريته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: التعريف ببولس.

قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾الصف: ٥.

عندما صار عيسى عليه السلام نبيا في بني إسرائيل بدأ يدعوهم مكملا ما جاء به موسى عليه السلام من عقيدة التوحيد، ثم إنه عندما صار عيسى عليه السلام رسولا نبيا وكانت رسالته إلى بني إسرائيل غضبوا وحقدوا حقدا كبيرا؛ لأن زمنا كبيرا من لدن إبراهيم – حسب ما يدعي الكتاب المقدس بعبرانيته– مرورا بإسحاق ثم موسى فيشوع فالقضاة فبقية الأنبياء سيذهب سدى؛ وتمجيد شعب الله المختار سيضمحل بين الأمم إن آمنت بعيسى –عليه السلام–، فلن ينصاعوا لرسول سيحاسبهم على كل مخالفة شرعية وهم شعب الله المختار الذي يندم ويتراجع الرب من أجلهم عن كل ما يفعله بنو إسرائيل، فتعاليمه مركونة على أرشيف التقاليد وما يضعه كهنتهم مقبول؛ لأنه من السهل أن يسترضوا الرب فيصفح عنهم؛ ولأن ما يريد بنو إسرائيل هو ما يكون وإلا فالقتل للكهنة كما فعلوا بأنبيائهم. وازداد حقدهم وغضبهم؛ لأنهم سيكونون تبعا لعيسى والذي ليس من بني إسرائيل إلا من جهة أمه ثم سيكونون تبعا للإسماعليين –على حد قولهم– والذي بشر عيسى بنبيهم (أحمد) وبين شيئا من صفاته وصفات أتباعه فهم الذين يعتقدون بأنهم شعب الله المختار ولا يقبلون أن يكونوا وهم منهم القادة والأنبياء والملوك.

فرأوا معاداة عيسى والسعي لقتله فبقاؤه يذهب سلطانهم الديني وهيبتهم القيادية، إلا إن الحل قد جاء بدهاء وبخفاء حيث جاء يهودي يقال له شاول بولس وادعى الرسالة العالمية واعتبر نفسه خاتم الرسل، فقلب الموازين بل وحرف عقيدة التوحيد عند اليهود والمسيحيين والمسلمين(١).

<u>اسمه ونسبه ونسبته:</u>

اسمه الأول (شاول) وهو اسم عبري وهو اسمه الأصلي قبل أن يتنصر، أما في النصرانية فهو (بولس)، وعرف أيضا بتسميته باسميه فيقال له (شاول بولس)، وقد ورد اسماه في سفر أعمال الرسل حيث فصل سفر أعمال الرسل حياة بولس.

---

(١)انظر: ملكاوي محمد، شاول بولس شخصيته ومنهجه وتعاليمه اللاهوتية،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٢، وسأشير إلى هذا المصدر فيما بعد تحت اسم: (بولس وتعاليمه اللاهوتية).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد جاء في سفر أعمال الرسل ما يلي: "وأما شاول، الذي هو بولس أيضا...."، ومن بعد هذا الموضع لم يدع إلا باسم بولس وذلك إلى آخر السفر(١).

سكن مدينة –جنوب تركيا الآن– يقال لها طرسوس، ولذلك يقال له أحيانا شاول بولس الطرسوسي، ولكون والديه يهوديين قاما بتسميته بـ(شاول) وهو اسم أول ملك من ملوك بني إسرائيل(٢).

جاء في سفر أعمال الرسل: "أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية...."[أعمال الرسل٢٢: ٣]، وجاء أيضا:(أيها الرجال الإخوة، أنا فريسي ابن فريسي"[أعمال الرسل٢٣: ٦]، وفي رسالته إلى أهل رومية:"أنا أيضا إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين"[رومية١١: ١].

نشأته وحياته:

عاش بولس طفولته في طرسوس، وقد كانت في زمانه تفوق أثينا في الشهرة؛ فقد امتاز أهلها بدراسة الفلسفة، وكان طابع العلم ظاهرا عليها وهذا ما أكسبها وبولس مخزونا علميا وثقافيا واسعين(٣)، وقد عاش حياة دينية ملتزما بطقوس طائفته وشعائرها الدينية من غسل وصيام وصلوات، وكان قد تشرب معتقداته الدينية والسياسية لدى قومه اليهود والذين لا يؤمنون برسالة عيسى عليه السلام، مما جعله وقومه يضطهدون الحواريين والتلاميذ أتباع عيسى عليه السلام ويلاحقونهم(٤).

طائفته اليهودية:

ينتمي بولس إلى الطائفة الفريسية، والفريسيون أو المتشددون هم فرقة يهودية، ويسمَّون أيضا الأحبار أو الربانيون وهم يعتبرون متصوفة ورهبانيو الفرق اليهودية مما سهل طريق بولس في دعواه الجديدة هو ما تربى عليه ضمن طائفته اليهودية.

– ----------

(١)انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٥٧٥.

(٢)انظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، أ.د محمد أحمد محمد ملكاوي، دار الإسراء للنشر، السعودية–الرياض، ١٤١٢هـ–١٩٩٢، ص١٨، وسأشير إلى هذا المصدر فيما بعد تحت اسم: (بولس وأثره في النصرانية).

(٣)انظر: بولس وأثره في النصرانية، ص١٩.

(٤)انظر: بولس وتعاليمه اللاهوتية، ص٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهم يعتقدون البعث والقيامة ويؤمنون بالملائكة وبالعالم الآخر على عكس بعض فرق اليهودية(١).

تربيتـه:

كانت تربية بولس ضمن منهج ونسق معينين ولم تكن تربية تقليدية كبقية الناس مما جعله يبقى متمسكا بتعاليم اليهودية الفريسية لاسيما ما تضمنته طائفته، فقد حرص والدا بولس على أن يتربى على الطقوس اليهودية وأن يتبحر في علوم اللاهوت وأن يبقى على تقاليدها، حتى إنه كان شديد الغيرة على دينه وهذا ما عُرف به وما قاله هو عن نفسه(٢)، فقد قال في رسالته إلى أهل غلاطية: "((وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي))"[غلاطية١: ١٤].

بعدها فقاما بإرساله إلى أورشليم لتكون تربيته على أيدي حاخامات اليهود ضمن المدارس اللاهوتية وهذا ما قاله عن نفسه في سفر أعمال الرسل والذي عند الكلام عن علمه.

عملـه:

عمل شاول بولس في كورنثوس في صناعة الخيام.

جاء في سفر أعمال الرسل ما يلي: "وبعد هذا مضى بولس من أثينا إلى كورنثوس، فوجد يهوديا اسمه أكيلا،..... وبريسكلا امرأته..... ولكونه من صناعتهما أقام عندهما وكان يعمل، لأنهما كانا في صناعتهما خياميين".[أعمال الرسل١٨: ١-٣].

ويتضارب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس مع تفسير (آرثر) حيث يذكر التفسير التطبيقي أن عمل بولس كان في نسج الخيام، في حين يذكر تفسير (آرثر) أن عمل بولس كان في صناعة الجلود(٣).

وبهذا يتبين بأن عمل بولس لم يكن له علاقة بعلمه فقد كان؛ عمله منفصلا عن علمه تماما.

علمـه:

أتقن بولس اللغة اليونانية إضافة إلى العبرية مما أتاح له الاطلاع على العلوم والكتب التي كانت باللغتين، وقد غلب على العلوم اليونانية طابع الفلسفة والجدل العميقين.

---

(١)انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب،ج١،ص٢.

(٢)انظر: بولس وأثره في النصرانية، ص٢١و٢٢.

(٣)انظر: التفسير التطبيقي، ص٢٣٣٦، وتفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٨٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فشكلت هذه الأمور في شخصية بولس نمطا مختلفا عن بقية اليهود، إضافة إلى أن طرسوس –في زمن بولس– كانت تحوي مدرسة جامعة تعد الثالثة بعد مدرستي أثينا والإسكندرية فقد كان لهذه الجامعة أثر واضح في نشر العلوم المتعلقة بالديانات التي كانت طرسوس ملتقى لها بسبب موقعها الجغرافي(١).

ذهب بولس إلى أورشليم وتلقى العلم الديني على مذهب طائفته، واختار أن يكون في مدرسة هليل والتي ورِثها حفيده غمالائيل، ليتعلم بولس على يديه، فقد تعلم على يدي غمالائيل العلوم اليونانية جيدا إلى جانب تعلمه مذهب طائفته والذي كان الأعظم في اليهودية والأضيق عبادة: "فسيرتي منذ حداثتي التي من البداءة كانت بين أمتي في أورشليم يعرفها جميع اليهود، عالمين بي من الأول –إن أرادوا أن يشهدوا– أني حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسيا"[أعمال الرسل٢٦: ٤و٥].

وقد ساعدت هذه الفنون بولس، فقد بين كل من الأصحاحين ٢٦و٢٧ من سفر أعمال الرسل كيف نجّى بولس نفسه من القتل عندما بدأ يحتج أمام الملك أغريباس بسبب تهم اليهود.

ومما زاد قوته العلمية تمرُّسه في اقتباس الأقوال من الكتب حيث أنه كرس نفسه لقراءتها وفهمها ومناقشتها حتى أصبح مضاهيا في ذلك لسائر علماء اليهود في عصره وذلك يبدو واضحا من خلال أسلوبه في الطرح والمحاججة، فهو يعشق الجدل ويقدم البراهين بذكاء(٢).

<u>جنسية بولس الرومانية:</u>

كانت الجنسية الرومانية زمن بولس أفضل جنسية؛ لأنها تمنح صاحبها حقوقا تميزه عن غيره؛ فقد كانت القوة الحاكمة، وكان من أهم الحقوق التي منحت للروماني: أن لا يحكم عليه بالجلد قصاصا، ولا يقبض على الروماني إلا في كبائر الأمور، وله حق استئناف دعواه من الحكام إلى الإمبراطور في روما.

هذه الحقوق التي منحت للروماني جعلت بولس يقول إنه روماني بل ويصرُّ على ذلك، قال بولس: "((ضربونا جهارا غير مقضي علينا، ونحن رجلان رومانيان، وألقونا في السجن– أفالآن يطردوننا سرا؟ كلا! بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا))، فأخبر الجلادون الولاة بهذا الكلام، فاختشوا لما سمعا أنهما رومانيان"[أعمال الرسل١٦: ٣٧و٣٨].

---

(١)انظر: بولس وتعاليمه اللاهوتية، ص٤.

(٢)انظر: بولس وتعاليمه اللاهوتية، ص٤، [بتصرف].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فجاء الأمير وقال له:((قل لي: أنت روماني؟)). فقال:((نعم)). فأجاب الأمير:((أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية)). فقال بولس:((أما أنا فقد ولدت فيها)). وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه[أعمال الرسل٢٢: ٢٥-٢٩].

وإن لم يكن بولس قد ادعى أنه روماني ليتخلص من العقبات التي كانت تواجهه فإنه قد فعل ذلك ليصبح روماني الجنسية، أو أن والده قد حصل عليها لينشأ بولس تحت ظل الرعوية الرومانية(١).

المطلب الثاني: عداء بولس لرموز التوحيد.

عادى بولس رموز التوحيد؛ فطائفته تقدس تقاليد ديانتها وتحتقر غيرها، فرأى بولس أنه ليس لأحد أن ينال شرف اليهودية ولا يمكن له أن يدعوَ أحدا إليها؛ فاليهود يرون أنهم شعب الله الذي اختاره، فتشرب بولس كل ذلك وانعكس على شخصيته حتى إنه استسهل القتل في مقابل إبقاء مكانة الشعب المختار كما يعتقد، وكان القتل محددا لأشخاص معينين وهم أصحاب التأثير والذين أنعتهم هنا بالرموز.

عادى بولس كل من كان له تأثير على اليهودية فعادى عيسى عليه السلام وأتباعه، ثم محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وسأبين في المطلب عداء بولس لأشخاص أثروا في عقيدة التوحيد.

<u>عداء بولس لعيسى عليه السلام ولمحمد ﷺ:</u>

لم يوضع سفر في العهد الجديد إلا تحت موافقة بولس، لذلك يعتبر العهد الجديد نتاج وإخراج بولس؛ فهو من أقر ما كتب فيه حتى جاء بهذا الشكل، والأدلة على ذلك كثيرة.

فمن الأدلة على ذلك أنه لا وجود في العهد الجديد شيء مما كتبه الإبيونيُّون(٢).

---

(١)انظر تفسير الكتاب المقدس(آرثر)، ص١٨٤٤و١٨٧٩.

(٢)(الإبيونيون) كلمة عبرية تعني الفقراء استخدمتها جماعة من اليهود المسيحيين في بداية المسيحية لتدل عليهم دينيا، وقد كان الإبيونيون اليهودية وقالوا بأن المسيحيين ملزمون باتباعها، وهم من الذين رفضوا ما جاء به بولس من حيث تأليه عيسى –عليه السلام– بل اعتبروا أن ما جاء به بولس ما هو إلا هرطقات محضة، توجد منهم جماعة تقول بأن المسيح هو آدم، والله عندهم واحد وعيسى والروح القدس ليسا بإلهين، واختفى الإبيونيون في نهاية القرن الرابع الميلادي. انظر:موسوعة الملل والأديان، مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ج١، ص٨٩، المبحث التاسع عشر: الفقراء (الإبيونيون): Ebionites.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا مما كتبه توما(١)، ولا برنابا(٢)؛ لأنهم خالفوا بولس في المعتقد إضافة لاختلافه معهم.

وكما ذكرت في مقدمة الفصل، فقد انحصر منهج الاختيار في العهد الجديد فيما جاء به بولس فقط، وذلك يذكره بولس في رسائله والذي بينه بأنه سر من الأسرار التي اختُص بها من الرب (يسوع)، حتى إن ما كان فيه إدانة لشخص بولس وتحرج من أن يواجه الناس في إنكاره كان يضعه مرغما ولكن بشيء من التحوير لينجي نفسه من التهم(٣).

لم ير بولسُ عيسى عليه السلام ولم يكلمه قط(٤) ولكنه كان مطلعا على ما جاء به وعالما به ومعايشا لأتباعه فكان العداء له واضحا من عدة وجوه ولعدة أسباب.

قال بولس في رسالته إلى رومية: "((فأقول: ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا! لأني أنا أيضا إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين. لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه))"[رومية١١: ١و٢].

هذا النص يدل على أن بولس مازال متمسكا بنزعته الطائفية التي لم يتركها، وعيسى –عليه السلام– لم يُذكر على لسانه حتى في الكتاب المقدس أنه دعا إلى طائفية أو عرق أبدا، بينما كان ذلك موجودا في العهد القديم وبشدة حتى بين اللاهوتيين.

فدعوته إلى أهل رومية كانت على أساس طائفي مبتعدا فيه عن أنه يتلقى من ربه يسوع تعاليم قد صارت لكل الناس حتى الأمميين، فهذا عداء مبطن.

– ----------

(١)(توما) هو أحد حواريي المسيح، ويلقب بالمتشكك؛ لأنه شكّ بداية في المسيح، ثم في صلب المسيح وفي قيامته من الموت. وينسب إليه (إنجيل توما) الذي لا تعترف به الكنيسة، وتوما كلمة سريانية تعني التوأم، حتى إن واضعها في الكتاب المقدس قام بترجمتها ليعرف القارئ معناها: "أما توما، أحد الاثني عشر، الذي يقال له التوأم، فلم يكن معهم حين جاء يسوع. فقال له التلاميذ الآخرون: ((قد رأينا الرب!)). فقال لهم: ((إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه، لا أؤمن))[يوحنا٢٠: ٢٤و٢٥]. وقد تم اكتشاف نسخة من إنجيل توما في مصر عام ١٩٤٥م.انظر: الأديان الوضعية، كتاب دراسي لمرحلة الماجستير ضمن مناهج جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ص٣٤٢. وانظر: فتاوى الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، تم نسخه من الإنترنت: في ١ ذو الحجة ١٤٣٠، هـ = ١٨ نوفمبر، ٢٠٠٩ م، http://www.islamweb.net

(٢)سأتحدث عن برنابا لاحقا ضمن الفصل في المطلب الثاني من المبحث الأول لمناسبة ذلك.

(٣)انظر: بولس وتعاليمه اللاهوتية، ص١٥.

(٤)انظر: بولس وأثره في النصرانية، ص٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا النص من العهد الجديد يفهم منه شيء خطير وهو أن الله لم يرفض شعبه حتى يبعث إليه واحدا ليس من سلالة هذا الشعب فالرب اختار الشعب إسرائيليا من نسل إبراهيم، وهذا استباق لمن أراد اتباع عيسى عليه السلام بأن اتِّباعه مرفوض على الأقل من جهة النسل.

أمر آخر، أنه قد بين بلسانه حقده على الكنيسة وهذا عداء صريح لما جاء به عيسى عليه السلام.

"((من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس فريسي، من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة))"[فليبي٣: ٥و٦].

فالمُحارَب هنا هم أتباع عيسى عليه السلام ابتداء من تلاميذه وانتهاء بكل موحّد.

وأنقل هنا نص تفسير الكتاب المقدس حرفيا قطعا للتأويل، فجاء في التفسير ما يلي:

" **الغيرة، مضطهد الكنيسة.** كانت ((الغيرة)) بالنسبة إلى اليهودي، هي الفضيلة الوحيدة العليا في الدين. وهي تمزج الحب والبغض؛ فلأن بولس أحب اليهودية، فقد أبغض كل ما من شأنه أن يهددها"(١).

ولكن لا عذر له في النصَّين فالنص الأول كان إلى أهل رومية والنص الثاني كان إلى أهل فليبي أي بعد أن ظهر له يسوع –حسب زعمه–، وبعد أن أعلن للناس المسيحية والتكريز للأمم بالعهد الجديد.

وأرى أن السبب الرئيس من عدائه للمسيح عليه السلام يكمن في ذهاب موروث اليهود الديني والقيادي والعرقي باتباع المسيح عليه السلام، وأن مجيء المسيح إلى بني إسرائيل كنبي واتباعهم له هدم لكل ما كتبوه في العهد القديم وهدم لفكرة أن نسل اليهود هو أفضل نسل وأنه شعب الله المختار، فهم يقبلون اتباع الدين وتكملة ما يجيء به أي نبي أو حتى مدع للنبوة شريطة أن يكون من اليهود.

وهذا ما حصل مع محمد ﷺ مع يهود المدينة عندما كفروا به لأنه من العرب وليس منهم(١).

لذلك هدمت دعوة بولس ما جاء به عيسى عليه السلام من تبشير بمحمد ﷺ بالدعوة إلى الإسلام فرفض ما جاء به عيسى يعني رفض ما جاء –أيضا– به من تبشير بمحمد عليهما الصلاة والسلام.

من أجل ذلك فإن من جاء لهم باليهودية يهودي ومن جاء لهم بالمسيحية يهودي ولا يقبل غير ذلك فالمسيح عليه السلام مرفوض ومحمد ﷺ مرفوض ضمنا، وانظر كيف أن شاول بولس قبِل عقيدة أن يكون المسيح إلها ولم يقبل حمية أن يكون المسيح نبيا في بني إسرائيل وأن يقوم بتعاليم الله فيهم.

– ----------

(١)تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص٢٠٧٥.

(١)سأبين ذلك في الفصل الرابع عند الحديث عن اختيار النبي ﷺ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالإله لا علاقة له بالسلالة وكثيرا ما كان الناس يكفرون بالإله لكن الكفر بالرسول دائما كان أقل من الكفر بالرب فهم يعاينون الرسول وعدم معاينة الرب مما يفتح باب الشك في شأن الرب.

الموحد استفانوس:

لم تسعف بولس الفنون والعلوم التي تعلمها في أن يواجه ما جاء به عيسى عليه السلام وأتباعه فانتقل إلى الفعل، فقام بقتل أتباع عيسى وتشريدهم والتهجم على تلاميذه، وهذا ما قصده بالاضطهاد في الأصحاح الثالث من سفر فليبي المذكور نصه سابقا.

كان من واجبات الكنيسة القيام برعاية شؤون بعض الأسر فكانت تقدم لها الطعام، وكان القائمون على خدمة الطعام تتوزع خدماتهم على كل مهام الكنيسة فأدى ذلك إلى إنهاكهم وعدم قدرتهم على الخدمة بالشكل المطلوب، مما استدعى تلاميذ المسيح إلى اختيار من يقوم بهذه الخدمة؛ لأنهم يرون أن هذا النوع من الخدمة سيؤثر على المهام التي اختارهم يسوع لها كالدعوة ونشر التعاليم وتعليم التلاميذ وغيرها، فاختاروا سبعة ليقوموا بذلك، وبحسب ما ذكر العهد الجديد فقد اختاروا من امتلأ من الروح القدس.

وكان من بين المختارين رجلا يدعى استفانوس: "رجلا مَملُوا من الإيمان والروح القدس"[أعمال الرسل٦: ٥]، فكان له أثر كبير في الكنيسة أدى إلى تكاثر عدد المهتدين والتلاميذ واهتداء عدد كبير من الكهنة، وكانت تجري على يديه آيات عظيمة قام بها في الشعب، وكل ذلك أدى إلى حقد اليهود عليه.

وقررت مجموعات من اللاهوتيين الليبرتينيين والقيروانيين والإسكندريين والتابعين لكيليكيا وأسيا من أتباع المجامع(١) أن يقوموا بمناظرة مفتوحة بينهم وبين استفانوس.

- ----------

(١)**الليبرتينيين:** يهود من سلالة اليهود العبيد الذين كانوا عبيدا في روما، وعندما تم إعتاقهم عملوا على تأسيس جمعية يهودية في روما. انظر: تفسير الكتاب المقدس(آرثر) ص١٨٣٨.

القيروانيين: هم يهود القيروان، وهي مدينة في المغرب، يذكر أن منها سمعان وهو ذلك الشخص الذي سُخر لحمل صليب يسوع. انظر: تفسير الكتاب المقدس(آرثر) ص١٨٣٨.

الإسكندريين: يهود الإسكندرية في مصر. انظر: تفسير الكتاب المقدس(آرثر) ص١٨٣٨.

كيليكيا وأسيّا: مقاطعتان رومانيتان في ذلك الوقت موقعهما في تركيا، وتعتبر مقاطعة كيليكيا مسقط رأس بولس. انظر: تفسير الكتاب المقدس(آرثر) ص١٨٣٨.وهؤلاء يقسمون إلى ثلاثة مجامع: مجمع الليبرتينيين، ومجمع القيروانيين والإسكندريين، ومجمع كيليكيا وأسيّا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكنهم لم يستطيعوا مجاراته لما كان يمتلك من علم وحكمة في الرد وقرروا أن يلجأوا إلى الكذب والتآمر، فاتهموه بأنه يكذب في شأن موسى ويكذب على الله، وقام اليهود باختطافه والذهاب به إلى المجمع، وأتوا بشهود زور عليه، ورد استفانوس عليهم ردا مطولا جعلهم هم موضع الاتهام وبين أنهم يرفضون الله كما رفضه أجدادهم من قبل عندما عبدوا غيره وقتلوا أنبياءه، وكل هذه الأحداث جرت وبولس والذي كان يسمى ذلك الوقت (شاول) حاضر، ولم يذكر العهد الجديد أنه تكلم بكلمة واحدة.

وبعدما رد استفانوس على جموع المجامع ولم يستطع واحد منهم الرد عليه بدليل واحد التجئوا إلى العنف فهجموا عليه وأخرجوه خارج المدينة ثم قام الشهود بخلع ثيابهم عند بولس بعدها قام الجميع برجم استفانوس حتى الموت(١)، "وكان شاول راضيا بقتله"[أعمال الرسل٨: ١].

بعد ذلك قام بولس بجرائمه المتتالية، "وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن"[أعمال الرسل٨: ٣].

مشاجرة بولس مع برنابا:

يوسف والذي اشتهر ببرنابا أي ابن الوعظ أو ابن التعزية هو واحد من الشخصيات ذات الأثر الكبير في العهد الجديد حتى فاق بعض تلاميذ المسيح عليه السلام الاثني عشر، وهو لاوي قبرصي الجنسية(٢)، وهو خال مرقس صاحب الإنجيل، ويعتبر من دعاة النصرانية الأوائل، كتب إنجيلا اشتهر باسمه (إنجيل برنابا) والذي يُظهر من خلاله أنه كان مقربا كثيرا من المسيح حيث يظهر ذلك من خلال محاورته مع المسيح، وكلفه المسيح بالمهام إضافة إلى الرحلات التي لازم فيها المسيح عليه السلام(٣).

وقد بلغ من درجة الصلاح والإخلاص للدعوة أنه كان مستعدا أن يقوم بأي شيء مقابل دعوة المسيح عليه السلام، فقد باع حقلا كان يمتلكه في مقابل دعوة المسيح ووضع نقوده تحت تصرف الدعاة.

---

(١)انظر: سفر أعمال الرسل الأصحاحات ٦-٨ والتي تسرد قصة استفانوس وإقرار بولس لقتله.

(٢)مقدمة الدكتور خليل سعادة لإنجيل برنابا، أ.د محمد أحمد ملكاوي، بحث محكم في مجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، ص١١.

(٣)لا يعترف النصارى ببرنابا على أنه حواري أو رسول للمسيح ذلك بسبب شجاره الحاد مع بولس وكان حذفه من أسماء الحواريين بناء على ذلك، انظر: مقدمة الدكتور خليل سعادة، ص١٣-١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ادعى بولس أنه دخل في دين المسيح والتقى ببرنابا وأراد أن ينضم إلى التلاميذ لكن ما عرفه التلاميذ عن بولس وما رأوه منه من ملاحقة لهم وهجوم عليهم جعلهم يخافونه وينفرون عنه، ولكن من غيرة برنابا على الدعوة ومحبة في زيادة نموها أخذ يشفع له عندهم حتى قبلوه ضمن جماعتهم(١).

يذكر سفر أعمال الرسل أن بولس وبرنابا كانا يرتحلان معا للتبشير، وعندما أراد مرقس ابن أخت برنابا مرافقتهما رفض بولس ذلك فحصلت بينهما مشاجرة حادة أدت إلى أن يفترق برنابا عن بولس آخذا معه مرقس ذاهبا إلى قبرص، أما بولس فقد اختار شخصا يدعى سيلا(٢) ذاهبا إلى سورية وإلى تركيا(٣).

هذا ما جاء في شأن المشاجرة ما بين بولس وما بين برنابا، إلا إنني أرى أن سبب الخلاف ما بينهما كان عقديا وليس كما جاء في سفر أعمال الرسل من رفض بولس لرفقة مرقس.

لنبحث أولا في شخص كاتب سفر أعمال الرسل.

إن كاتب سفر أعمال الرسل كما هو معلوم عند أهل الكتاب المقدس هو لوقا كاتب الإنجيل المعروف باسمه، فعند المقارنة ما بينه وبين برنابا رأينا أن برنابا يفوقه علما ومكانة، فبرنابا كان لاهوتيا بحتا بينما لوقا كان طبيبا فلا يمكن أن يعطي ولو نصف جهده خارج الطب الذي امتهنه.

لقد ذكر العهد الجديد ما قدمه برنابا للدين، بينما لم تُذكر تلك التقدمات التي قدمها لوقا إلا إنجيله وسفر أعمال الرسل وبعض الأعمال والمقابلات البسيطة التي ذكرها في سفره والتي لم تأت بنتاج يذكر للدعوة فكلها مكررة، ويقابل ذلك أن برنابا أيضا قد كتب إنجيلا وسمي باسمه استوعب فيه ما يغني عن أن يكتب سفرا زيادة عنه ليدل ذلك على أن ما جاء به برنابا ما هو إلا واقع لا زيادة فيه بسبب العوارض.

أيضا فإن علاقة لوقا ببولس تجعلني أشكك بأن لوقا أنصف برنابا، فقد ذكر جون آرثر في تفسيره أن لوقا كان من أصدقاء بولس المقربين منه لدرجة قوية مما قد يستدعي أن يقوم لوقا بتورية وتمويه وطمس بعض الأخبار والحقائق عن برنابا خصوصا سبب المشاجرة التي بينت عداء بولس لبرنابا، وقد ذكر آرثر أيضا قوة علاقة لوقا ببولس حتى أنه كان رفيق سفره وطبيبه الشخصي(٤).

---

(١)الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ج٣، باب٥، ص٤٣٨.

(٢)**سيلا**: وقد ورد أيضا ذكره باسم (سلوانس) يقال إنه كان نبيا يهوديا متمتعا بالجنسية الرومانية مثل بولس وكان متمكنا من الكلام والقدرة على الدعوة، وقد ارتبط ببولس منذ الرحلة التبشيرية الثانية، انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص٢٣٣١.

(٣)انظر: سفر أعمال الرسل١٥: ٣٦-٤١.

(٤)انظر تفسير الكتاب المقدس(آرثر)، مقدمة سفر أعمال الرسل، ص١٨١٩، وكولوسي٤: ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأقف قليلا عند قضية ملازمة لوقا لبولس كرفيق سفر، فمن المعلوم أنه بعدما تشاجر برنابا مع بولس افترقا ليختار بولسُ سيلا رفيقا معه في رحلاته الدعوية، وبما أن لوقا كان رفيق سفر بولس وطبيبة الشخصي والكاتب لإنجيله وسفر أعمال الرسل فيفترض أنه كان معه دائما، مما يجعلني أطرح سؤالا وهو: أين كان لوقا عندما سجن سيلا وبولس، فهل انسحب عنهما مسرعا واكتفى برواية القصة عن بعد؟، وعلى فرض قول إن لوقا لم يذكر نفسه ليسلط الضوء على بولس، فالرد أن ذكر بولس ومن كان معه لا يمنع من ذكر لوقا نفسَه، فقد ذكر برنابا نفسه في إنجيله وذلك لا ينقص قيمة الكتاب أو الكاتب، وجاء في سفر أعمال الرسل ما يلي:"ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا، الذي يترجم ابن الوعظ، وهو لاوي قبرسي الجنس إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل"[أعمال الرسل٤: ٣٦و٣٧].

فإذا كان برنابا كان قد باع حقلا كان يمتلكه في مقابل الدعوة فلا يمكن أن يفرط برسول حمية لابن أخته ولا يمكن أن يترك لغضبه أن يهدم كل ما كان قد بناه من جهد دعوي منظم.

أرى أن الأمر كان عقديا بحتا وقد تكشَّف الأمر واتضح شيئا فشيئا من خلال نصوص العهد الجديد، وسأتجاوز بعض المؤشرات التي أنبأت عن مقدمات للخلاف وذلك ما قبل الأصحاح ١٥ الذي ذكر المشاجرة كمسألة نسخ الختان لأبين ما بعده من نصوص بينت السبب على لسان بولس.

"ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومْته مواجهة، لأنه كان ملوما. لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفا من الذين هم من الختان. ورأى معه باقي اليهود أيضا، حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم"[أعمال الرسل٢: ١١-١٤].

إذا كان خلاف بولس مع برنابا فقط على الصحبة في السفر فما الداعي إلى ذكر مسألة الختان وادعاء الرياء لبولس وهو الذي كان متشددا في وجوب الختان للأمميين من اليونان وغيرهم؟.

أيضا، فقد جاءت الفقرات التي ذكرت افتراق بولس عن برنابا بعد فقرات الخلاف حول الختان مباشرة، فقد كان بولس متساهلا في مسألة الختان والتي قد خاطب الرب فيها إبراهيم وبقيت إلى أن نسخها بولس دون أن يبين نصا من الرب، أيضا فقد بين برنابا في إنجيله أن خلافه مع بولس كان بسبب تحليل بولس المحرمات:"أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى. مبشرين بتعليم شديد الكفر. داعين المسيح ابن الله. ورافضين الختان الذي أمر الله به دائما.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجوزين كل لحم نجس. الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله وعليه فاحذروا من كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا"[مقدمة برنابا ٢-٩].

فنص برنابا يبين أن الخلاف كان أكبر من سبب صحبة مرقس لهما.

المطلب الثالث: سر الاختيار الذي ادعاه بولس والهدف من القول بالسر.

حتى تتضح لنا مسألة سر الاختيار يجب علينا بداية أن نتحدث عن حادثة مهمة جدا شكلت محورا غير الموازين في الدين -كما قلنا- وهي حادثة تنصر بولس المفاجئ.

يروي لنا سفر أعمال الرسل قصة تنصر بولس وملخصها كما يلي:

بعد أن عجز علماء يهود المجامع عن مجاراة استفانوس في المناظرة وتم رجمه حتى الموت بحضور بولس، حدث بعدها اضطهاد عظيم في الكنيسة في أورشليم طال كل أتباعها، وكان بولس يسطو كحيوان مفترس -كما شبهه التفسير- على الكنيسة وعلى البيوت ويسلم من فيهما إلى السجن(١).

وتقدم بعدها بطلب إلى رئيس المجمع اليهودي طالبا منه أن يعطيه رسائل إلى دمشق تخوله أن يقوم بالإمساك بأتباع المسيح وأخذهم إلى أورشليم.

وعندما اقترب من دمشق أضاء حوله نور من السماء جعله يخر على الأرض وإذ بصوت يقول له بالعبرانية: شاول، شاول! لماذا تضطهدني؟، وعندما سأل عن صاحب الصوت جاءه الرد بأنه يسوع، ثم أخذ بعد ذلك يبشر بالمسيح على أنه ابن الله وأنه رسوله العالمي وصار اسمه بولس بدلا من شاول(٢).

بعد هذه الحادثة ادعى بولس الرسالة وأن المسيح عيسى بن مريم ابن الله فبدأ بالتبشير؛ ولكن المسوغ الذي أسكت البعض هو أنه اختُص بهذه الحادثة فلم يسطع النور على إلا على بولس، فادعى أنه امتلك سر الاختيار فأصبح يكرز ويشرّع بناء على سر الاختيار الذي أوتيَه والذي قد ضمنه رسائله التي أرسلها ووصاياه وتشريعاته التي بثها، وفيما يلي نصوص ادعى فيها بولس سر الاختيار:

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٨٤٢.

(٢)انظر: سفر أعمال الرسل٨: ١-٣ و٩: ١-٣٠ و٢٢: ١-٢١ و٢٦: ٩-١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"((نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم. آمين. وللقادر أن يثبتكم، حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح، حسب إعلان السر الذي كان مكتوما في الأزمنة الأزلية ولكن ظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي))"[رومية١٦: ٢٤-٢٦].

"لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من عظماء هذا الدهر، الذين يبطلون. بل نتكلم بحكمة الله في سر: الحكمة المكتومة، التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا ما صلبوا رب المجد. بل كما هو مكتوب: "ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعده الله للذين يحبونه". فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله"[١كورنثوس٢: ٦-١٢].

"لمدح مجد نعمته التي أنعم علينا في المحبوب. الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا، حسب غنى نعمته، التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة، إذ عرفنا بسر مشيئته، حسب مسرته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السماوات وما على الأرض، في ذاك. الذي فيه نلنا نصيبا، معينين سابقا حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته"[أفسس١: ٦-١١].

"بسبب هذا أنا بولس، أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم، إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم. إنه بإعلان عرفني بالسر. كما سبقت فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح، الذي في أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين، وأنبيائه بالروح..... نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته. لي أنا أصغر جميع القديسين، أعطيت هذه النعمة، أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى، وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم...."[أفسس٣: ١-٥ و٧-٩].

من خلال النصوص السابقة أرى أن بولس لم يدَّع أنه مختار من عند الرب فحسب بل هو حامل أيضا لسر الرب الذي كان مكتوما حتى عن الأنبياء السابقين منذ دهور مضت، وإن هذا الاختيار قد حدث مباشرة من الرب إلى بولس، فنصب نفسه أمينا على الدين وتعاليمه وهو المبشر والناشر والداعي إلى ذلك، وبسبب ما جاء في سفر أعمال الرسل من قصة سطوع النور وظهور المسيح عليه والتي حصلت معه قريبا من دمشق استطاع أن يعزل كل اللاهوتيين وأن يطالب بأن يكونوا أتباعه لأنه قد جاء بعهد يلغي ما قبله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

طرق الاختيار عند بولس ونقض ادعائه الرسالة العالمية

سأقوم في هذا المبحث ببيان طرق الاختيار عند شاول بولس والذي تحكم بموجب سر الاختيار، لأبين بعدها الآثار والنتائج التي صدرت عن سر الاختيار عنده، لأقوم بعد ذلك ببيان نقض ما جاء به بولس من رسالة عالمية كان قد ادعاها.

بناء على ذلك جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: طرق الاختيار بناء على ما جاء به بولس.

المطلب الثاني: نتيجة الاختيار عند بولس.

المطلب الثالث: نقض رسالة بولس بناء على ما جاء به.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: طرق الاختيار بناء على ما جاء به بولس.

لقد بيَّنْت طرق الاختيار التي كانت في العهد القديم، وبيَّنْت أيضا طرق الاختيار التي كانت في العهد الجديد ما قبل حادثة بولس وهو ذاهب إلى دمشق، أما ما كان بعد الحادثة فهو مختلف تماما فكما قلت سابقا إن حادثة دمشق وتكليم يسوع لبولس فيها كانت قد غيرت الموازين وذلك من عدة أوجه.

أولا: بادعاء بولس لما حدث معه في طريقه إلى دمشق وتكليم يسوع له انتهاء لكل طرق الاختيار لأن بولس أصبح هو المختار والرسول الذي لم يُختر بعده وهو المختار الذي كلمه الرب معاينة مباشرة كما ادعى، فنستطيع القول أن طريقة الاختيار الوحيدة بعد سفر أعمال الرسل والتي لم تذكر بعدها أية طريقة أخرى هي **(الاختيار بتكليم الرب)**، فلم يكلم الرب بعدها أحدا ليعينه مختارا له، ولم يكلم ملاك الرب أحدا لينقل له مباركة الرب له واختياره له من دون الخلق، واختفت تلك الرؤى التي هيئت المختارين ليقوموا بمهام الرب في الأرض فكل انتهى بتكليم الرب يسوع لبولس.

ثانيا: القارئ لما بعد سفر أعمال الرسل يجد أن طرق الاختيار قد اختفت ولا تذكر في بقية الأسفار؛ لأن بولس والذي امتلك سر الاختيار هو القادر على الاطلاع على الأسرار والخبايا.

ثالثا: الاختيار بتكليم الرب أو ملاك الرب هي أعلى درجات الاختيار فلو أن شخصا نصب نفسه مختارا كنبي أو رسول فإنه يحتاج إلى أن يصل إلى تلك الدرجة من التكليم، وهذا ما ادعاه بولس لنفسه.

رابعا: لم يكلم يسوع أحدا بعد قيامته إلا بولس، فقد اختص به بولس والذي قد جاءه بسر الاختيار الذي بشر بناء عليه.

المطلب الثاني: نتيجة الاختيار عند بولس.

استطاع بولس أن يحقق الكثير من النتائج التي حورت اليهودية ونسفت دين عيسى عليه السلام لأنها أصابت العقيدة مباشرة ليتم بعدها الخوض بالتشريعات التالية.

أولا: صار من السهل أن يقول ما يريد وبما أنه صاحب سر الاختيار فلا أحد يجرؤ على نقض ما يقول بل إن كل ما يقوله صار يعتبر تشريعا، فصار بولس هو المشرع الوحيد.

ثانيا: جعل عيسى –عليه السلام– ربًّا وجعل من نفسه رسولا عالميا له.

ثالثا: جعل نفسه خاتم الرسل فلا رسالة بعده.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: بتنصيب نفسه رسولا ليسوع، وادعائه بأنه خاتم الرسل، وإخباره أنه سيأتي من بعده أنبياء كذبة،يكون قد قطع نبوة محمد ﷺ وأزال من فكر متبعيه أن المسيا لم يظهر بعد، وصار كل من قال إنه نبي أو بشر بقدوم نبي هو تابع لنبي كذاب وهو خارج دائرة الخلاص.

خامسا: صار اسمه بولس بعد أن كان شاول أو شاؤول ليستميل اليونان الذين يرون أن ما جاء به بولس موافق لعقائدهم.

سادسا: بادعائه أن رسالته هي العهد الجديد إلغاء لما جاء من الأحكام في العهد القديم.

سابعا: بمجرد تأليه عيسى عليه السلام وادعائه الرسالة كان ذلك بمثابة إبطال لنبوة عيسى عليه السلام وهذا ما حصل فعلا.

ثامنا: اختصاص النبوة بنسل بني إسرائيل فبولس نفى النبوة عن عيسى –عليه السلام– وادعاها؛ لتبقى النبوة محصورة في بني إسرائيل.

تاسعا: اعتبر العهد الجديد أن بولس هو خاتم الرسل فلا رسول بعده.

عاشرا: ألغى الختان وجعله محرما وحارب كل من فعله أو دعا إليه استمالة للوثنيين وتيسيرا عليهم؛ ليدخلوا في دينه.

حادي عشر: بفتوى الإباحة العامة، أباح أكل ما كان محرما كالنجاسات، بل وأباح أكل كل شيء.

ثاني عشر: اختص بسر الاختيار "لذلك جعل نفسه فقط هو المؤتمن على الإنجيل لا غيره، فهو يقول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٠–١١ " وإن كان شيء آخر يقاوم التعليم الصحيح حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي اؤتمنت أنا عليه"، وفي رسالته إلى تيطس١: ٣ "وإنما أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة بالكرازة التي اؤتمنت أنا عليها بحسب أمر الله مخلصنا".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتلخص هذا التعليم فيما يلي(١):

١- أن بولس قد بلغه المسيح بالرسالة مباشرة بدون واسطة أحد.

٢- أن رسالته عالمية إلى جميع الأمم بلا استثناء.

٣- أن عالمية رسالته سر مكتوم منذ الدهور، لم يتوضح للأنبياء، وكان خفيا على الناس حتى أذن الله لبولس بإعلان هذا السر.

٤- أن رسالته وتعليمه مستقل فيهما عن جميع الحواريين والتلاميذ، ولا ينقص عن سائر الرسل.

٥- أن بولس هو المؤتمن على إنجيل الله فأظهره في وقته الخاص.

وبهذه النتائج يكون بولس قد طمس عقيدة التوحيد وأدخل الناس في عقيدة وثنية لا فرق بينها وبين تلك العقائد التي ذكرها العهد القديم عندما كان شعب إسرائيل يرتد ويتبعها فيبعث الرب بسببها الأنبياء والقضاة ليعيدوهم إلى التوحيد ثانية.

المطلب الثالث: نقض ادعاء بولس الرسالة وسر الاختيار بناء على ما جاء به.

أرى بناء على ما جاء في الكتاب المقدس أن بولس لا يعدو كونه لاهوتيا من بني إسرائيل كان قد تعصب لهم فأراد أن يبقيهم –حسب معتقدهم– شعب الله المختار وأرى أنه خارج دائرة الاختيار لأسباب كثيرة أذكر منها ما يلي:

١- تميُّز بولس بالعداء للمخالفين:

تميز بولس بالعداء للمخالفين الذي وصل إلى حد القتل والسجن والاضطهاد وإقراره، وبسهولة الرد بالشتم والسخرية دون أن يكون هناك أدنى مستند قوي يعتمد عليه وقد ذكر ذلك العهد الجديد.

فلم يستند على ما يوجب قتل استفانوس عند الحكم العشوائي من علماء المجامع عليه ورجمه.

---

(١)راجع: ص١٠٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يبرر ولو بحجة واحدة ما يوجب سجن أتباع المسيح وملاحقة تلاميذه، وحتى بعدما ادعى حادثته مع عيسى عليه السلام على طريق دمشق وادعاؤه الرسالة اختلف مع أتباع دعوته كبرنابا وغيره من أتباع المسيح وانهال عليهم بالشتم.

لم يكن الأنبياء المختارون ليعادي بعضهم بعضا والسبب هو أن دعوتهم واحدة وهدفهم واحد، ولم يكن المختارون ليعادوا أتباعهم ولم يحدث هذا قط.

ولم يُذكر في القرآن ولا في السنة أنه كان هناك حقد واضطهاد من قِبَل واحد من الأنبياء قبل نبوة محمد ﷺ على الإطلاق، بينما يذكر الكتاب المقدس أمثال ذلك وعلى رأسهم بولس في العهد الجديد.

وأنقل هنا نصا من العهد الجديد يبين بعض الأمور التي تنقض بعض ادعاءات بولس والتي ستأتي ضمن النقاط ٢، ٣، ٤:

"ألست أنا رسولا؟ ألست أنا حرا؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟ ألستم أنتم عملي في الرب؟ إن كنت لست رسولا إلى آخرين، فإنما أنا إليكم رسول! لأنكم أنتم ختم رسالتي في الرب."[١كورنثوس٩: ١و٢].

لم يقم أي تفسير من تفاسير الكتاب المقدس بتفسير هاتين الفقرتين تفسيرا واضحا فقد قام واحد منها بالإحالة إلى تفسير آيات ادعى أنها مشابهة لها(١)، وقام تفسير ثان ببيان أن الفقرتين إثبات لما سوغ به بولس أنه رسول(٢)، إلا إن المتمعن في النص يجد أن بولس قد ناقض سلوكات المختارين وناقض ما نصب به نفسه وغيرهما من الأمور التي تضمنها النص السابق وذلك ضمن النقاط التالية.

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٩٦٣.

(٢)انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص٢٤٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ادعاء الحرية:

ولا ندري هنا أيقصد بالحرية أنه ليس عبدا عند أحد وهذا لا علاقة له بالاختيار والرسالة والدعوة بل فيه شيء من الفوقية فقد يحدث العبد أثرا وفرقا في الدعوة لم يستطع الحر أن يأتي به.

وإن كان يقصد حرية التشريع فهذه ليست من حق أي مختار مهما كانت مكانته، ولكنه بادعائه هذا سوغ لنفسه إطلاق أحكام كثيرة لم يرد بها خطاب من يسوع.

فإلغاء الختان وتحليل أي طعام –مثلا– لم يذكر العهد الجديد أبدا أنه تمت مخاطبة بولس ممن اعتبره ابن الله بشأنهما، فكان تصرف بولس كما يشاء منطلقا من حادثة رؤية يسوع لا من منطلق خطاب يبين الأوامر والنواهي ولا حتى أمور العقيدة.

من منطلق آخر ،لم يرد في العهد الجديد مخاطبات ما بين الرب وما بين بولس ولا بين الرب وبين يسوع تتعلق بالأحكام والتشريعات، لذلك فإن جميع رسائل بولس أو أسفار العهد الجديد تعتبر منقوضة.

٣- رؤية يسوع كدليل رسالة لبولس وربوبية ليسوع:

أما قول بولس " أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟" ليجعل من يسوع ربا ومن نفسه رسولا له فهذا لا يعتد به، فمجرد رؤية يسوع ليس معناها أنه صار رسولا له ومشرعا كما يشاء، ولا يعني ذلك أن عيسى – عليه السلام– قد صار كذلك.

وعلى فرض أن بولس قد رأى المسيح عليه السلام عندما ظهر له في الرحلة، فإن من الواجب أن يخبره صراحة بقوله أنا الله، وكان لزاما أن يعطيه التشريع والعهد الجديد الذي يدعيه، فلماذا أعطى موسى الشريعة الموسوية ولم يعطها لبولس.

ولو جاز اعتبار ذلك لكان تلاميذ عيسى عليه السلام الاثني عشر هم أعلى منه درجة وهم أولى بأن يكونوا أنبياء لعيسى –على فرض أنه ابن الله– فهم أتباعه الذين تلقوا على يديه تعاليمهم، وهم الذين اختارهم من أجل دعوته، وهم الذين لم يبدأ خطابه معهم باللوم بسبب الاضطهاد الذي حل على أتباعه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في ادعاء بولس أنه رأى المسيح عليه السلام عندما ظهر له فإن هذا يعتبر دليلا قويا وتأييدا عزيزا للقرآن بأن المسيح لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه وإن كان هذا سابقا لنزول القرآن الكريم، وبهذا لا أرى أن الاحتجاج برؤية المسيح يصلح أن يكون دليلا على ألوهيته.

٤- إلغاء عالمية رسالة بولس:

قال بولس: "إن كنت لست رسولا إلى آخرين، فإنما أنا إليكم رسول!"، فمن المعروف أن بولس قد قال هذا الكلام ضمن رسالته الموجهة إلى أهل كورنثوس من خلال الكنيسة هناك والتي عمل بولس على تأسيسها عندما رأى أنها ذات تجمع هائل وأنها تشكل محورا مهما لليونانيين والوثنيين بشكل عام من جميع النواحي كالاجتماعية والاقتصادية وغيرهما(١).

هذا النص قاله بولس لأنه يعلم أن اليهود لن يتبعوه مهما كان وأن النصارى قد يتبعه منهم عدد ليس بالهين ولكن أولئك الذين تلامس هذه العبارات قلوبهم من أهل كورنثوس ليس لهم دين معين ويرون آلهة لكل شيء وقد يتبعون بولس لاسيما أنه قد جاء بقصة تشبه ما كان من آلهة الإغريق والرومان من حيث التثليث وتسلم الابن لسلطات الآلهة.

جاء في أساطير اليونان ما يلي:

"كان يسيطر على الأرض هذه الكتلة التي لا شكل لها إله يسمى كاوس وكان لا يرى لأنه لم يكن هناك نور يرى به. وكانت تشاطره في الحكم زوجُه نوكس آلهة الليل، وهي بثيابها السود وملامحها الأشد سوادا لم ترد أن تحيي هذا الموات الحزين المحيط.وبمرور الزمن تعب كاوس وزوجه من القوة فاستدعيا ابنهما واسمه الظلمة ليعينهما، وأول شيء عمله هذا الابن هو أنه خلع أباه وتزوج من أمه نوكس أو نيكس.وظلا يحكمان العالم حتى عزلهما ابناهما أثير الضياء وهيرميرا النهار واستوليا على الحكم"(٢).

---

(١)انظر تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٩٤٤و١٩٤٥.

(٢)أساطير الإغريق والرومان، هـ.أ.غريبر، ترجمة حسني فريز،دائرة الثقافة والفنون-عمان، د.ط، ١٩٧٦م، ص٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النص السابق يبين مدى التشابه ما بين حياة الوثنيين والتي كانت لا تمانع من تعدد الآلهة وما بين دعوة بولس التي من السهل أن تستساغ عندهم، وبهذا يكسب بولس طائفة كان من الممكن بالحجة القوية والعلم أن تنجر وراء التوحيد لكنه قام بدعوتها إلى ما عزز موروثهم الديني الذي كان متخبط المصادر وغير ثابت في القيم فوجدوا في دعوته ما يريدون، ويكون بذلك زاد عدد أعداء الموحدين.

ولكن في هذه النقطة هناك أمر أهم كشفه نص بولس عندما قال: "إن كنت لست رسولا إلى آخرين، فإنما أنا إليكم رسول!" وهو أنه على فرض أنه –رسول ابن الله– المبعوث للعالمين فإن هذا النص يلغي عالمية رسالته ويبين أنه مبعوث على الخصوص إما إلى أهل كورنثوس وإما إلى الوثنيين خاصة، ولست هنا في معرض الحديث عن مدلول النص من جهة البلاغة أو النحو لأنني أعتقد جازما أن لا مقارنة ما بين النص القرآني ونص الكتاب المقدس إلا إن بولس كان قد ألزم نفسه(١) عندما حصر نطاق دعوته في فئة معينة فقال: " فإنما أنا إليكم رسول"، فكلمة (إنما) تفيد الحصر، وبهذا تسقط عالمية دعوة بولس التي ائتُمن عليها فهي محصورة في الوثنيين دون غيرهم.

وأرى أيضا أن بولس كانت دعوته ضيقة الحدود لدرجة كبيرة؛ لأنه لم يتجاوز في رحلاته ورسائله أبعد من رومية الإيطالية وما حولها.

٥- ضعف بولس عن القيام بأعباء ما ادعاه:

إن الناظر في ترجمة بولس يجد بأنها تترجم لشخص كان قد تمرس في عدة فنون على رأسها علوم اللاهوت وفنون المناظرة، وقد تتلمذ على أيادي أقوى علماء المجامع.

---

(١)يُذكر أن رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس كتبها بولس ولم يكتبها أحد على لسانه أو أن أحدا قام بنقلها بالمعنى على لسان بولس، انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٩٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا إن واقع ما تضمنته أسفار العهد الجديد تبين عكس ذلك، مما يسقط كونه مختارا، فعندما ناظر علماء المجامع استفانوس وأقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا مجاراته، أشار سفر أعمال الرسل إلى أن بولس كان حاضرا ولم يتكلم بكلمة واحدة ولم يدافع عن يهوديته ولا حتى عن طائفته، وهذا يبين ضعف جميع الحاضرين بمن فيهم بولس، فلو كان رسولا أو عالما أو توجد عنده إرهاصات الرسالة لقدمها.

أمر آخر، أنه عندما انتهت حادثة بولس مع يسوع صارت على عينيه غشاوة حتى أنه احتاج إلى أن يقتاده من كان معه.

"فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدا. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب"[أعمال الرسل٩: ٨و٩].

في تلك الأثناء خاطب الرب في الرؤيا تلميذا في دمشق اسمه حنانيا طالبا منه أن يذهب إلى بولس وأن يقوم بمعالجته، وبمجرد أن وضع يده على بولس ارتد بصيرا وعاد إلى طبيعته، فلو كان بولس مختارا لما احتاج إلى شخص يفعل فيه فعل الأنبياء فحنانيا يظهره النص أنه أعلى درجة من بولس فقد أعاد حنانيا بصر بولس في حين لم يقدر بولس أن يشفي نفسه(١)، وليس لأحد أن يعلم الرسل أو أن يقيم عليهم الحجة، في حين عجز هذا الرسول عن القيام بذلك؛ لأن النبي اتصاله مع الله، فللنبي أن يعلم نبيا وللوحي أن يخبر نبيا، وللرب أن يعلم النبي وأن يخبره بمراده وأن يجري المعجزات على يديه، أما أن يكون هذا على يد بشر عادي فهذا لم يحدث قط.

---

(١)انظر: سفر أعمال الرسل٩: ٣-١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- نسخ بولس للختان:

جاء في العهد القديم أن الرب أخبر إبراهيم -عليه السلام- بأنه اختاره ونسله وأنه سيقوم بعهد معه ومع نسله من بعده، وكان من موجبات هذا العهد أن يقوم إبراهيم بالختان فيبدأ بنفسه ثم أهل بيته ثم بقية قومه وأتباعه، وأن هذا الختان من شروط دخول ملكوت الرب ونيل عهده.

"أما أنا فهوذا عهدي معك.... لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون.... وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك.... هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم".[تكوين١٧: ٢-١١].

استمر هذا الأمر من زمن إبراهيم حتى جاء إلى زمن بولس، فقام بإلغاء الختان، وادعى أن الختان مسألة معنوية وليست فعلية كما فعل اليهود من زمن إبراهيم حتى ما قبل بولس، وأن من يمتلك الإيمان بما أراد الله في قلبه أو كما ادعى (بالناموس) فإن هذا هو الختان، وأن من لا يعمل بمقتضى الناموس فإنه وإن اختتن في غرلة.

"لأن الله واحد، هو الذي سيبرر الختان بالإيمان، والغرلة بالإيمان"[رومية٣: ٣٠].

بهذا الادعاء استطاع بولس أن يلغي الختان وان يجعله مسالة روحانية تتعلق بالباطن لا أكثر، ولكنه بذلك يكون قد نقض الكثير مما جاء في الكتاب المقدس وأبطله ليقع في خطأ كبير ينقض ما جاء به وبالتالي ينفي عنه النبوة وسأبين ذلك بالتفصيل وكما يلي:

أولا: العهد من الرب إلى إبراهيم -عليه السلام-:

إذا أردنا مناقشة نص خطاب الرب مع إبراهيم -عليه السلام- نجده أولا بأنه قال له: "أما أنا فهو ذا عهدي معك"، ليدل ذلك على أن الرب كان قد عاهد إبراهيم، ولأنه عهد فإنه دائما يتصف بدقة ووضوح عباراته وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حتى يكون أطراف العهد على فهم تام للعهد، فلا يتصور أن ينقض العهد إلا إذا تمت مخالفته ولم يكن إبراهيم ليخالف العهد مهما كان لأنه من الرب إلا أن بولس قام بتجاهل هذا العهد ومقتضياته ليقوم بإلغاء الختان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: تقليد بولس لإبراهيم وما دل عليه مضمون التقليد:

كان إبراهيم يدعى أبرام وعندما أقام الرب معه عهده غير اسمه فقال له: " فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم"، وهذا أيضا ما فعله بولس بعد حادثته مع يسوع على طريق دمشق حيث كان اسمه شاول فغيره ليصير اسمه بولس، وهذا تقليد واضح لما حصل مع إبراهيم، إلا إني أرى أن هذا التقليد لم يقم به بولس عبثا، بل قام به قصدا والسبب أن الرب كلم إبراهيم بأنه سيقيم معه عهده ثم بعدها غير اسمه ثم بعدها طلب من أن يختتن، فقام بولس بتغيير اسمه ليبين أن هناك عهدا جديدا قد حل محل السابق وأن العهد الجديد قد اقتضى أن يتم معه أيضا تغيير الاسم تماما كما حدث مع إبراهيم ثم ليسوغ هذا العهد الجديد تولد حكم جديد.

لكن بولس هنا لم يكن كإبراهيم فقد جاء خطاب الرب لإبراهيم بأنه سيكون أبا لجمهور الأمم، أما بولس فلم يكن كذلك، وهذا يدل على أن إبراهيم أعلى درجة من بولس علما أن إبراهيم ليس نبيا عند أهل الكتاب المقدس بينما بولس ادعى أنه رسول.

ثالثا: وضوح النص ينفي أن يُصار إلى غيره:

خاطب الرب إبراهيم قائلا: " هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم"، فبين له الرب مؤكدا مرة ثانية العهد الذي اتخذه معه، وأن من مقتضيات هذا العهد أن يقوم بالاختتان، ولا مجال للقول هنا أن المقصود بالختان ما كان من إيمان وغير ذلك بل هو الختان الحقيقي، فعندما يذكر قائلا: ((لحم غرلتكم)) لن يستطيع أي شخص أن يصرف ذهنه إلى غير ذلك فالنص واضح، وإذا كان قد بين معنى الختان وبين معنى الغرلة بالإيمان وعدمه فبم يبين معنى كلمة لحم، وكيف يمكن تأويل السكاكين في النص الذي خاطب الرب فيه إبراهيم قائلا له: "في ذلك الوقت قال الرب ليشوع:"اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بني إسرائيل ثانية".[يشوع:٥: ٢]؟.

رابعا: تعطيل العمل:

طالما أن بولس قد جعل المعنويات حاكمة على مصير الإنسان فإن الأتباع لا يهمهم أن يختتنوا في لحم غرلتهم طالما أن الإيمان عامر في قلوبهم ولا يهم أن يسرقوا أو يزنوا طالما أن الإيمان عامر في قلوبهم، أليس هو من قال أنه لا بأس بأن تحلل لهم كل المأكولات طالما أنهم يتناولونها مع الشكر؟!.

وهذا ما سوغ للنصارى أن يفعلوا ما يريدون طالما أن هناك من سيغفر لهم في الكنيسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسا: الرب مختون:

جاء في العهد الجديد ما يلي: "وأما أليصابات فتم زمانها لتلد، فولدت ابنا. وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها، وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبي، وسموه باسم أبيه زكريا. فأجابت أمه وقالت: ((لا! بل يسمى يوحنا)). فقالوا لها: ((ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم)).

ثم أومأوا إلى أبيه، ماذا يريد أن يسمى. فطلب لوحا وكتب قائلا: ((اسمه يوحنا)). فتعجب الجميع. وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله".[لوقا١: ٥٧-٦٣].

"ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع، كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن"[لوقا٢: ٢١].

النصان السابقان يبينان أن الختان بقي موجودا وأنه كان في اليوم الثامن حتى ظهر بولس.

اللافت للنظر أن يوحنا كان قد تكلم في اليوم الثامن أي عند ختانه، والعجيب أن يسوع والذي يعتقد أنه ابن الله لم يتكلم، فالعجيب في الأمر أن يتكلم إنسان ابن إنسان في حين أن ابن الرب لم يتكلم.

هناك ما هو أعجب من ذلك وهو أن بولس حارب الختان وقاوم من أجل إلغائه مدعيا أن هذا هو العهد الجديد من الرب يسوع، ولكنه نسي أن الرب نفسه مختون وأنه قد خُتن في اليوم الثامن لميلاده كما هو الواجب عند اليهود.

فلو كان الختان سيلغى لتكلم ابن الله في المهد رافضا أن يختن كما تكلم يوحنا عندما أبهر اليهود الموجودين وقتها بكلام بارك فيه لله.

سأفترض أن ابن الله حل في جسد إنسان لاحقا، فلِم يقبل أن يحل في جسد مختون طالما أنه كان سيلغي الختان بعدها؟.

وسأفترض أنها مسألة مرحلية تدرجت إلى أن وصلت إلى عهد جديد كان من تعاليم هذا العهد إلغاء الختان، فأعود لأسأل لماذا لم يغادر يسوع هذا الجسد وينتقل إلى جسد آخر غير مختون طالما أن الختان صار محرما؟.

مجرد أن يدعو بولس إلى إلغاء الختان في حين أن الرب يسوع مختون يجعل تصديق قصة بولس من أولها إلى آخرها مرفوضة بالكلية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- نقض سر الاختيار:

إن ما كان من أسرار عند الله فإنه جل وعلا لم يطلع أحدا من الخلق عليها مهما كانت درجته، لكن بولس ادعى عن دون الخلق أجمع بأنه اطلع على سر الاختيار أو على أسرار عند الرب خولته أن يكون رسول الرب، وهذا باطل لأسباب كثيرة.

وسأسأل هنا بعض الأسئلة التي تفرض نفسها لأجيب عليها: هل قصد بولس بالسر سر اختياره كرسول، أم يقصد بالسر أنه عرف ما كان مخفيا عن الناس بأن يسوع ابن الله؟.

وهل يقصد بالسر العلم بأمور لاهوتية أخفيت عن الناس قبلا؟.

إن كان بولس يقصد بالسر هنا سر اختياره كرسول فهذا باطل؛ لأن الرب لا يعلم أحد أبدا من سيختاره ليكون نبيا، وإن كل من كان نبيا جرت عليه واحدة من طرق الاختيار وبينت صراحة أنه نبي، لكن لم تأت على لسان الرب كلمة واحدة في العهد الجديد أن بولس رسول للرب أو لابن الرب يسوع، وليس لأحد من المختارين رسولا كان أو نبيا أن يتصرف من عنده إلا بنص واضح من عند الرب لا سر فيه ولا غموض في مضمونه.

وللرب أن يفعل ما يشاء علم البشر أم لم يعلموا، وللرب أن يأمر بما يشاء عرف البشر لماذا أم لم يعرفوا فهو الخالق وهو المتصرف في خلقه: "وسر هذا الاختيار فوق إدراك البشر، أما أثره فيعرفه البشر ويدركونه، بل إن الكتاب يحثهم على التحقق منه.... العنصر السري في الاختيار إذن ينحصر في أنه عمل الله ومن ذا الذي يعرف فكر الله؟ وهو ليس من ابتداع البشر وليس في مقدورهم....وهو يتصل بقدرة الله وحريته في أن يعمل كما يشاء"(١).

---

(١)انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن كان يقصد بالسر معرفة ما كان مخفيا عن الناس بأن يسوع ابن الله فإن هذا باطل أيضا والسبب أنه كان من بين تلاميذ يسوع شخص يقال له سمعان وهذا الشخص لا يقل شأنه عن بولس بل هو أعلى درجة من بولس لأنه من تلاميذ يسوع وهذا يعني أنه تلقى مشافهة وأمام بقية التلاميذ تعاليم يسوع مما يجعله أعلى درجة من بولس الذي تخبط عندما ادعى رؤية يسوع ولم يعرفه هذا إن كان قد رآه.

لقد كانت قصة سمعان مشابهة تماما لقصة بولس، لم يؤمن سمعان بداية بيسوع.

وهذا كان معروفا في بولس؛ فعندما آمن به اتبعه، –ومسايرة ومتابعة للنص– فإن سمعان قال عن يسوع أنه ابن الله قبل أن يقولها بولس وبذلك لم تعد مسألة يسوع أنه ابن الله سرا لأنه قد اتضح السر وفشا قبل أن يتنصر بولس فتشابها في السر والسبق لسمعان، وغير بولس اسمه من شاول إلى بولس.

وكذلك الأمر مع سمعان فقد تغير اسمه من سمعان إلى بطرس، بل إن يسوع هو من غير اسمه ليكون بطرس أي (الصخرة أو الحجر الصغير)(١)، بل إن يسوع قد كلم بطرس بكلام يوحي بالاختيار أوضح وأدل من الكلام الذي ادعى من خلاله بولس الرسالة، فقد جاء أن يسوع قال: "وأنتم من تقولون أني أنا؟. فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي!. فأجاب يسوع وقال له:"طوبا لك يا سمعان.... وأنا أقول لك أيضا: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي...."[متى١٦: ١٥–١٨].

فهذا النص يدل على مشابهة حال بولس لبطرس وأن بطرس أعلى درجة من بولس.

أما إن كان بولس يقصد بالسر **العلم بأمور لاهوتية أخفيت** عن الناس قبلا فإن هذا باطل أيضا فلو كان كذلك لما كشف يسوع ذلك السر لتلاميذه والذي يعتبر أعلى وأهم من كل ما سيدعيه بولس من أسرار وعلوم مهما كانت؛ ذلك وأن يسوع قد عرف تلاميذه سر الملكوت.

– ----------

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٥٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"ولما كان وحده سأله الذين حوله مع الاثني عشر عن المثل، فقال لهم: ((قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله))"[مرقس٤: ١٠-١١].

وبهذا يكون تلاميذ يسوع قد سبقوا بولس بمعرفة لاهوتية أعمق مما ادعاه، وكذلك الأمر فإن بطرس كان من بين التلاميذ، إلا إنه قد كان الخطاب له أعلى درجة مما كان للتلاميذ وأعلى من أن يكون كما يدعي بولس فقد خاطبه يسوع بخطاب لم يحظ به بولس أبدا فقال له:

"((وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السماوات))[متى١٦: ١٩].

فهل هناك خطاب أعظم من هذا الذي تلقاه وتمتع به بطرس مع كل ذلك لم يدع بطرس سر الاختيار ولم يدع أنه رسول فلم ينسخ ولم يلغ ولم يحل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية وبيان اضطراب الاختيار في الكتاب المقدس

اتفق اليهود والنصارى والمسلمون على وجود الله تعالى، وعلى وجود دين يدينون به، واتفقوا على أن الطريق إلى عبادته هم المختارون الذين نقلوا تعاليمه، لكن اليهود اعتبروا أن الدين هو اليهودية فهو خاص بهم، ونسبوا إلى الله ما لا يليق به، والنصارى قالوا بالنصرانية وجعلوا لله الولد، بينما دعا المسلمون إلى التوحيد وأن الإسلام دين لكل الخلق، واختلف الجميع أيضا في الاختيار أيضا.

وكنت قد بينت عقيدة الاختيار عند أهل الكتاب المقدس في أحد الفصول السابقة، وسأقوم في هذا الفصل ببيان الاختيار عند المسلمين في القرآن الكريم والسنة النبوية.

بناء عليه جاء هذا الفصل في أربعة مباحث كما يلي:

المبحث الأول

عقيدة المسلمين تجاه قضية الاختيار

المبحث الثاني

طرق الاختيار وأسبابه في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الثالث

بيان ما انفرد به المختارون من صفات وأحوال

المبحث الرابع

بيان اضطراب الاختيار في الكتاب المقدس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

عقيدة المسلمين تجاه قضية الاختيار

اتصفت عقيدة المسلمين بأنها ثابتة لا تقبل التغيير وهذا ما يؤكد أن يد التحريف لم تطلها، وأنها قائمة بذاتها ولا علاقة لها بغيرها من العقائد، وهي عقيدة بعيدة عن الأوهام.

كل ذلك شكل عند المسلمين عقيدة ثابتة لا تتغير، أساسها النقل الصحيح والعقل السليم، فجعلوها الحاكمة على العقائد لا المحتكمة إليها، ومن قضايا هذه العقيدة قضية الاختيار، والتي أبينها في هذا المبحث بناء على ما يعتقده المسلمون(١)(٢).

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين كما يلي:

المطلب الأول: الإيمان المطلق بالأنبياء والرسل.

المطلب الثاني: الاختيار أمر خاص لا يعلمه إلا الله.

---

(١)انظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، قحطان عبد الرحمن الدوري، كتاب ناشرون، مصر – القاهرة، ط٢، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ص١٧–٢٣.

(٢) سأقوم في أكثر المطالب من هذا الفصل بعرض النبي محمد ﷺ كأنموذج لما أريد بيانه في بعض المباحث والمطالب دون الاستغناء عن ذكر بقية المختارين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الإيمان المطلق بالأنبياء والرسل.

يؤمن المسلمون بالأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم والسنة النبوية إيمانا مطلقا؛ لأن الإيمان بالأنبياء يعد الركن الرابع من أركان الإيمان التي من أنكر واحدا منها الأركان كان كافرا(١).

قال تعالى:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾البقرة: ٢٨٥.

وقال النبي ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن أركان الإيمان : ((....الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث....))الحديث(٢).

والكفر بالأنبياء أو إنكار ركن الإيمان بالأنبياء يعني هدم الدين ؛فالذي أخبر بوجود الله تعالى هو الرسول أو النبي فإن أُنكرت النبوة فكيف ستتعرف على الله وعلى أن من أوجدك هو الله؟.

والفائدة والحكمة في ذكر كلمة (تؤمن) في أول الكلام عن الأركان وفي أخر الكلام عند ركن البعث؛ لبيان الأمر بالإيمان وفرضيته ولبيان ترابط وأهمية الأركان الخمسة على التوالي، وإن هذه الأركان ما كان ليقع الخلاف فيها كما يقع في البعث أو القدر –بحسب الروايات–، فجاءت كلمة (تؤمن) مرة ثانية في البعث للتأكيد على أنه واقع، والسبب هو كثرة التشكيك فيه وندرة التشكيك في الأركان ما قبله ومنها الإيمان بالرسل(٣).

---

(١)أقصد بالأنبياء: الأنبياء والرسل معا وذلك للاختصار: قال ابن حجر العسقلاني –رحمه الله– ضمن شرح حديث سؤال جبريل عن الإيمان: (والتعبير بالنبيين يشمل الرسل من غير عكس) انظر: فتح الباري ج١، ص١١٨، علما أنه عند قراءة الكتاب المقدس نرى أنه فرق بين النبي والرسول إلا عند ذكر شاول بولس والذي نعت نفسه بأنه رسول.

(٢)الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بـ(صحيح البخاري)،محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:١، ١٤٢٢هـ، ج١، ص١٩، حديث رقم ٥٠.

(٣)انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، ج١،ص١١٨ شرح سؤال جبريل عن الإيمان، وسأشير إلى الكتاب في الصفحات الآتية تحت اسم (فتح الباري) أو (الفتح) كما هو متعارف عليه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنكار الرسول يعني إنكار الكتاب الذي أنزله الله تعالى عليه وإنكار الملك الذي نزل بهذا الكتاب، وبالتالي قد نفي وجود الملائكة حتى يطال الإنكار اليوم الآخر.

وعقيدة المسلم هي الإيمان بالرسل والأنبياء الذين ذكرهم الكتاب والسنة، وعدم الطعن بمن لم يُذكر فيهما ما لم يكن هناك شك في حقيقته في الكتب المحرفة حتى يثبت أن هذا النبي قد حرفت سيرته.

ونفى العلماء الإيمان عمن لا يصدق ما جاء بواسطة النبي، قال الإمام محمد السفاريني رحمه الله: (وقال شيخ الإسلام ابن تيمية.... في شرح العقيدة الأصفهانية:"يجب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله من صفاته تعالى فليس ذلك موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله – تعالى – وجب علينا التصديق به، وإن لم ندرك ثبوته بعقولنا، ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم:﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ الأنعام: ١٢٤"، ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول، ولا متلقيا عنه الأخبار بشأن الربوبية)(١).

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾غافر: ٧٨.

قال الحافظ بن حجر –رحمه الله– في شرحه لحديث سؤال عن الإيمان ما يلي: (ودل الإجمال في الملائكة والكتب والرسل على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل إلا من ثبت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين وهذا الترتيب مطابق للآية: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه))(٢).

وأفضل الناس على الإطلاق هم الرسل ولا يوجد من هو أفضل منهم، وإن كانت هناك مفاضلة فإنها تكون مابين الرسل والأنبياء بعضهم مع بعض ولا مفاضلة أبدا ما بين الرسول ومن ليس برسول.

---

(١)انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ت١١٨٨هـ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ج١، ص٢٠.

(٢)فتح الباري، ج١، ص١١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى:﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ البقرة: ٢٥٣.

قال ابن عاشور –رحمه الله– في تفسير الآية السابقة:"والمقصود من هذه الآية تمجيد سمعة الرسل عليهم السلام، وتعليم المسلمين أن هاته الفئة الطيبة مع عظيم شأنها قد فضل الله بعضها على بعض، وأسباب التفضيل لا يعلمها إلا الله تعالى، غير أنها ترجع إلى ما جرى على أيديهم من الخيرات المُصلحة للبشر ومن نصر الحق، وما لقوه من الأذى في سبيل ذلك، وما أيدوا به من الشرائع العظيمة المتفاوتة في هدى البشر، وفي عموم ذلك الهدى ودوامه.... ويتضمن الكلامُ ثناء عليهم وتسلية للرسول عليه السلام فيما لقي من قومه"(١).

والله جل وعلا يختار من يشاء ليكونوا أنبياءه وليس لأحد أن يختار من يكون نبيا ولا لأحد أن يعترض على نبي فهو سبحانه الخالق والمتصرف في خلقه بمقتضى علمه وحكمته(٢).

والله تعالى يختار بإرادته التامة دون جبر أو تدخل أحد بل بمشيئته، فإن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل وكل شيء بأمره(٣).

المطلب الثاني: الاختيار أمر خاص لا يعلمه إلا الله.

قال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}[القصص: ٦٨].

وقال تعالى: {الله أعلم حَيْثُ يَجْعَل رِسَالَته}[الأنعام: ١٢٤].

إن اختيار الأنبياء واصطفاءهم واختيار الأماكن من الله تعالى وليس للبشر تدخل في ذلك؛ فالله تعالى في سابق علمه يعلم أن من البشر من اتصف بصفات مكنته من القيام بمهام الاختيار.

---

(١)تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت١٣٩٣هـ، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، ج٣، ص٥، وسأشير إلى الكتاب في الصفحات الآتية تحت اسم (التحرير والتنوير).

(٢)انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٩٤.

(٣)انظر: شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦ هـ، ص٣٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن هذا المختار قادر على إيصال الخطاب الرباني للبشر(١).

فالمختار جاء بخطاب محكم منضبط فوق ما يقدر عليه البشر من الضبط والإتقان، وجاء بمعجزات أيدت ما جاء به لم يستطع أحد من البشر أن ينقضها أو أن يأتي بمثلها، وطالما أن هذا في سابق علم الله فليس لأحد من البشر أن يطلع عليه أو أن يعلم سبب اختيار الله تعالى للمختارين أو أن ينصب نفسه عن الخلق بأن ما تم اختياره يصلح لهم أو أنه لا يصلح لهم، فمطلق الاختيار لله سبحانه وتعالى، فليس لأحد من البشر أن يختار مهما كان، فليس لمن كان في طاعة الله أن يختار نبيا أو مكانا للعبادة أو أن يختار منهجا أو تشريعا من عنده ، فإذا كان هذا في عباد الله المطيعين له فكيف بمن كفروا بالله وبمن أشركوا به؟!(٢).

والاختيار أمر لا يعلمه إلا الله وإذا أراد أن يطلعه أحدا من خلقه علمه الجميع، فالله سبحانه وتعالى تعبد الناس واختار لهم، فلا يوجد أي مختار أخفى عن الناس شيئا مما خاطبه الله به، ولا يوجد أي مختار أوحي إليه بشيء فقال بخلافه(٣).

أيضا فإن العقول مختلفة وتتغاير في التفكير والتقدير فيستحيل أن تصل في اختيارها إلى ما يناسب كل الخلق، ولكن الله أعلم بحال خلقه وأعلم بمن يصلح أن يُختار فكان من حكمته أن يختار الشيء ويضعه في الموضع الذي يصلح له، فكان اختيار الخطاب والأشخاص والأماكن والأزمان(٤).

---

(١)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت٣١٠هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م،ج١٩ ص٦٠٨.

وانظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرءوف محمد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، ص٢١.

(٢)العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، ت٨٤٠هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج٧ ص٣٥.

(٣)انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي ت ٥٥٨هـ، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض–السعودية، ط١٤١٩،١هـ–١٩٩٩م، ج٢ ص٤٥١، أيضا انظر في هامش نفس الصفحة.

(٤)انظر: شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ت٧٩٢هـ، أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٨ هـ،ص٤٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اعترض المشركون على اختيار الله تعالى عندما بعث محمدا ﷺ، واعتراضهم هذا ليس إلا عن عدم إدارك لما يريد الله ولما يقدّر ويختار، وما علموا أنهم لو قبل اعتراضهم لكان هذا نقضا للدين وإضعافا له؛ لأن في اعتراضهم تنشأ إرادة أخرى مخالفة لإرادة الله تعالى، وصار في اعتراضهم فتح باب لاختيار فوق اختيار الله وعدم الرضا باختيار الله وهذا –أيضا– تقييد لمشيئة الله جل وعلا مما يجعل من السهل رفض الدين الذي وضعته عقول البشر، وفي ذلك بيان عن قصور الله عن إدراك ماهية الحال وما يلزم لها، ولكن الدين لا يكون بحسب الأهواء وإلا لفسد بسبب تقلب الأحوال(١).

وعلى أخذ أن الله بعث مختارا أو اختار مكانا كما يريد الخلق فإن هذا فتح لباب الحمية والعصبية، فلو نزل الله إلى مستوى تفكير المشركين لغضب قوم أرادوا أن يكون النبي من قبيلتهم، ولغضب آخرون أرادوا الكعبة في أرضهم وكان من السهل عليهم المطالبة بذلك طالما أن الاختيار كان من عند البشر وبالتالي زيادة إفساد في الأرض ولكن الله عليم خبير وهو أعلم حيث يجعل رسالته.

قال تعالى:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ القصص: ٦٧ – ٦٨.

وبهذا أرى أن الاختيار أمر خاص بالله تعالى ليس لأحد أن يعترض عليه ولا أن يطلع عليه، فهو الخالق وهو المتصرف في خلقه وهو الأعلم بما يوافقهم.

---

(١)انظر: التحرير والتنوير،ج٢٠ ص١٦٤و١٦٥

وانظر: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ج١ص٧٣وج٤ص٥٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

طرق الاختيار وأسبابه في القرآن الكريم والسنة النبوية

مثلما كانت هناك طرق وأسباب للاختيار في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد فإن في القرآن الكريم والسنة النبوية طرقا وأسبابا للاختيار اصطفى الله من خلالها المختارين والأماكن وغيرهما، لكن هذه الطرق والأسباب في الاختيار اختلفت في الكتاب والسنة عن تلك التي ذكرها الكتاب المقدس في عدة أمور أبينها في هذا المبحث، منها –مثلا– قلة عدد الطرق والأسباب مقارنة مع تلك المذكورة في الكتاب المقدس، وعدم تدخل البشر في طرق الاختيار وماهياته وطقوسه.

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين كما يلي:

المطلب الأول: طرق الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: أسباب الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: طرق الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية.

على الرغم من التشابه في طرق الاختيار المذكورة في هذا المطلب إلا إنه يوجد هناك فارق كبير بينها وبين ما في الكتاب المقدس في بعض الطرق وكما يلي:

١- طرق الاختيار التالية هي محصورة في الأنبياء وحدهم وليست في أحد غيرهم، على عكس ما في الكتاب المقدس، حيث كانت طرق الاختيار فيه للجميع، فالرب كلم الجميع، وكذلك الروح القدس.

٢- طرق الاختيار ربانية خالصة ولا دخل لأي إنسان بها.

٣- أن الهدف من هذه الطرق هو اختيار الأشخاص والأماكن وإيصال ما أراده الله تعالى، لذلك لا تهم كثرة طرق الاختيار بقدر ما يهم المراد إيصاله إلى الخلق فكانت طرق الاختيار محددة وقليلة.

قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾الشورى: ٥١.

إن كيفية اختيار محمد ﷺ تختلف عن كيفية اختيار بقية الأنبياء، فاختيار محمد ﷺ بدأ بنزول الوحي عليه مباشرة وبدأ بالكلام معه بالقرآن الكريم مباشرة دون أن يتكلم معه بأي كلام من كلام البشر.

<u>الاختيار بواسطة جبريل عليه السلام:</u>

أول ما كان من طرق الاختيار كان بواسطة سيد الملائكة جبريل -عليه السلام- فهو من يرسله الله تعالى إلى الأنبياء، فجبريل عليه السلام هو الواسطة ما بين الله ومابين الخلق بما ينزل به من وحي.

قال ابن حجر -رحمه الله- : "ومن أعظم رحمته أن أنزل كتبه إلى عباده والمتلقي لذلك منهم الأنبياء والواسطة بين الله وبينهم الملائكة"(١).

ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية طريقة اختيار محمد ﷺ وذلك بتكليم جبريل -عليه السلام- له، والبداية كانت في غار حراء، ولم يعرف النبي أن تكليم جبريل له كان اختيارا له -كما حصل مع الأنبياء من قبله- إلا عندما عرض الأمر على من كان له اطلاع على أخبار اللاهوت.

وتكمن القوة في طريقة الاختيار هذه أن تكليم جبريل للنبي محمد كان بكلام الله تعالى نصا ومباشرة والذي كان جزءا من الكتاب الذي أنزل عليه ليكون تشريعا للناس.

---

(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١ ص١١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– أنها قالت:"أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه– وهو التعبد الليالي ذوات العدد– قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه (وفي رواية: فجئه) الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال:"اقرأ"، قال: ((ما أنا بقارئ))، قال: ((فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال)):"اقرأ"، ((قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية،..... فقال)):"اقرأ"، ((فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة،... فقال)):﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾العلق:١ – ٥، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: ((زملوني زملوني))، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: ((مالي))؟، وأخبرها الخبر وقال: ((لقد خشيت على نفسي)) فقالت له خديجة: "كلا أبشر، فوالله ما يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ قد تنصر....، فقالت له خديجة: "يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك"، فقال له ورقة: "يا ابن أخي! ماذا ترى؟" فأخبره رسول الله – ﷺ – خبر ما رأى، فقال له ورقة: "هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك"، فقال رسول الله ﷺ : ((ومخرجي هم؟)) قال: "نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي (وفي رواية: أوذي)، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا"، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي، حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا– حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه؛ تبدى له جبريل فقال: "يا محمد! إنك رسول الله حقا"، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه....)(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ...تبدى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك(٢).

---

(١)مختصر صحيح الإمام البخاري، محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢م، ج١، ص١٦–١٨، باب بدء الوحي، كتاب كيف كان الوحي إلى الرسول ﷺ.

(٢)صحيح البخاري، ج٩، ص٢٩و٣٠، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي رواية عند ابن إسحاق:"فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فرفعت رأسي إلى السماء، فأنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهى عنه في آفاق السماء، فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك"(١).

دلت الأحاديث السابقة على أن الله تعالى قد اختار محمدا ﷺ من الذين أراد أن يختارهم ليبلغوا دينه، ودلت هذه الأحاديث –أيضا– على طريقة الاختيار التي كانت بواسطة جبريل عليه السلام، وأردت أن أذكر أكثر من رواية من الحديث لبيان الطريقة التي تم الاختيار بها؛ ولبيان الكلام الذي دار ليبين التأكيد على الاختيار وعدم الإيهام به حيث إن جبريل قال للنبي: يا محمد إنك رسول الله حقا؛ ولأبين في الحديث الأخير ما جاء من تعريف بماهية المخاطِب وهو جبريل عليه السلام مما لا يدع مجالا للشك في وضوح هذه الطريقة من طرق الاختيار.

الاختيار بواسطة كلام الله تعالى:

لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية أن الله تعالى عندما اختار واحدا من الأنبياء كلمه مباشرة، بل الوارد أن جبريل –عليه السلام– هو من خاطب الأنبياء مبينا اختيار الله لهم، وما كان من تكليم الله تعالى للمختارين إنما كان بعد الاختيار وهذا ليس مطعنا في المختارين ولا انتقاصا من شأنهم.

وأرى أن من أسباب عدم تكليم الله للمختارين مباشرة أسبابا عدة منها: وهي عظم الله جل وعلا ورفعته؛ وحتى لا يكون لهذا الحدث هول عظيم على المختارين فإذا كان جبريل قد كلم محمدا ﷺ ناقلا له كلام الرب وأحدث فيه من الخوف ما أحدث فما بالك برب العالمين، ولو أن المختار جاء إلى قومه وقال لهم مباشرة أن الله كلمه وأنه مبعوث إليهم لكان من السهل تكذيبه، وأخيرا فإن الله تعالى له أن يختار من يشاء متى يشاء كيفما شاء فالأمر أمره والخلق خلقه.

قال تعالى:﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾الأعراف: ٥٤.

أيضا بالنسبة لاختيار الله تعالى بواسطة كلامه فإن هذا كان واضحا عندما كلم جبريل محمداً بآيات الله –تعالى– ولم يتكلم جبريل بكلمة منه، فكلمه بالقرآن الكريم قائلا له: {اقرأ} إلى بقية الآيات.

---

(١)سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (بالولاء)، المدني ت١٥١هـ، سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م، ج٢ ص١٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما كلمه جبريل بآيات المبينة للاختيار في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾المدثر:١-٢.

أما تكليم الله تعالى للمختارين دون واسطة فإن ذلك قد حدث ولكن لم يكن للاختيار؛ إنما كان بعد الاختيار، فقد كلم الله تعالى محمدا ﷺ عندما عُرج به إلى السماء، وكلم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكلم موسى عليه السلام في أكثر من موقف، وهذا التكليم كان بعد الاختيار أو النبوة.

وقد يرد هنا تساؤل حول قول الله مخاطبا موسى عليه السلام عندما قال تعالى: {وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى}[طه:١٣]، حيث كانت كلمة الاختيار صريحة ومباشرة من الله تعالى إلى موسى عليه السلام، فأرى أن هذه الآية وإن كانت قد بينت أن الله خاطب موسى مباشرة، وأنه ذكر أنه اختاره في هذا الخطاب، إلا إن هذه الآية كانت بعد الاختيار بوقت طويل، فأحداث الخطاب كانت عندما كان نبيا وأراد الله من موسى أن يُخرج بني إسرائيل من مصر بعد أن دعا فرعون إلى دين الله فأبى وادعى الربوبية.

الرؤيا:

أرى بأن الرؤيا ليست من طرق الاختيار –كما هو الحال في الكتاب المقدس– بل هي إرهاصاتٌ ما قبل النبوة وأحداثٌ ما بين يدي النبوة دالة على الاختيار ومبينة لبعض الأمور –لكون رؤيا الأنبياء حق– ولكنها ليست مؤذنة بالاختيار.

كذلك الأمر بالنسبة إلى تحبيب الخلوة إلى الأنبياء –كما كان يفعل النبي محمد ﷺ– ومكان هذه الخلوة ربما أنه كان بالإلهام ولكنه ليس مكان عبادة اختير ليكون ذا قدسية وإلا لكان من الأماكن التي تشد إليها الرحال للتعبد.

المطلب الثاني: أسباب الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية.

الأسباب الدينية:

أرى بأن أسباب الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية ليست إلا أسبابا دينية بحتة كما يلي:

أولا: لم يعتبر أحد من المختارين أن ما كان يحدث معهم من معاداة أو إيذاء أنه اضطهاد أو استضعاف، بل كانوا يرون أن هذا تقدير من الله عليهم نتيجة اختياره لهم للقيام بأعباء الدين، ولو كان اعتبارهم لما كان يحصل معهم على أنه اضطهاد وبرروا العداء بذلك لكان هناك تسويغ آخر لمن ناصبهم العداء بأن قيامهم بإعلام الناس أنهم مختارون وأنهم أهل حق ليعيد ما كان إلا ردة فعل لاضطهادهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: خُيِّر النبي ﷺ بأن يكون ملكا على العرب وأن يُزوج أجمل النساء وأن يأخذ من المال ما شاء لكنه قابل كل هذه المغريات بالرفض الشديد، وقد كان أكثر من اتبعه من الناس ضعيفا أو فقيرا أو عبدا من العبيد، فلو كان من أسباب الاختيار الأسباب الاقتصادية لقبل محمد ﷺ بهذه العروض والتي – على الأقل– يقوى الضعيف من أتباعه بها ويغتني الفقير ويشتري العبد نفسه ولكنه رفض.

ولو أن محمدا ﷺ قبل بذلك لكان –كما عبر بعض من تناول حياة محمد ﷺ– ما فعله عبارة عن ثورة يسار ضد يمين أسبابها الفاقة والاستعباد لتكون فيها الغلبة بعدها لمن امتلك الأكثر، وبهذا يكون للاختيار سبب من الأسباب ألا وهي الاقتصادية ولم يكن للاختيار من أجل الدين بعدها معنى لأنه لم يكن ليقيم دين الله بين الخلق وسيغلب طابع المادة وحده على الحياة(١).

ثالثا: لم يرد في القرآن والسنة على محمد ﷺ ما يدعو إلى الترغيب في أمور من الدنيا أو التكيف فيها كما يريده الناس، ولم يقم محمد ﷺ بإغراء ذلك في عقول الناس كأن يوعدوا بأرض تفيض لبنا وعسلا يهنأون بها ويؤدون طقوس دينهم دافعين شر الآخرين عنهم بأموالهم حتى اتبعوه، بل أرادهم ألا ينظروا إلا إلى عبادة الله تعالى، وبين لهم صعوبة هذا الأمر وما سيلاقونه في سبيله.

قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾البقرة: ١٥٥.

وعندما أراد كل من القرآن الكريم والسنة النبوية بعد ذلك أن يتحدثا عن أمور الدنيا من بيع وشراء وزواج وطلاق إنما أرادا أن ينظما هذه الأمور وأن يبعدا عنها ما كان من الحرام.

---

(١)انظر: فقه السيرة، أ.د محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر للنشر، ط٨، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

بيان ما اتصف به المختارون من صفات وأحوال

انفرد المختارون عن بقية الخلق في أمور عدة هيأتهم لأن يكونوا حملة دين الله تعالى، وأيدهم الله بعدما اختارهم بما يبين أنهم مختارون وبما يساندهم ويساعدهم ويؤكد دعوتهم بما لا يمنح مجالا للطعن فيهم ولا القدح في اختيارهم، بل وأعجزهم عن الرد على المختارين أو الإتيان –على الأقل– بما جاؤوا به، وما كان لمن عادى المختارين إلا الشتم والاتهام دون وجه حق أو بينة واضحة.

ولا يعنى ذلك أن المختارين ليسوا من جنس البشر بل هم مثلهم يأكلون ويشربون وينامون وصفاتهم الخلْقية لا تزيد عن صفات البشر في شيء لكنهم لم يقبلوا أن يدنسوا فطرتهم لينساقوا وراء الشهوات وسعوا دائما إلى عدم إغفال عقولهم ولم تأخذهم حمية أو عاطفة وراء الضلال فاستحقوا أن يكونوا من المختارين.

سأعرض في هذا المبحث بعض ما تمتع به المختارون من صفات وبعض ما أيدهم الله به مما جعلهم أهلا للاختيار مما سيبين حال المختارين في الكتاب مقارنة بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين كما يلي:

المطلب الأول: الصفات الخُلُقية للمختارين في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: المعجزات الإلهية الواقعة على المختارين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الصفات الخُلُقية للمختارين في القرآن الكريم والسنة النبوية.

<u>الأخلاق التي فُطر عليها المختارون.</u>

عرَّف العلماء الخلق بأنه "هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية من حسنة وسيئة، وجميلة وقبيحة، وهي قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها، فإذا ما ربيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق، وحب المعروف، والرغبة في الخير، وروضت على حب الجميل، وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعا لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف"(١).

والإنسان في نشأته إذ يكون ذا أخلاق حسنة وجميلة فطر عليها فإنه في نفس الوقت يكون قابلا للتأثر بأية أخلاق أخرى سيئة وقبيحة، ولكن أخلاق المختارين قد كانت منذ الصغر أخلاق فطرة، لم تدنس ولم يدخل عليها شيء من القبح والسوء وهذا يرجع إلى عدة عوامل أهمها حسن التربية وإعمال المختار لفكره وعقله في عدم التأثر بالمحيط المناهض للفطرة الحسنة مهما كانت قوى التأثير.

لذلك فقد كبر المختارون وهم على خلق حسن وقلوب لم تشبها شائبة الفحش بل وصارت عندهم مكارم الأخلاق علامة يعرفون بها فبرزوا بين أقوامهم بأخلاق حميدة لم يصل إليها أحد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) وفي رواية ((صالح الأخلاق))(٢).

فمن أخلاق المختارين **الصدق**؛ فالمختارون لا يكذبون فلو فعلوا ذلك وعرف عنهم فليس بعيدا أن تكذب دعوتهم إلى الله لما عرف قومهم عنهم من سابقة الكذب وليس مستبعدا أن يكذبوا على الله(٣).

قال تعالى:﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾الزمر: ٣٣.

ومن أخلاق المختارين سهولة **الإنابة والتوبة والطاعة** فلم يكن عندهم كبر نفس يمنعهم من أن يعودوا إلى ما يرونه خيرا، ولم يكن الله ليأمرهم بأمر ثم يترددوا فيه أو يرون أمرا خيرا من أمر ربهم(٤).

---

(١)منهاج المسلم – كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام للطباعة والنشر وَالتوزيع والترجمة، مصر، د.ط، ص١١٥.

(٢)السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ت٤٥٨ هـ، مجلس دائرة المعارف– شركة التراث، ١٣٤٤ هـ، باب مكارم الأخلاق ومعاليها، ج١٠، ص١٩١.

(٣)انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة–السعودية، ط١٤٢٤،١هـ–٢٠٠٤م، ج٢، ص٧٤٥.

(٤)انظر: تفسير الطبري، ج٢١، ص٢٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أخلاقهم **الصبر والاحتراز من الفتنة** فلا تغرهم ملذات الدنيا ولا تغلبهم شهواتهم، فتمكنوا من ضبط شهواتهم وصبروا عليها(١)، ولم يذكر عن واحد من المختارين أنه كان يرد الأذى بالإساءة(٢). وهذا ما حصل مع موسى عليه السلام عندما جعل ابنة شعيب عليه السلام تمشي خلفه احترازا من الفتنة(٣).

ومن أخلاق المختارين **الغيرة** فهم يغارون على محارم الله ويغضبون إن انتهكت، وقد ذُكر أن موسى كان شديد الغضب، وإن غضب الأنبياء كان بما أذن به الشرع ولا يخلو أن يكون لله، أيضا إن الغضب لو كان مذموما لما كان الله تعالى ليغضب(٤).

ومن أخلاق المختارين **إطعام الضيف** أفضل ما يوجد فيما ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية(٥).

سجَح الأخلاق **ووطاءتها**، فكسبوا قلوب الناس، وكان هذا واضحا عندما فتح النبي ﷺ مكة وعفا عن أهلها، أيضا عندما عفا يوسف عن إخوته، والسجح هو اللَّين والوطيء هو السهل من الناس(٦).

الوفاء بالوعد من أخلاق المختارين التي كان لها الأثر الكبير في دعوتهم فعندما كان الوفاء بالوعد صفة المختارين كان من السهل أن يدعوا إلى الله وأن يعِدوا أتباعهم بجنات ونعيم في الآخرة لما عرفوه عنهم من صدق الوعد والوفاء به(٧).

---

(١)انظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء ت١١٢٧هـ، دار الفكر – بيروت، ج١، ص١٢٥.

(٢)بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]،عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني، مطبعة الترقي – دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م،ج٦ ص٤٩٢.

(٣)النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب ت نحو ٣٦٠هـ، تحقيق علي بن غازي التويجري، إبراهيم بن منصور الجنيدل، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار القيم – دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، ج٣ ص٥٥٦.

(٤)انظر: روح البيان، ج٣ ص٢٠٥.

(٥)انظر: مختصر صحيح البخاري، ج١، ص١٦–١٨، باب بدء الوحي، كتاب كيف كان الوحي إلى الرسول ﷺ، وانظر: لسان العرب، ج٢، ص٤٧٥، حرف الحاء، فصل السين، وج١، ص١٩٨، حرف الألف، فصل الواو.

(٦)انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ، ج٢، ص٥٠١.

(٧)انظر: المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي ت٩٥٦هـ، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، ج٢ ص٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الأخلاق إضافة إلى غيرها لخصها الإمام الغزالي –رحمه الله– وبين أيضا أنها كانت في شخص النبي ﷺ حيث قال: " لكن الجهد والكسب في إعداد النفس لقبول آثار الوحي بالعبادات المشفوعة بالفكر والمعاملات الخالصة عن الرؤيا والسمعة من لوازمها فليس الأمر فيها اتفاقيا جغرافيا حتى ينالها كل من دب ودرج أو مرتبا على جهد وكسب حتى يصيبها كل من فكر وأدلج وكما إن الإنسانية لنوع الإنسان والملكية لنوع الملائكة ليست مكتسبة لأشخاص النوع وإن العمل بموجب النوعية ليس يخلو عن اكتساب واختيار لإعداد واستعداد كذلك النبوة لنوع الأنبياء ليست مكتسبة لأشخاص النوع وإن العمل بموجب النبوة ليس يخلو عن اكتساب واختيار لإعداد واستعداد فيوحى إليه {طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى} حين تورمت قدماه من العبادة حتى قال عليه السلام أفلا أكون عبدا شكورا وكان ﷺ يتحنث بحراء قبل الوحي وحبب إليه الخلوة وكان يرى الرؤيا فتأتي مثل فلق الصبح على أنها أحوال عرضية وأعراض طارئة على النوعية بنوع استيجاب واستحقاق من كمال تركيب المزاج وحسن الصورة وتمام الاعتدال وطهارة النشوة والتربة وطيب الأعراق ومكارم الأخلاق والسمت الصالح والأناة والوقار ولين الجانب وخفض الجناح والرحمة والرأفة بالأولياء والشدة والبأس على الأعداء وصدق الحديث وأداء الأمانة والصون عن جميع الرذائل والتحلي بأنواع الفضائل وزكاء العرض عن جميع الدنيات والعفو عمن ظلمه والإحسان إلى من أساء إليه وصلة الرحم وحفظ الغيب وحسن الجوار وإعانة المظلوم وإغاثة الملهوف وحب المعروف وبغض المنكر وغير ذلك {ما ضل صاحبكم وما غوى} في هذا العالم مازاغ البصر وما طغى في ذلك العالم تعنو لنفسه نفوس العالمين طوعا وكرها وهو غير متكبر ولا جبار ولا فظ ولا غليظ يهاب إذا سكت ولا يعاب إذا نطق لطيف الشمائل إذا تحرك وسكن قد نهض باحتمال أعباء ما حمل من الرسالة فأداها وأفاض رحمته على العالمين فوفاها ﷺ"(١).

المطلب الثاني: المعجزات الإلهية الواقعة على المختارين.

أعطى الله تعالى المختارين ما يبين اختياره لهم، وكان مما أعطاهم المعجزات التي أيدت دعواهم.

والمعجزة: أمر خارق للعادة يجريه الله على يد رسول أو نبي تصديقا لدعواه مقرون بالتحدي سالم من المعارضة مع إمكانها وتكون حسية أو معنوية(٢).

---

(١)معارج القدس في مدراج معرفة النفس، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت٥٠٥هـ، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢، ١٩٧٥م، ص١٣٠ و ١٣١.

(٢)انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ، ص٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعجزات إما أن تكون حسية تشاهد أو تسمع كخروج الناقة من الصخرة وانشقاق القمر، وإما أن تكون معنوية كالقرآن الكريم وغيره من الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله(١).

ومن زمن أول نبي اختاره الله تعالى وأعطاه المعجزات حتى زمن خاتم النبيين والمرسلين لم يستطع أي شخص أن يقوم بنقض دعوى أي مختار أو أن يأتي بمعجزة كالمعجزات التي جاء بها واحد منهم، فآدم عليه السلام أول مختار تحدى الله به الملائكة فلم يقدروا على مجاراته، ومحمد ﷺ تحدى الله به الجن والإنس فعجزوا عن الإتيان بمثل ما أوتي، فإذا كان هذا حال الذين آمنوا بالله مع المختارين فإن الأمر أشد على الذين لا يؤمنون بالله القادر وبالتالي فإنهم يجهلون ماهية المعجزة لعدم انتظامها سنن الكون.

وما أريد أن أبينه هنا هو ما كان من حال المختار المعجز لا المعجزات الأخرى الخارجة عن شخصه، فأذكر –مثلا– ما كان يتمتع فيه موسى من تكليم الله تعالى له فهذا واقع على شخصه ولست بصدد الحديث عن إلقائه العصا التي كان يتوكأ ويهش بها على غنمه فإذا هي حية تسعى فهذا ما كان من معجزات خارجة عن شخصه أيده الله بها.

ذكر ابن حجر العسقلاني –رحمه الله– في كتابه الرؤى والأحلام أن الحَلِيمي(٢) –رحمه الله– قد ذكر معجزاتٍ كانت في المختارين أُيدوا بها وجعلتهم منفردين عن بقية الخلق، فذكر أن النبوة ستة وأربعين جزءا، وقد قصد بالأجزاء تلك المعجزات التي أوتيها كل واحد من المختارين كانت فيهم وأيدت دعواهم.

وقد استدل الحليمي على هذا العدد من المعجزات من حديث النبي ﷺ: ((الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من أجزاء النبوة))(٣).

فذكر وجوها من خصائص ومعجزات الأنبياء ملمحا إلى أن النبي محمدا ﷺ قد حازها كلها.

---

(١)انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة،ص٥٣.

(٢)أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الشافعي الحليمي الجُرجاني، ولد بجرجان سنة ٣٣٨هـ، وحمل إلى بخارى وهو صغير وكتب الحديث بها وتفقه وصار رئيس أصحاب الحديث ببخارى وهو صغير ونواحيها وتولى القضاء ببلدان شتى وتوفي في جمادي الأولى سنة٤٠٣هـ، تاريخ جرجان، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني ت٤٢٧هـ، تحقيق محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م، ص١٩٨(بتصرف).

(٣)رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة، ج٩، ص٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتكلف الحليمي في بعضها حتى أنهاها إلى العدد المذكور وكما يلي(٣):

أعلاها: تكليم الله بغير واسطة.

ثانيها: الإلهام بغير كلام، بل يجد علم شيء في نفسه من غير تقدم ما يوصل إليه بحس أو استدلال.

ثالثها: الوحي على لسان ملك يراه فيكلمه.

رابعها: نفث الملك في روعه، وهو الوحي الذي يخص به القلب دون السمع.

خامسها: إكمال عقله، فلا يعرض له فيه عارض أصلا.

سادسها: قوة حفظه حتى يسمع السورة الطويلة فيحفظها من مرة ولا ينسى منها حرفا.

سابعها: عصمته من الخطأ في اجتهاده.

ثامنها: ذكاء فهمه حتى يتسع لضروب من الاستنباط.

تاسعها: ذكاء بصره حتى يكاد يبصر الشيء من أقصى الأرض.

عاشرها: ذكاء سمعه حتى يسمع من أقصى الأرض ما لا يسمعه غيره.

حادي عشرها: ذكاء شمه، كما وقع ليعقوب في قميص يوسف.

ثاني عشرها: تقوية جسده حتى سار في ليلة مسيرة ثلاثين ليلة.

ثالث عشرها: عروجه إلى السماوات.

رابع عشرها: مجيء الوحي له في مثل صلصلة الجرس.

خامس عشرها: تكليم الشاة.

سادس عشرها: إنطاق النبات.

سابع عشرها: إنطاق الجذع.

ثامن عشرها: إنطاق الحجر.

تاسع عشرها: إفهامه عواء الذئب أن يفرض له رزقا.

العشرون: إفهامه رغاء البعير.

---

(٣)الرؤى والأحلام، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الإشراق– دار ابن زيدون، ط١، ١٩٨٤م، ص٣٤–٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحادية والعشرون: أن يسمع الصوت ولا يرى المتكلم.

الثانية والعشرون: تمكينه من مشاهدة الجن.

الثالثة والعشرون: تمثيل الأشياء المغيبة له، كما مثل له بيت المقدس صبيحة الإسراء.

الرابعة والعشرون: حدوث أمر يعلم به العاقبة، كما قال في الناقة لما بركت في الحديبية ((حبسها حابس الفيل)).

الخامسة والعشرون: استدلاله باسم على أمر، كما قال لما جاءهم سهيل بن عمرو: ((وقد سهل لكم الأمر)).

السادسة والعشرون: أن ينظر شيئا علويا فيستدل به على أمر يقع في الأرض، كما قال: ((إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)).

السابعة والعشرون: رؤيته من ورائه.

الثامنة والعشرون: اطلاعه على أمر قد وقع لمن مات قبل أن يموت، كما قال

في حنظلة: ((رأيت الملائكة تغسله)) وكان قتل وهو جنب.

التاسعة والعشرون: أن يظهر له ما يستدل به على فتوح مستقبل، كما جاء ذلك يوم الخندق.

الثلاثون: اطلاعه على الجنة والنار في الدنيا.

الحادية والثلاثون: الفراسة.

الثانية والثلاثون: طواعية الشجرة حتى انتقلت بعروقها وغصونها من مكان إلى مكان ثم رجعت.

الثالثة والثلاثون: قصة الظبية وشكواها له ضرورة خشفها الصغير.

الرابعة والثلاثون: تأويل الرؤيا بحيث لاتخطيء.

الخامسة والثلاثون: الحزر في الرطب وهو على النخل أنه يجيء كذا وكذا وسقا من التمر، فجاء كما قال.

السادسة والثلاثون: الهداية إلى الأحكام.

السابعة والثلاثون: الهداية إلى سياسة الدين والدنيا.

الثامنة والثلاثون: الهداية إلى هيئة العالم وتركيبه.

التاسعة والثلاثون: الهداية إلى مصالح البدن بأنواع الطب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأربعون: الهداية إلى وجوه القربات.

الحادية والأربعون: الهداية إلى الصناعات النافعة.

الثانية والأربعون: الاطلاع على ما سيكون.

الثالثة والأربعون: الاطلاع على ما كان مما لم ينقله أحد قبله.

الرابعة والأربعون: التوقيف على أسرار الناس ومخبآتهم.

الخامسة والأربعون: تعليم طرق الاستدلال.

السادسة والأربعون: الاطلاع على طريقة التلطف في المعاشرة.

وتعتبر هذه الأمور مقياسا للمختارين حتى لا ينخدع الناس بالكذبة الذين يدَّعون الاختيار.

وهذه المعجزات ليست من أجل دعوة الذين لا يؤمنون بالله فقط، بل منها ما كان للمؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وليعرفوا أمور دينهم وتعاليمه فالعلوم التي يكتسبها النبي معجزة بإحكامها وعدم القدرة على نقضها، ومعجزة بأنها لم يقدر أحد على أن ينسبها لنفسه لمحدودية القدرة عند البشر عن الإتيان بمثلها فيما بعد إن عرض لهم أمر يفوق قدرة البشر في معرفة حِله –مثلا– من حرمته.

قال ابن حجر العسقلاني –رحمه الله– في كتابه الرؤى والأحلام: "فقرأت في ((مختصر)) للشيخ علاء الدين القونوي(١) بخطه ما نصه: ((ثم إن الأنبياء يختصون بآيات يؤيَّدون بها عمن ليس مثلهم، كما تميزوا بالعلم الذي أوتوه.

---

(١)علي بن إسماعِيل بن يوسف قاضي القضاة علاء الدين القونوي شيخ الشيوخ، قدم دمشق وسمع الحديث من ابن عساكر وابن القيم وابن دقيق العيد وشغل الناس بالعلم شاما ومصرا. أقام بالقاهرة قريبا من ثَلَاثِينَ سنة يلقِي دروسا، إذا طلع الفجر خرج للصلاة ثم يستمر في إفادة الطلبة إلى منتصف النهار، وذكر أن شيخ الإسلام ابن دقِيق العيد قال إنه يطلق على القونوي اسم الفاضل استحقاقا، صنف شرح الحاوي واختصر منهاج الحليمي واختصر المعالم في الأصول، ودرس بدمشق بِالمدرسة الإقبالية ثم قدم القاهرة وأقام بها مدة فِي غاية من الفقر مع عزة النفس..... ثم ولي قضاء الشام وأقام دون عامين إِلَى أَن مات في رابِع عشر ذي الْقعدة سنة تسع وعشرين وسبعمائة.

طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ٧٧١هـ، تحقيق د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، ج١٠ ص١٣٢-١٣٤، (بتصرف كبير).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيكون لهم الخصوص من وجهين:

١- فما هو في حيز التعليم هو النبوة.

٢ – وما هو في حيز التأييد هو حجة النبوة))"(٢).

ولم يرد –أبدا– أن واحدا من المختارين نسب إلى نفسه المعجزة سواء أكانت في حيز التعليم أو كانت في حيز التأييد أو جاء بتعليم من عنده وادعى أنه تشريع ودين، قال تعالى:﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾الحاقة:٤٤-٤٦.

---

(٢) الرؤى والأحلام، ص٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

بيان اضطراب الاختيار في الكتاب المقدس

عندما أنزل الله كتبه على المختارين أرادها أن تكون منهج حياة على وجه الأرض تُوازن جميع أمور الخلق، فكان فيها كفاية للإنسان وحسب كل المراحل، فلم ينزل كتاب على أمة إلا وكان كافيا لها ومغنيا لها عن أن تجنح إلى غيره؛ لأنه سبحانه خالق الخلق يعرف حاجة خلقه.

واتصال الله مع المختارين لم ينقطع؛ ليكون الخلق في رعاية الله دائما فكان يخبرهم بما يريد وبما يصلح لهم ضمن أدق رعاية، وهذا يدعو إلى أن ينظر الناس إلى منهج الله من خلال كتابه فما لم يوافق حاجة الخلق بالكلية فاعلم أنه ليس من عند الله واعلم أن يدا لم ترد حكم الله في الأرض ولم ترد إلا مصلحتها قد طالته بالسوء لأن النفس التي جعلتها تغير منهج الله في الأرض أمرتها بالسوء.

لقد كان في الكتاب المقدس متناقضا ومضطربا عندما تناول الحديث عن حال المختارين ومهامهم جعلت الباحث يرى أن خللا ونسخا كبيرين قد طرآ على الكتاب المقدس مما يستدعي المقارنة لإظهار الاضطراب والخلل من أجل ذلك كان هذا المبحث.

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: عصمة المختارين.

المطلب الثاني: المختارون في القرآن الكريم والسنة النبوية بخلاف ما جاء في الكتاب المقدس.

المطلب الثالث: منزلة المختارين ودرجتهم بين الناس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: عصمة المختارين.

الصفات الواجبة في حق المختارين –بغض النظر عن الخلاف فيها– هي: العصمة، والصدق، والتبليغ، والفطانة، والذكورة، والسلامة من النقائص(١).

ذُكرت عصمة المختارين في القرآن الكريم والسنة النبوية، والعصمة تعني منع المختارين من الوقوع في الخطأ القادح فيهم وفي دعوتهم أو المنفر منهم أو قتل أحدهم فلا تصل دعوة الله إلى الخلق، وأقصد هنا عصمة التبليغ وحدها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ المائدة: ٦٧.

فالمقصود من العصمة في هذه الآية هي العصمة من كل أمر يمنع المختارين من تبليغ دعوة الله إلى الخلق، فقد عصم الله المختارين من الوقوع في الخطأ عند تبليغ الدعوة، فهم معصومون عن الخطأ فيما يبلغونه عن الله تعالى، ومعصومون عن أن يقوموا بمناقضة ما بلغوه فلا يقولون شيئا ثم يقومون بعكسه.

وقد عصم الله تعالى المختارين من كل ما شأنه أن ينفر منهم أو من دعوتهم(٢)، وعصمهم من الكلام على الله بغير علم، فكان أثر العصمة واضحا في كلامهم وفي تعاملهم وما يدعون إليه؛ لأنه كان وحيا من عند الله لا من عند أنفسهم فكان له الأثر في قلوب المدعوين.

ومنهم من عصمه الله من القتل؛ حتى يُكمل ما جاء به، وحتى لا تكون من بعده شماتة وردَّة بالكلية، فمن المختارين من قتل ولكن كان من جاء بعده ليكمل دعوته، ومنهم من قتل بعد تمام دعوته، ومنهم من عصمه الله فلم يستطع أحد قتله على الإطلاق حتى توفاه الله.

وللعصمة مبدأ وأصل، أما مبدؤها فهو الوحي الإلهي الذي يقوّم المختارين بالتحذير مما لا يرضي الله والتخويف من عذاب الآخرة وتحبيب نعيمها، ثم لا يزال الوحي يتعهد المختار ويجنبه الوقوع فيما نهى عنه حتى تصير العصمة ملكة تُكره بها المعاصي.

أما أصل العصمة فهي منتهى التقوى التي هي ثمرة التكليف(٣).

---

(١)العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٤٥٩، (بتصرف).

(٢)انظر: العقائد الإسلامية (سيد سابق)، ص١٨٠ –١٨٥.

(٣)التحرير والتنويرج٣٣، ص٢٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ثمرات العصمة إضفاء الهيبة على المعصومين ووثوق من أراد اتباعهم بهم ثقة مطلقة؛ لوجود ما يسوغ هذه الثقة.

أما الكتاب المقدس فإن الناظر في صفحاته والممعن في تفاسيره لا يجد للعصمة ذكرا ومكانة، ولا يوجد لكلمتي الحفظ أو المنع دلالة على العصمة، فالأنبياء والرسل من السهل أن يزنوا وأن يشتموا ومن السهل أن يشربوا الخمر وأن يغنوا ويرقصوا بل وأن يتعروا من ملابسهم كما ذكرت في الفصل الثاني.

"ولكن هؤلاء أيضا ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر. الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر. ابتلعتهما الخمر. تاها من المسكر، ضلا في الرؤيا، قلقا في القضاء. فإن جميع الموائد امتلأت قيئا وقذَرا"[إشعياء: ٧و٨].

بل وجُعل عدم العصمة والانحلال الخلقي علامة على أنبياء وصفهم صموئيل النبي لشاول والذي عندما انخرط معهم صار نبيا دون أدنى مقومات النبوة.

"بعد ذلك تأتي إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين. ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودفوف وناي وعود وهم يتنبأون. فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر..... إذ بزمرة الأنبياء لقيته فحل عليه روح الرب فتنبأ في وسطهم"[صموئيل١: ٥و٦و١٠].

جاء في تفسير الكتاب المقدس: "كان النبي باعتباره رسولا من الله، يعلن كلمة الرب، وكانت الكلمة مصحوبة أحيانا بالموسيقى"(١).

بل وصل الأمر إلى أن يتعرى إشعياء ويمشي بين الرجال والنساء والأطفال مكشوف العورة لمدة ثلاث سنوات، كل ذلك من أجل أن يضرب الرب به مثلا لما سيحدث مع بني إسرائيل في السبي، والغريب في ذلك هو أن يكون فعل ما ينافي السلوكات الصالحة وما ينافي العصمة بأمر من الله.

"في ذلك الوقت تكلم الرب عن يد إشعياء بن آموص قائلًا: ((اذهب وحل المسح عن حقويك واخلع حذاءك عن رجليك))، ففعل هكذا ومشى معرى وحافيًا. فقال الرب: ((كما مشى عبدي إشعياء معرى وحافيًا ثلاث سنين آية وأعجوبة))"[إشعياء ٢٠: ٢-٤].

وهذا نسب هوشع النبي يختلط؛ فنسله لا يعرف أوله من آخره لأنه تزوج زانية أنجبت له أولادا.

"أول ما كلم الرب هوشع، قال الرب لهوشع: ((اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت تاركة الرب)). فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم، فحبلت وولدت له ابنًا،..." [هوشع ١: ٢-٦].

---

(١)تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص٤٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويزداد الأمر سوءا عندما يتعرف هوشع على امرأة زانية أخرى وتكون هذه الزانية متزوجة فيأخذها من عند زوجها لتكون له كما جاء في سفر هوشع [٣: ١].

وأرى أنه لا مبرر لهذا الفعل المنافي لما يجب أن يكون عليه المختارون من العصمة المانعة من الزلل، وأرى أنه إن كانت هذه الأفعال من عند هوشع فيكون بعيدا عن العصمة التي يجب أن يكون عليها النبي ولا يستحق الاتباع، والأخطر من ذلك أن يكون بهذا الفعل قد هدم الشريعة الموسوية والتي تمنع من الزواج من الزانية، وإن كان من عند الرب فهو مناقض لما أملاه على موسى وبهذا ينسب الضعف في الإدراك والوصول إلى المآلات، وإن كان هناك نسخ حدث فإنه مرفوض؛ فالنسخ ليس من عقيدة اليهود.

"يأخذ بامرأة عذراء. أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ بل يتخذ عذراء من قومه امرأة. ولا يدنس زرعه بين شعبه"[لاويين ٢١: ١٣-١٥].

بل إن نفس حزقيال تعاف ما تعافه نفس الإنسان المفطورة على طيب الطعام ناهيك عن المحرم منه، فيأمره الرب أن يأكل الطعام المنجس ببراز الإنسان، فيبدأ برجاء الله واستعطافه أن لا يكون ذلك فيخففه عنه بمخلفات البقر، مدة ٣٩٠ يومًا وقد نجسه ببراز الإنسان، فيكون ذلك آية لبني إسرائيل(١).

"وخذ أنت لنفسك قمحًا وشعيرًا..... وضعها في وعاء واحد واصنعها لنفسك خبزًا كعدد الأيام التي تتكئ فيها على جنبك ثلاث مائة يوم وتسعين يومًا تأكله.. وتأكل كعكًا من الشعير. على الخرء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم. وقال الرب: هكذا يأكل بنو إسرائيل فقلت: آه يا سيد الرب ... ها نفسي لم تتنجس ومن صباي إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة ولا دخل فمي لحم نجس. فقال: انظر. قد جعلت لك خِثي البقرة بدل خرء الإنسان"[حزقيال ٤: ٩-١٥].

إذن فلا عصمة للمختارين في الكتاب المقدس وبالتالي فإن هيبتهم زائلة والثقة بأكثرهم معدومة فكان من السهل أن يقتلوا ومن السهل أن يكذبوا ومن السهل أن ترتد أتباعهم ومن الصعب أن تستقر دعوة الله فيهم لعدم ثباتهم في اتباع الأنبياء الذين اختارهم الله لهم.

المطلب الثاني: المختارون في القرآن الكريم والسنة النبوية بخلاف ما جاء في الكتاب المقدس.

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ذكر مختارين كأنبياء لم يرد لهم ذكر في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وورد ذكر أنبياء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وورد ذكرهم أيضا في الكتاب المقدس لكن لم يرد ذكرهم على أنهم أنبياء.

---

(١)انظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضا فقد ورد ذكر أنبياء في الكتاب المقدس لم يرد لهم ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وأرى بأنه لم يتفق القرآن الكريم والسنة النبوية مع الكتاب المقدس على أحد من المختارين إلا على زكريا ويحيى –عليهما السلام– .

ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية الأنبياء والرسل الذين اختارهم لدينه، وسرد أحداثا كانت قد حدثت بينهم وبين أقوامهم وذكر ما كان من معجزات حصلت لهم، وما كان من اتّباع وصد حتى آخر الأحداث.

بينما نجد الكتاب المقدس لم يذكر هؤلاء الأنبياء ولم يتحدث حتى عن تلك الحقبة الزمنية التي كانوا فيها، ولم يبين حال أقوام –كعاد وثمود– عاشت قبل زمن نزول التوراة ولا حتى تلك التي كانت ضمن زمن نزول التوراة إلى زمن عيسى عليه السلام(١).

والمتتبع للكتاب المقدس يجد أنه قد بدأ بسرد أحداث بدء التكوين بتفصيل ودقة، ثم بعد ذلك أخذ بسرد الأحداث من عند نوح عليه السلام ثم ما كان من الطوفان إلى أن انتشر نسله.

بعد ذلك نجد أن الكتاب المقدس قد قفز بالزمن متناسيا محطات زمنية كثيرة، فقد بين الكتاب المقدس أحداث بدء الخلق وكيف بدأ الله بخلق الأشياء شيئا فشيئا، فقام الكتاب المقدس بذكرها مفصلا، فهو الذي عندما أراد وصف أماكن وطقوس العبادة فصَّل كيفية بنائها والمواد التي يجب أن تتكون منه حتى كيفية ترتيبها والمحرقات وأنواع القرابين، بل كان يذكر بالاسم والعدد الأنسال التي تكاثرت في بني إسرائيل، وسار مع بني إسرائيل في الخروج خطوة خطوة، بل وذكر اهتمامه بالأمم التي أراد دعوتها، حتى من كانوا في المدن والقرى كما كانت رسائل بولس، ناهيك عن تلك الأمثلة المطولة المفصلة التي كان يضربها عيسى عليه حتى يوصل مراده إلى الناس.

إذن فأين تلك الحقبة الزمنية التي أغفلها الكتاب المقدس والواقعة ما بين نوح وما بين إبراهيم عليهما الصلاة والسلام والتي كانت في بعض نسخ الكتاب المقدس التي تخط عنوانا ضمن أصحاحاتها تذكرها تحت عنوان من (سام إلى إبراهيم)؟!.

لقد أغفل الكتاب المقدس ذكر أنبياء اختارهم الله إلى أقوام عاشوا في الفترة ما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، وهذا الإغفال مقصود وليس من قبيل المصادفة أو السهو.

ففي الفترة مابين نوح وإبراهيم –عليهما الصلاة والسلام– أغفل الكتاب المقدس ذكر قوم عاد وقوم ثمود، حيث عاش قوم عاد بعد قوم نوح الذين كانوا في السفينة والذين تناسل منهم من تفرقوا في الأرض فكانت انتكاستهم بابتعادهم عن الله ثانية.

---

(١)القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، ص١١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم جاء من بعد عاد قوم ثمود والذين كانوا امتدادا لحياة قوم عاد المبتعدة عن عقيدة التوحيد(١).

فأرسل الله تعالى هودا –عليه السلام– إلى قوم عاد، وأرسل الله تعالى صالحا –عليه السلام إلى قوم ثمود، وأيد كل واحد منهما بوسائل الدعوة المناسبة في ذلك الوقت من الحجج والمعجزات وغيرها.

قال تعالى:﴿ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الأعراف: ٦٥ – ٦٩.

وقال تعالى:﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾الأعراف: ٧٣.

إذن فقد دلت الآيات السابقة من سورة الأعراف على فترة زمنية لم يتحدث عنها الكتاب المقدس، ابتدأت بقوم عاد الذين خلفوا قوم نوح ﴿ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ ثم جاء قوم ثمود ليخلفوهم.

فما السبب من إغفال الكتاب المقدس لبعض المختارين وأقوامهم؟.

أرى بأن إغفال الكتاب المقدس لهذه الفترة الزمنية جاءت لعدة أسباب منها:

أولا: إن كتبة الكتاب المقدس بعهديه كان كل اهتمامهم يُصب على تلك الأحداث التي كانت ضمن خط الحركة لأهل الكتاب المقدس ولم يتوسعوا خارج هذا الخط؛ لتبقى دائرة الضوء محيطة بأهل الكتاب المقدس دون غيرهم، وعلى هذا تكون بلاد مصر والعراق والشام –وأهمها فلسطين– هي خط الحركة الذي اهتم به الكتاب المقدس(٢).

ثانيا: تم التغافل عن هذه الفترة الزمنية؛ لأن أصحابها هم العرب؛ ولأن الأنبياء الذين بُعثوا فيها هم من العرب، فأرى أن الكتاب المقدس قد أغفل ذكر هؤلاء –وإن كانوا كافرين أو مشركين– ؛لأنهم سيبينون أن هناك حضارة سبقت حضارة أهل الكتاب المقدس؛ وأن أهل هذه الحضارة قد أوتوا قوة جسدية لم يؤتها شعب الله المختار ومن بعدهم، فكيف إذا كان قد بُعث فيهم أنبياء قبل أنبياء بني إسرائيل؟.

---

(١)انظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، ص١١٦–١١٨.

(٢)انظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، ص١١٦–١١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: أجزم أنه ما تم إخفاء تلك المجموعة من المختارين إلا من أجل إظهار شيء معين فقط وهو إن اليهود هم شعب الله المختار، وإن المختارين من أنبياء وكهنة وغيرهم لم يكونوا إلا فيهم وإن المسيحية ما هي إلا امتداد لليهودية المحرفة في عهدها الجديد فلا بأس إن أصبح اليهودي مسيحيا فقد انتقل إلى العهد الجديد ولا بأس إن صار المسيحي يهويا فقد عاد إلى أصله القديم وهذا ما يبين اتفاق اليهودية والمسيحية في كل الأمور.

" ثم إن التوراة لا تعترف بأي نبي كان من كان إن لم يكن يتصل بنسبه إلى يعقوب، فهي لا تعترف بهود ولا بصالح ولا بنبينا صلى الله عليهم جميعا فكيف نريدها أن تتحدث عن عاد ونبيها وليس عبرانيا أو ينتسب إلى يعقوب –عليه السلام–"(١).

وأخيرا، أرى أن إغفال هذه الفترة الزمنية فيه إغفال لمختارين ولأقوامهم، ونكون قد أغفلنا بعض الأمور التي لن يجد أحد لها تفسيرا حقيقيا إلا إذا تم تتبعها تاريخيا بعدما ينطلق الباحث من المؤكد التشريعي، كمعرفة سبب ومصدر الوثنية التي عادت إلى الأرض من بعد الطوفان.

ولن يسعف الكتاب المقدس وتفاسيره من أراد الوقوف على الحقائق التاريخية؛ لأنه وإن دوَّن خط حركة معين فإنه كان مدونا لحركة ضيقة مغلقة على نفسها كثيرا، لم تنصف الشعوب والحضارات، ولم تعط الأنبياء وما جاءوا به من عقيدة حقهم.

في حين أعطى القرآن الكريم والذي –وإن كان كتاب الله التشريعي– التاريخ وأحداثه حقه ولم يُغفل شيئا على حساب العصبية الشعوبية أو التديُّن(٢).

المطلب الثالث: منزلة المختارين ودرجتهم.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾البقرة: ٢٨٥.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾النساء: ١٣٦.

---

(١)القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، ص١١٩ ،ما بين الشرطتين (بتصرف).

(٢)انظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، ص١١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختار الله تعالى الأنبياء والرسل لتبليغ دعوته، وقد جعل الله الإيمان بهم وبما جاؤا به ركنا من أركان الدين فكان من أنكرهم كافرا، حتى إن من يكفر بأدنى جزئية جاء بها المختار كان كافرا وإن أدى العبادات، وقد بينت الآيات السابقة حكم من يكفر بمن اختارهم الله أنبياء ورسلا.

ويحرم قتل الأنبياء أو شتمهم أو تكذيب ما جاؤوا به، قال إسحاق بن راهويه –رحمه الله–: "ومما أجمعوا على تكفيره وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى وبما جاء من عنده ثم قتل نبيا أو أعان على قتله وإن كان مقرا، ويقول: قتل الأنبياء محرم فهو كافر، وكذلك من شتم نبيا أو رد عليه قوله من غير تقية ولا خوف"(١).

ومن سب وشتم من اختاره الله نبيا كان أو رسولا يقتل ولا يستتاب، وهو بمنزلة الزنديق الذي لا توبة له، وبناء على ذلك لا يستتاب وبالتالي فإنه يقتل.

فإذا كان هذا حال من شتم الأنبياء والمرسلين فمن قتلهم يُقتل من باب أولى(٢).

والمختارون هم أفضل الخلق على الإطلاق دون استثناء فلا تفريق بينهم، وهم الأعلى درجة بين الخلق، وإن كانت هناك مفاضلة فهي ما بينهم فقط لا مع غيرهم من الخلق، ولا تعني أن منهم من هو سيء فهم أفضل الخلق بالرغم من التفاضل بينهم.

ومما جعلهم أفضل الخلق أنهم الواسطة بين الخلق وبين الله –جل وعلا– قال ابن عيينة –رحمه الله–: "أفضل الخلق على الإطلاق الوسائط بين الخالق وبين المخلوق"(٣)، ومما جعلهم أيضا أعلى الخلق درجة وأفضلهم على الإطلاق فصاحتهم وذكائهم فهم أفصح الخلق في بيان هدى الله ومراده إليهم(٤).

أما الكتاب المقدس فليست هناك أفضلية للمختارين، فكان من السهل أن يكذّبوا المختارين، وكان من السهل أن يُستبدلوا، وكان من السهل أن يقتلوا دون أقامة أدنى حدود التوقير والاحترام لهم.

---

(١)تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ت٢٩٤هـ، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص٩٢٩.

(٢)انظر: أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة،محمد بن عبد الله بن عيسى المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي ت٣٩٩هـ، تحقيق عبد الله بن محمد البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية،ط١، ١٤١٥ هـ، ص٣٠٩.

(٣)أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، محمد حسن عبد الغفار،دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، الدرس٣٠، ص٣.

(٤)انظر: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية–بيروت–،١٤١٧هـ–١٩٩٧م، ج٥ ص٣٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن صفية – رضي الله عنها – قالت: كنت أَحبُّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، فأتيا كالَّيْن كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغمّ. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت(١).

وحدّث سلمة بن سلامة بن وقش – وكان من أصحاب بدر – قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير فوقف على مجلس عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أَحْدَث من فيه سِناً على بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أنّ بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يُجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به لودّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه، وأن ينجو من تلك النار غدا. قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يُبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: ويلك يا فلان! ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى، وليس به !(٢).

وهذا نص بشهادة من أرادوا قتل المسيح –عليه السلام– وادعوا صلبه، مما بين حقيقة أهل الكتاب المقدس بأنهم قتلة الأنبياء، وأنه لا كرامة للمختارين عندهم فيأخذون ما يريدون ويردُّون ما لا يريدون.

---

(١)الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية، محمد بن حمد الصوياني، مدار الوطن،ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ص١٧٠.وخرَّج صاحب الصحيح: سنده قوي، رواه: من طريقه البيهقي (٢/ ٥٣٣) وأبو نعيم، جهالة شيخ شيخ ابن إسحاق عبد الله بن أبي بكر، وقد ورد اسم هذا الشيخ عند أبي نعيم.... واسمه محمَّد بن عمرو بن حزم قال الحافظ في (التقريب ٢/ ١٩٥) له رؤية وليس له سماع إلا من الصحابة وحفيده تابعي صغير وثقة من رجال الشيخين (١/ ٤٠٥التقريب).

(٢)مسند أحمد، باب حديث سلمة بن سلامة بن وقش عن النبي ﷺ، ج٢٥، ص١٦٤، وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم، ج٣، ص٤٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"((ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصدّيقين، وتقولون: لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيًا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح))"[متى٢٣: ٢٩-٣٥].

وها هوذا إرميا والذي بين الكتاب المقدس أنه نبي من عند الله يجتمع اليهود عليه ليقتلوه وذنبه فقط أن الرب اختاره ليكون نبيا، فحذر إرميا قومه من الإقدام على قتله لمجرد أنه بلغهم رسالة ربه فحذرهم مما ينتظرهم من عاقبة السوء بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء:

"((فلما سمع رؤساء يهوذا بهذه الأمور، صعدوا من بيت الملك إلى بيت الرب وجلسوا في مدخل باب الرب الجديد. فتكلم الكهنة والأنبياء مع الرؤساء وكل الشعب قائلين: ((حق الموت على هذا الرجل لأنه تنبأ على هذه المدينة كما سمعتم بآذانكم))....لكن اعلموا علما أنكم إن قتلتموني، تجعلون دما زكيا على أنفسكم وعلى هذه المدينة وعلى سكانها، لأنه حقا قد أرسلني الرب إليكم لأتكلم في آذانكم بكل هذا الكلام))"[إرميا٢٦: ١٠و١١و١٥].

ومثلما وصف عيسى عليه السلام دم الأنبياء بأنه زكي "لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض" نجد كذلك إرميا قد وصف دمه بأنه زكي لأنه دم نبي ولأنه بلا ذنب قتل.

فهذا هو حال المختارين في الكتاب المقدس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس

اختيار أصحاب محمد واختيار مكة في القرآن الكريم والسنة النبوية

يبين هذا الفصل مقارنة ثانية لما في الفصول السابقة، وهي مقارنة اختيار أصحاب محمد ﷺ، واختيار مكة ضمن اختيار الأماكن، حيث قمت في هذا الفصل بذكر بعض الأمور التي بينت أحقية أمة الإسلام في أن تكون هي الأمة المختارة من الله تعالى، وأن مكة هي منطلق الدعوة لدين الله بعد أن فرط اليهود والنصارى بكل مقومات الدعوة إلى الله بعد أن اختارهم الله لذلك.

بناء عليه جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول

اختيار العرب وبيان فضلهم وصفاتهم

المبحث الثاني

اختيار أصحاب محمد ﷺ و بيان فضلهم وصفاتهم

المبحث الثالث

اختيار مكة وبيان فضلها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: اختيار العرب وبيان فضلهم وصفاتهم.

اختار الله تعالى العرب ليكونوا حملة رسالته إلى الأرض، فاختارهم مستقرا لدعوته وأثنى عليهم وعلى لغتهم العربية في القرآن الكريم فكان خاتم النبيين –محمد ﷺ– منهم، وكان كتاب الله الناسخ لبقية الكتب بلسانهم، وكانت بلادهم أرضا مباركة اختارها الله تعالى ليكون بيته فيها.

ولكي أستطيع أن أعرض لأصحاب محمد ﷺ وأقدمَهم بوضوح كان لا بد أن أبين بداية البيئة والحال والأصل الذي خرجوا منه، ثم أتحدث عنهم كأتباع أو كأصحاب أو كمختارين نشروا دين الله وكانوا رجال دعوة محمد ﷺ.

بناء على ذلك جاء هذا المبحث في ثلاثة فصول كما يلي:

المطلب الأول: صفات العرب التي انفردوا بها عن باقي الأمم.

المطلب الثاني: الفرق بين العرب والأعراب.

المطلب الثالث: محمد ﷺ عربي وليس أعرابيا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: صفات العرب التي انفردوا بها عن باقي الأمم.

سأتجاوز عن تعريف العرب لغة واصطلاحا؛ لأن مطالب المبحث بشكل عام ستكون كفيلة بالتعريف، وسأبين هنا بعض ما اتصف به العرب من صفات انفردوا بها عن غيرهم مطلقا وعلى العموم، فقد فاقوا بها العجم والفرس، وإن كان في العجم والفرس شيء منها فهي في نزر منهم دون الكثرة.

أما ما كان في العرب من صفات –بغض النظر عن الفترة الزمنية وعن حل أو حرمة بعضها– فسأجمله في كل من **البيان، والعلم والحكمة، والحمية، والشجاعة، والجود، والوفاء**، وهي التي ذكرت أشرفها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها– في حديثها مع النبي ﷺ عندما نزل عليه الروح الأمين جبريل عليه السلام عندما قالت: "كلا أبشر، فوالله ما يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"(١).

وأرى أنه كان مما استثنته أم المؤمنين من الصفات (العلم والحكمة والحمية) ضمنا، فربما كان ذلك بتدبير من الله، فلم يوصف النبي بالعلم ولم يوصف بالحكمة حتى لا يقال إن بشرا عاديا قد علم نبيا أو إنه اطلع على العلوم فجمع أشرفها وادعى النبوة بل كان تعليمه بوحي من الله تعالى، فقال تعالى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى}[النجم:٥]، وحتى لا يقال إنه وصل إلى كمال الحكمة حتى ادعى أنه نبي من كمال هذه الحكمة، أما الحمية فهي من أمور الجاهلية وإن كانت عندهم منقبة فإن العدل خير منها وأتقى.

أما **البيان**، فإن العرب هم المتقدمون فيه بلا نظير، فهم أهل النظم بأشكاله المختلفة في كل ما أراد اللسان أن يعرب به عما في الضمير، فنظموا الشعر وضمَّنوه معرفة وحكمة، ونظموا الخطب، ونظموا الرسائل والسجع المستميل لأذن السامع، وقالوا المثل المناسب للمقام، والعجم "إنما أخذت قول الشعر عن العرب" ومع ذلك لم تستطع اللحاق بهم في رسائلهم ولا خطبهم فكيف بهم في الشعر ووزنه ناهيك عما في جميع ما ذكر من نحو وصرف قد تضمنا العلم الكثير الذي احتاج إلى علماء ليُحوى واضحه وغامضه.

أما **العلم والحكمة**، فإن العرب هم الأوفر علما وحكمة، " فإنه لا يعرف للفرس علم تفردوا به، إنما لهم أنساب ورسوم اجتمعوا عليها ووضعوها لما سلبهم الله تعالى كتابه، ورفع من بينهم خطابه فاضطرهم إلى اختراع المثل المرسوم" وعلى نطاق ضيق، وهذا متاح لكل الناس دون استثناء.

وأما العرب فإن لهم علوما قد هضمهم التاريخ إياها، بل وقد نسب بعضها إلى غيرهم.

---

(١)سبق ذكره وتخريجه.

(٢)انظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن بن البخاري الجرجاني أبو عبد الله الحَلِيمي ت٤٠٣ هـ، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م، ج٢، ص١٥٧و١٥٨، وما بين علامتي التنصيص نصا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كان لهم علم الأنواء ومعرفة الأوقات الحر والبرد(١)، وذلك "من وجود دقيقة لا يدركها إلا من يأخذها عنهم، فيحسبون منها ما يحسبه المنجمون، ويصيبون منه أبدا، فلا يخطئون"(٢).

وتكمن الحرمة في المطر بالنو أو النوء ليس من جهة بسبب كذب وقوع المطر أو لاعتقاد نسبة هذا العلم إلى التنجيم، بل لأن العرب كانوا ينسبون نعمة المطر إلى الكوكب الذي يحددونه، وكان الحق أن يقولوا مطرنا بنعمة من الله وفضل.

وهنالك علم لم يستطع أحد أن يجاري العرب فيه ولو كان ليس لهم من العلم إلا هذا النوع أو الفن لكفى ألا وهو علم الفراسة والقيافة، "المعمول بها في الجاهلية والإسلام، الموثوق بها في مقاطع الأحكام".

ويقابلهما عندهم أيضا الكهانة والعيافة (العرافة)، والتي لربما أغفلتها الكتب التي دُست على العرب حيث كانوا هم أعلم الناس بها، ولكن الإسلام أبطلها، ومنع من النزول عليها والحكم بها، وليس للأعاجم مما ذكرنا شيء.

وفي علوم الطب كان في العرب أطباء معروفون(٣).

أما **اللغة والخط**، لا يشكل على أحد أنه لا خط كالخط العربي، ولا لفظ كاللفظ العربي، ولا يكمل لإدراك ألفاظهم التي يعتبرون بها من خَلقها وأخلاقها وسيئاتها إلا يشار إليه في علم اللغة، معترف له بالفضل والأخذ به.

أما **الحمية والشجاعة** "فقد قيل: الحمية عشرة أجزاء، تسعة منها في العرب"، ولا قوم أشد حمية من العرب، ولأجلها كانوا يئدون البنات وإن كانت الحمية إذا بلغت هذا الحد، كانت شرفا، ونهى الله تعالى عن هذا الشرف، ومواقف العرب وساحاتهم تشهد أن أكثر قتالهم كان بالسيوف ثم بالرماح لأنهم كانوا يرون أنه ليس من الشجاعة أن يقاتل العربي دائما من بعيد فإذا كان القتال بالسهام كان العربي بعيدا من عدوه في الموقف وذلك عند العرب دليل على أن كل واحد خائف من خصمه على نفسه، وإلا فكيف سيتغنى العرب بوقعة وكيف سيُبرز الشجعان أنفسهم للعرب ويحيى ذكرهم؟.

---

(١)الأنواء جمع نوء: والنوء سقوط النجم من منازل القمر في المغرب بعد الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق وهو رقيبه وسقوط النجم منها في ثلاثة عشر يوماً ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً ويقال: خوى النجم يخوي خيا وخواء إذا مضت مدة نوئه ولم يكن فيه مطر أو ريح أو برد أو حر، انظر: مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي ت٣٨٧هـ، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢، ص٢٣٩.

(٢)المنهاج في شعب الإيمان، ص١٥٨.

(٣)انظر: المنهاج في شعب الإيمان، ص١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما **الجود والوفاء**، "فقد كان منهم هاشم بن عبد مناف الذي بلغ بين إطعامه كل من ورد عليه ومر به، إذ كان يقال له: (مطعم طير السماء)، وكان ينفق على الحاج في كل سنة ربع ماله"(١)، والعرب هم الذين كانوا يفون بوعودهم لو كان الأمر على هلكة أرواحهم وعلى قلة من أموالهم فمنهم من نزل به ضيف، ولا مال له إلا بعير فنحره للضيف، "أما الفرس فبالعراء من هذا كله، وإنما لهم البذخ والزهو والصلف والفخر بالأموال والعدد، وقد سلبهم الله عز وجل جميعها بأيدي العرب ورماحهم وسيوفهم"(٢).

عن النبي ﷺ أنه قال لسلمان: (يا سلمان، لا تبغضني فتفارق دينك: قال: قلت يا رسول الله وكيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: تبغض العرب فتبغضني)(٣).

المطلب ثاني: الفرق بين العرب والأعراب.

هناك فرق كبير وشاسع بين العرب والأعراب.

فالعرب هم أولئك الذين سكنوا واستقروا في القرى والمدن –واللتين يطلق عليهما لفظ القرى على العموم– ممن تكلم بلسان عربي مبين وممن كان نسله من إسماعيل عليه السلام لا غير، فكان لهم وطن يستقرون فيه وينتمون إليه ويعمرونه، وهم أيضا العرب الذين عاشوا حياة البداوة واستقروا في أماكن معينة كقبائل عريقة النسب، وكان لهم نسب حُفظ نسله عبر الزمن؛ وإن كل أمة لها حاضرة ولها بادية، وسمي أيضا بعض البدو أعرابا(٤).

أما الأعراب فهم الذين كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر طلبا للكلأ ومواطن الماء ممن كان من العرب ومواليهم أو ممن تكلم بلسان العرب وممن تكلم بلسان غيرهم، ومنهم من ليس من نسل إسماعيل.

– ----------

(١)المنهاج في شعب الإيمان، ص١٥٩و ١٦٠.

(٢)المنهاج في شعب الإيمان، ص١٦٠(بتصرف).

(٣)مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ت ٨٠٤هـ،تحقيق عبد الله بن حمد اللحيدان وسعد بن عبد الله آل حميَّد، دار العاصمة، الرياض – السعودية، ١٤١١ هـ، باب فضل العرب ج٥، ص٢٤٦٥، وقد خرج الأحاديث فيه عند كل من: الحاكم وقال صحيح والترمذي في سننه وقال حسن غريب، وأحمد والبيهقي.

(٤)انظر: المنهج القويم في اختصار «اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية»، محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ ت٧٧٨هـ، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٦٧، وسأشير له بعد ذلك بـ(المنهج القويم).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يوجد لهم وطن معين يستقرون فيه ولا ينتمون إليه فلا ترى لهم عمرانا ظاهرا ولا بداوة واضحة المعالم، ومن الأعراب من لازم حياة البداوة(١).

وليست البداوة –كما ذكرنا في البداية– قاصرة على العرب فهناك بدو من غير العرب، وهناك أعراب من غير العرب.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: "ثم لفظ "الأعراب" هو في الأصل اسم لبادية العرب، فإن كل أمة لها حاضرة وبادية، فبادية العرب: الأعراب، وقد يقال إن بادية الروم الأرمن أو نحوهم، وبادية الفرس: الأكراد أو نحوهم، وبادية الترك: التتر، والتحقيق أن هذا –والله أعلم– هو الأصل، [والتحقيق] أن سكان البوادي لهم حكم الأعراب، سواء دخلوا في لفظ الأعراب أم لم يدخلوا، فهذا الأصل يوجب أن يكون جنس الحاضرة أفضل من جنس البادية، وإن كان بعض أعيان البادية أفضل من أكثر الحاضرة مثلا، ويقتضي أن ما انفرد به عن جميع جنس الحاضرة أعني في زمن السلف من الصحابة والتابعين فهو ناقص عن فضل الحاضرة أو مكروه(٢).

فالعرب أعلى مكانة ومنزلة من الأعراب، وهم متقدمون على الأعراب في مراتب الدين، وكلاهما يعرف ذلك ولا ينكره، "فالأعرابي إذا قيل له يا عربي: فرح، والعربي إذا قيل له: يا أعرابي، غضب له"(٣).

وقيل: إن العرب سموا بذلك لأن أولاد إسماعيل نشأوا في منطقة من تهامة تسمى عربة فنسبوا إليها، وصار كل من تولد من أولاد إسماعيل وسكن جزيرة العرب ونطق بلسانهم يسمى عربيا، وقيل: سموا بالعرب، لأنه ألسنتهم معربة عما في ضمائرهم(٤).

أما سبب عدم اختيار الأعراب لحمل دعوة الله وأن محمدا ﷺ لم يكن منهم فلأسباب كثيرة تعرضها آيات القرآن الكريم والسنة النبوية.

قال تعالى:﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ التوبة: ٩٧.

---

(١)انظر: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ج٣، ص١٤، وانظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج١٦، ص١٢٥.

(٢)المنهج القويم، ص٦٧.

(٣)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج١٦، ص١٢٥.

(٤)انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج١٦، ص١٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد ذكرت الآيات صفتين من الصفات المذمومة التي تنفي عن أية أمة أن تحمل رسالة السماء وهما الكفر والنفاق فكيف إذا كانت في الأعراب أن يتحملوا رسالة النبي ﷺ، بل وقد رفعت الآيات درجة كل منهما إلى الشدة وهذا أمر كائن في طبائع الأعراب.

ولكن ما السبب الذي جعل الأعراب يتسمون بهذه الصفات ولماذا لم يكونوا أهلا لأن يستلموا قيادة الأمة الإسلامية أو أن يكون المختار منهم؟.

لا تخلو أمة من النفاق فكما أن النفاق موجود في الأعراب فإنه موجود عند غيرهم، ولكن طبائع الأعراب والبيئة التي عاشوها جعلتهم أشد كفرا ونفاقا من غيرهم فهدايتهم تحتاج إلى جهد كبير فيتشتت الجهد في إرجاعهم من أشد النفاق والكفر إلى الهداية، بل وقد شكلت هذه الشدة في الكفر والنفاق جهلا مركبا وانغلاقا على أنفسهم مما جعل "كفرهم ونفاقهم أشد وجهلهم بحدود ما أنزل الله أكمل"(١)، وهذا لا يعني أن كل الأعراب يحملون الكفر والنفاق وعندهم الجهل، ولكنها كانت في أكثرهم عددا، أما العرب فقد كانت في أقلهم عددا.

ولا تقصد آيات القرآن الكريم الواردة في معرض الذم جميع الأعراب، فالتبعيض فيها واضح.

و"من المعلوم بالضرورة أن النبي عليه السلام كان يقدم الأكابر على الأصاغر، والعلماء على غير العلماء، والأشراف على الأعراب"(٢).

أما أسباب عدم اختيار الأعراب لحمل دعوة الله وأن محمدا ﷺ لم يكن منهم فأذكر منها ما يلي:

ذكر أبو بكر الرازي في تفسيره مما أحاط الأعراب من أمورٍ كبيئتهم المؤثرة على سلوكاتهم وطبائعهم، وغياب القدوة المؤثرة فيهم، حيث بين من الأسباب اختلاف مزاجهم وحدة طباعهم بسبب البيئة ذات الهواء الحار الجاف مما أورث فيهم كبرا ونخوة وفخرا وطيشا، وغياب قيادة تسوسهم، ومعلم يؤدبهم، ولا حكيم يصدرون عن أمره(٣).

---

(١)انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج١٦، ص١٢٤، ما بين علامتي التنصيص نُقلت نصا.

(٢)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج١، ص١٨١.

(٣)انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج١٦، ص١٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبين الإمام الرازي نتيجة ما سبق من الطباع بأن قال: "فنشأوا كما شاؤوا، ومن كان كذلك خرج على أشد الجهات فسادا. وأن من أصبح وأمسى مشاهدا لوعظ رسول الله ﷺ، وبياناته الشافية، وتأديباته الكاملة، كيف يكون مساويا لمن لم يؤاثر هذا الخير، ولم يسمع خبره"(١).

وقد جاء أيضا في كتاب التيسير في أحاديث التفسير لمحمد الناصري –رحمه الله– فيما يتعلق بالآية السابقة أن انشغالهم بمعايشهم وما كان منها من تربية للإبل والمواشي، وغيابهم عن بيئة النبي ومخالطته وملازمة مجالسه، وتلقي الوحي وتعلم الدين بالتردد عليه، جعلهم بعيدين عن التشبع بتعاليم الدين ومخالطة من كان حول النبي والتأثر بطباعهم، فمن كان في بيئة كهذه كان من السهل أن تطغى عليه الأهواء فضلا عن جنوحه إلى المشركين والمنافقين والركون إليهم ، فيرى الناصري أن ذلك هو المعنى المراد بقوله تعالى: {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} فعدم مخالطة النبي وأصحابه جعلهم لا يصلون إلى تلك المكانة التي يريدها النبي من أتباعه(٢).

إضافة إلى ما سبق أرى أن الله اختار الأشخاص واختار الأماكن معا فالأعراب ليس لديهم موطن يستقرون فيه أو ينتمون فذلك لا يهم؛ لأنهم يهتمون بمعايشهم أولا فيتتبعون مساقط المطر ومواطن الكلأ، فيصعب عليهم أن يقوموا ببناء دولة إسلامية ذات أركان وطيدة تضمن القوة والامتداد لدين الله ورقعة الإسلام، بل وكان من السهل أن يتنازلوا عن أية أرض طالما أنهم يجدون معايشهم في غيرها، فقد لا يأبهون في حال مكة المكرمة أو الكعبة المشرفة لو أُخرجوا منها.

قال ابن تيمية: "وإنما وجه النهي عن مشابهة الأعراب والأعاجم –مع ما ذكرناه من الفضل فيهم وعدم العبرة بالنسب والمكان– مبني على أصل، وهو أن الله –سبحانه– جعل سكنى القرى يقتضي من كمال الإنسان في العلم والدين ورقة القلوب ما لا يقتضيه سكنى البادية، كما أن البادية توجب من صلابة البدن والخَلْق ومتانة الكلام ما لا يكون في القرى، هذا هو الأصل"، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى}(٣).

---

(١)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج١٦، ص١٢٥.

(٢)انظر:التيسير في أحاديث التفسيرج٣، ص١٤.

(٣)المنهج القويم، ص٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك من نعتوا بالشعوبيين وهم من أرادوا تذويب العرب وأصلهم في غيرهم من خلال القول بعدم فضل جنس العرب على جنس العجم، فانتصروا للشعوب على حساب القبائل، وأنكروا فضل العرب وعلمائهم، بل وقللوا من شأنهم، وأرى أن في ذلك طعنا خفيا في محمد ﷺ وبالتالي طعنا في أن خاتم المرسلين مختار من العرب(١).

المطلب الثالث: محمد ﷺ عربي وليس أعرابيا.

بناء على ذلك فإن محمدا ﷺ كان عربيا ولم يكن أعرابيا، فلم يكن دائم الترحال بل مستقرا في مكة ثم أُخرج منها دون إرادته إلى المدينة المنورة، ولم يكن ليترك البلد التي اختارها الله تعالى ليضع بيته فيها للكفار بل عاد بعدها إلى مكة فاتحا.

أما بالنسبة لرضاعته في بادية بني سعد؛ فلم تتجاوز هذه أن تكون عادة من عادات العرب التي كانوا يعتقدونها وحدهم وإلا لكان قد أوصى بها أو سنها النبي بعدما صار نبيا، لم يَرِد أن واحدا من العلماء بعد القرن الأول قد أوصى الناس بذلك أو أن عالما قد قال أن أهله ذهبوا به إلى البادية صغيرا، أمر آخر وهو أن بني سعد الذين كان عندهم النبي ﷺ كانوا عربا خلصا ولكنهم عاشوا حياة البداوة وقد كانوا مستقرين في مناطقهم وهم ليسوا أعرابا.

وأخيرا فإن ذهاب محمد ﷺ عندهم لا ينفي عنه عربيته ولا يقدح في نسبه، وإن كان ليزداد فصاحة وليكون حاضر الذهن فإنه بذلك يكون قد أضاف إلى ما عنده ما كان عند أهل البادية، وأرى أن من ذكر أن العرب كانوا يقولون: "إن المربى في المدن يكون كليل الذهن فاتر العزيمة، ضعيف البنية"(٢) قد أخطأ، فقد كان أهل الحضر يفوقون أهل البادية في ذلك والدليل على ذلك ذكر العرب الذائع في الحضر على غيرهم، وبيان تفوقهم على أهل البداوة والأعراب وغيرهما.

وأرى أن السبب الرئيس من استرضاع أهل من مكة لأودهم في البادية؛ هو أنه كان في مكة وباء يحصد الصغار فما كان منهم إلا أن يطلبوا لأولادهم المراضع من خارج مكة(٣).

---

(١)انظر: تفسير القرطبي، ج١١، ص١٨٩.

(٢)انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار القلم – دمشق، ط٨، ١٤٢٧ هـ، ج١، ص١٩٢.

(٣)انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ج١، ص١٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما حكم من قال :إن محمدا أعرابي، أنه آثم لأنه قد طعن في نسبه وطعن في أصله وهذا سب للنبي ﷺ، وقد نهى النبي ﷺ عن الطعن في الأنساب.

قال القاضي عياض –رحمه الله– : اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو **نسبه**، أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب يقتل.... ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة. وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره(٣).

وأخيرا فالفرق جوهري بين العرب والأعراب هو أن العرب أصلٌ بينما الأعراب صفة وحالة يمكن لأي أحد أن يكون ضمنهما.

---

(٣)الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل ت٥٤٤هـ، دار الفيحاء – عمان، ط٢، ١٤٠٧ هـ، ج٢، ص٤٧٣و٤٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

اختيار أصحاب محمد ﷺ وبيان فضلهم وصفاتهم

كل نبي كان له أتباع وكل نبي كان له أصفياء، اختارهم ليبلغوا دينه وليكونوا له سندا وسلوى واختارهم النبي وكانت تعاليمه جل عملهم، وقد كان أصحاب النبي محمد ﷺ على طراز مختلف وكان اختيارهم فريدا، فلم يكونوا كأي أتباع من أتباع المختارين، وهذا ما سيبينه هذا المبحث والذي أبين فيه حال أصحاب النبي ﷺ صفة وفضلا، وسأبين حالهم مفرِّقا ومقارنا ما بينهم وما بين أتباع موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لأنني أرى أنهما محورا المختارين في الكتاب المقدس وهما اللذان كانا أكثر تبعا فيه.

وقد جاء هذا المبحث في أربعة مطالب وكما يلي:

المطلب الأول: اختيار أصحاب النبي في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: صفات أصحاب النبي وفضلهم.

المطلب الثالث: الفرق بين أصحاب النبي وبين أتباع موسى وعيسى عليهم السلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: اختيار أصحاب النبي في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ورد ذكر أصحاب النبي ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية وقد كان لهم شأن كبير في الإسلام، وقد كان تشريف الله لهم بأن اختار نبيهم منهم واختار كتابه بلسانهم واختارهم ليقوموا بالدعوة إلى دين الله واختار بلدهم لتكون منطلق الدعوة ومأوى العباد والعبادة، فكان اختيارا متكاملا من جميع الجهات.

وهذا لا يعد نقصا في بقية المختارين وأماكنهم ولكن تمام إكمال دعوة الله وختمها اقتضى أن يكون في أحسن تقويم.

قال تعالى:﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾الزخرف: ٤٤.

وقال تعالى:﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾الفتح: ٢٩.

وقال تعالى:﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ القصص: ٦٨.

وقد جاء في بيان تفسير الآية الأخيرة عدة أقوال منها ما ذكره القرطبي في تفسيره حيث قال: "قال ابن عباس: والمعنى، وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منهم من يشاء لطاعته. وقال يحيى بن سلام: والمعنى، وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوته. وحكى النقاش: أن المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه يعني محمدا ﷺ، ويختار الأنصار لدينه"(١)، ففي التفسير ما يبين أن النبي مختار من الله تعالى وأن أصحابه مختارون من الله ليكونوا أنصارا لنبي الله ولدين الله تعالى.

أيضا في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي لله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((إن الله تعالى اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحابي أربعة- يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعليا- فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون))(٢).

إذن، فالنصوص السابقة تبين أن أصحاب النبي كانوا مختارين من الله تعالى، ولم يكن اختيارهم من النبي، وكل ما كان من النبي هو دعوتهم إلى دين الله تعالى فيستجيبوا ثم يكون النبي بالنسبة لهم أحب من أنفسهم وأهليهم.

---

(١)الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي ت٦٧١هـ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ج١٣ ص٢٠٥، (بتصرف).

(٢) رواه البزار، ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ت٨٠٧هـ، تحقيق، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م، باب ما جاء في أصحاب النبي ﷺ، ج١٠، ص١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: صفات أصحاب النبي وفضلهم.

اتصف الصحابة رضوان الله عليهم بصفات خُلقية أقرب ما تكون من صفات المختارين من أنبياء ورسل، فهم بالإضافة إلى ما كان من أخلاقهم العربية جاء الإسلام ليتوج أخلاقهم التي كانت سببا في استحقاقهم صحبة النبي ﷺ، فهم الذين كانت لغتهم على قمة الفصاحة وكانت العلوم عندهم واسعة إضافة إلى ما تعلموه من النبي ﷺ، وتميزوا بالتقوى والدين، وهم الذين كانوا على أتم استعداد لتقديم كل ما يستطيعونه في مقابل خدمة الدين، ومن أجل النبي، فكانت تضحياتهم في سبيل الله كبيرة لا توصف.

قال ابن حجر الهيتمي –رحمه الله–: "فنجد النبي ﷺ أفضل الناس نشأة ومولداً وشرفاً وخَلْقاً وخُلُقاً وصدقاً وأدباً وأمانة وزهادة وإشفاقاً ورفقاً وبعداً عن الدناءة والكذب والتمويه قال تعالى:﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾الأنعام:١٢٤، ثم أصحابه يكونون في غاية العلم والنور والبركة والتقوى والديانة، كأصحاب رسول الله ﷺ كانوا بحراً في العلوم على أنواعها من الشرعيات.... والعلوم الباطنة والظاهرة، حتى إنه روي أن علياً جلس مع ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وأنهما تكلما في الباء من (بِسْمِ اللَّهِ) من العشاء إلى أن طلع الفجر مع أنهم لم يدرسوا ورقة.... ولا تفرَّغوا من الجهاد.ولقد قال بعض الأصوليين في بيان علو درجة الصحابة وعظم مقامهم: "لو لم يكن شاهداً لرسول الله ﷺ إلا أصحابه لكفوا في إثبات نبوته"(١).

والصحابة –رضوان الله تعالى عليهم– هم أفضل الخلق بعد المختارين من الأنبياء والمرسلين، فهم الذين ما كانوا ليتركوا أمرا أمره الله وما كانوا ليفعلوا أمرا نهى الله عنه فكانت تصرفاتهم نابعة عما تلقوه من الوحي الذي أنزل على النبي ﷺ دون زيادة أو نقصان.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: "ونحن قد تيقنا ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف قبلنا، وما يصدق ذلك من المنقولات المتواترة من أدلة العقل، من أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، فلا يقدح في هذا أمور مشكوك فيها، فكيف إذا عُلم بطلانها؟!"(٢).

أما بالنسبة للصفات الخَلْقية فقد كانوا على تفاوت في الأبدان بينهم ولكن لم تكن في أحدهم عيوب أو عاهاتٌ منعت تبليغ الدعوة، فلم يُذكر من بين أصحاب النبي ﷺ أنه كان فيهم واحد أصم أو أبكم؛ لأن ذلك يمنع من تبليغ الدعوة ويقتضي التغاير في ماهية ومعاني البلاغ.

---

(١)الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ت٩٧٤هـ، تحقيق محمد عواد العواد، دار التقوى–سوريا، ط١، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٨م، ص٢٣٩.

(٢)منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ت ٧٢٨هـ، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، ج٦، ص٣٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد قمت بالبحث طويلا في تراجم الصحابة فلم أجد واحدا منهم كان أبكما أو أصما.

المطلب الثالث: الفرق بين أصحاب النبي وبين أتباع موسى وعيسى.

إضافة إلى ما كان عليه الصحابة من صفات كنا قد بينا منها في ما كان من صفات العرب والتي كان لها أثر كبير في دعوة الإسلام، نريد هنا أن نبين الفرق مابين أصحاب محمد ﷺ وما بين أتباع موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ضمن ثلاثة أمور رئيسة.

أولا: المفردات اللغوية.

تميزت اللغة العربية بكثرة مفرداتها دون نظيراتها، وانفردت عن بقية اللغات بدقة معانيها؛ حيث وصل مجموع كلمات اللغة العربية –دون تكرار– أكثر من اثنتا عشْرة مليون وربع مليون كلمة، بينما لم تتجاوز الكلمات أكثر من ستمائة ألف كلمة في أعلى اللغات الأجنبية عددا بعدها وهذا يدل على قدرة اللغة العربية على إيصال المراد أو المطلوب في أعلى درجات الدقة، ويدل أيضا على مقدرة هذه اللغة من استيعاب جميع المضامين والإعراب عنها بما يليق والحال المناسب(١).

وهذا قد مكن أصحاب محمد ﷺ من فهم كلام الله ومن إيصاله بأدق تحر للكلمات، فكان هناك رسل للنبي يبعث بهم إلى الأمراء والملوك، وكان هناك سفراء يبعثهم لتعليم الناس دين الله، وكان هناك شعراء، فكانوا بما لديهم من ملكة لغوية ومكنة في الإعراب عن مضامين الدعوة الأقدر على حمل الرسالة السماوية وإيصالها إلى أقطار الأرض.

ولم يبعث النبي ﷺ بواحد من أصحابه في مهمة وأخفق في ذلك أو لم يحسن الكلام في مهمته أو أن لغة ذلك الصحابي قد خانته في إيصال مراد الدعوة.

ثانيا: الشجاعة والتضحية والفداء من أجل دين الله ورسوله الذي اختار.

وأكتفي هنا بالكلام عن تضحية لواحد من أصحاب النبي ﷺ.

زيد بن الدُّثُنَّة –رضي الله عنه– واحد من أصحاب النبي ﷺ بعثه النبي ﷺ إلى قبائل عضل والقارة مع آخرين وذلك بعدما قدم رهط منهم وطلبوا من النبي ﷺ أن يبعث معهم نفرا من الصحابة.

---

(١)انظر: مقارنة بين عدد كلمات بعض لغات العالم، موقع جامعة البلقاء التطبيقية، https://www.bau.edu.jo، بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعلمونهم أمور الدين وشرائع الإسلام؛ لأنهم حديثو عهد بالإسلام، وعندما وصلوا مكانا يسمى الرجيع غدروا بهم واجتمع عليهم أكثر من مائة شخص فقاتلهم الصحابة؛ لأنهم رفضوا أن يستسلموا لهم، فقُتل الصحابة وأسر زيد بن الدُّثُنَّة وصحابي آخر وهو خبيب بن عدي الأنصاري وأُخذا إلى مكة ليتم بيعهما لمن أراد الثأر ممن كان له قتلى في بدر، فأخذوهما وصلبوهما للقتل، فقال المشركون لخبيب: "أتحب أن محمدا ﷺ الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك؟"، فقال: "والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي"، ثم أخذوه رميا بالنبال وأخذوا بتقطيع جسده وهو حي حتى مات(١).

هذا مثال من أمثلة التضحيات التي قدمها من اختارهم الله ليكونوا ناشرين لرسالته ومدافعين عمن اختاره الله تعالى واصطفاه لدينه.

ثالثا: ثناء الله وثناء النبي ﷺ على الصحابة.

أما في الثناء على الصحابة –رضوان الله عليهم– فقد أثنى الله تعالى على الصحابة بما يليق بحال المختار الذي كان أهلا لحمل الرسالة ونشرها، وبشرهم بما عنده من خير الآخرة ونعيم الجنة.

قال تعالى:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾التوبة: ١٠٠.

وقال تعالى:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾الفتح: ٢٩.

وقد بينت السنة النبوية عظيم شأن الصحابة وأثنت عليهم ثناء لا يستطيع أحد أن يصل إليه.

---

(١)انظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ت٢١٣هـ، تحقيق عبد الحفيظ الشلبي وآخران،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده –مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م، ج٢، ص١٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–، قال: قال النبي ﷺ: ((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه))(١).

في المقابل فقد بين الكتاب المقدس صفاتٍ قبيحة وسيئة في أتباع كل من موسى وعيسى عليهما السلام تبين كيف عانى كل منهما مع اتباعه بل وكيف كانوا يعصون ويخونون ويتبرأون من أنبياء الله المختارين حتى وصل الأمر إلى القتل.

أيضا فقد جاء الذم في الكتاب المقدس من قبل موسى وعيسى عليهما السلام لأتباعهما، بل وإن بولس وهو الذي ادعى الرسالة العالمية المطلقة كان قد تشاجر مع برنابا وهو أحد أتباع عيسى عليه السلام والذي كان رفيقا لدرب عيسى ثم بولس، وما كان هذا ليحدث في أصحاب محمد ﷺ.

وبغض النظر عن أتباع بولس سأقتصر على ذكر ما جاء في الكتاب المقدس من ذم موسى وعيسى عليهما السلام لأتباعهما؛ فبولس يكاد لا يكون له أتباع، وأنه إن كان له أتباع فهم في الأصل أتباع عيسى عليه السلام لا بولس.

أما أتباع **موسى** عليه السلام، فقد بدأ ذكرهم في أوائل أسفار العهد القديم وامتد إلى آخره بل وتعدى إلى العهد الجديد، والبداية الواضحة والبارزة كانت من سفر الخروج، ففي سفر الخروج يعين فرعون مراقبين من بني إسرائيل على قومهم ليزيدوا ساعات العمل وفي نفس الوقت يمنعهم من أخذ التبن كانوا يستفيدون منه في إعمار بيوتهم وإصلاحها، فطلب هؤلاء المراقبين من فرعون أن يخفف عن بني إسرائيل شيئا من مشقة العمل فأبى ظنا منه أنهم يريدون التخفيف من العمل ليجدوا فراغا للعبادة، فوبخهم وزاد عليهم العمل أضعافا مضاعفة وأنقص من نصيبهم الذي تعبوا في تحصيله من اللبِن فكانت النتيجة أن غضبوا ولكن على موسى الذي نادى بتحريرهم من العبودية بل وأخذوا يدعون على موسى وهارون ولم يسمعوا ما كان يقوله لهم من أجل خروجهم من مصر.

"فرأى مدَبّروا بني إسرائيل أنفسهم في بلية إذ قيل لهم لا تنقصوا من لبنكم أمر كل يوم بيومه، وصادفوا موسى وهارون واقفين للقائهم حين خرجوا من لدن فرعون. فقالوا لهما: ((ينظر الرب إليكما ويقضي، لأنكما أنتنتما رائحتنا في عيني فرعون وفي عيون عبيده حتى تعطيا سيفا في أيديهم ليقتلونا))"[خروج٥: ١٩-٢١]،"فتكلم موسى أمام الرب قائلا: ((هوذا بنو إسرائيل لا يسمعون لي....))[خروج٦: ١٢].

---

(١)صحيح البخاري، ج٥، ص٨، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذا خليلا)).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونجد أن النص قد أظهر عدة صفات في بني إسرائيل أهمها: جبن بني إسرائيل والذي كان واضحا أمام فرعون، وعدم طاعتهم واحترامهم لأنبيائهم، حتى وصل الأمر إلى الدعاء على موسى وهارون، والسعي إلى إرضاء فرعون وعبيده على حساب رضى الله!.

وكان موقفهم مشينا عندما أدركهم فرعون، حيث تراجعوا عن مبدئهم في كونهم شعب الله المختار الحر الذي لا عبودية فيه إلا لله، وتمنوا أنهم مازالوا عبيدا عند فرعون تلك اللحظة.

"فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، وإذ المصريون راحلون وراءهم. ففزعوا جدا، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. وقالوا لموسى: هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين: كف عنا فنخدم المصريين؟ لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية))"[خروج١٤: ١٠-١٢].

وبدأ بعدها التذمر والمن على موسى وعلى الرب في أكثر من موضع.

أما في العهد الجديد فلم يكن وصف بني إسرائيل أقل شأنا من وصفهم في العهد القديم فقد وصفهم عيسى عليه السلام بعدة أوصاف بين فيها حقيقة الأبناء والآباء والأجداد من بني إسرائيل الذين اتبعوا موسى وغيره من بعده، فوصفهم بالمرائين، وبقتلة الأنبياء وبراجمي المرسلين، وبأولاد الأفاعي وبالخراف الضالة، وبفاعلي الإثم، وبالشعب صلب الرقبة، وبالجيل الشرير، وبلصوص المغارة.

" هكذا أنتم أيضا: من خارج تظهرون للناس أبرارا، ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين، وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء.... أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة"[متى٢٣: ٢٨-٣٤].

أما **عيسى** فمن أول حياته إلى آخرها خرجت من أتباعه أمور لا تليق بأتباع مختار أو أتباع ابن الرب كما يدعون، فبالإضافة إلى أن عيسى قد أرسل إلى خراف بني إسرائيل الضالة فإن هناك من اتبع عيسى عليه السلام وما جاء به من تعاليم، واختار من أتباعه جماعة خاصة له سُمُّوا الحواريين والتلاميذ، وقد خصهم بمزيد تعاليمه واستأمنهم على الدين وعلى نفسه وأراد أن يبث فيهم الثبات على المبدأ. ولكنهم رغم كل شيء خذله بعضهم وخانه بعض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فها هوذا المسيح يجتمع مع التلاميذ ليأكلوا عشاء الرب ثم يذهب بعدها معهم إلى جبل الزيتون بعدما كان قد بين لهم ما سيجري معه من أحداث، ثم يتكلم متنبئا بحالهم وما سيكون من إنكارهم له، ثم خص منهم بطرس وهو واحد من التلاميذ الذين اختصهم، بأنه عندما سيتم قتل المسيح سيتبرأ منه بطرس ثلاث مرات وهذا ما بينه العهد الجديد بأنه قد حصل.

"وخرجوا إلى جبل الزيتون. حينئذ قال لهم يسوع:" كلكم تشكون في هذه الليلة، لأنه مكتوب أني أضرب لراعي فتتبدد خراف الرعية....فأجاب بطرس وقال له:" وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك فيك أبدا". قال له يسوع:" الحق أقول لك: إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات". قال له بطرس:"ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك" هكذا قال أيضا جميع التلاميذ"[متى٢٦: ٣٠-٣٥].

وحدث ما تنبأ به المسيح بأن أنكره بطرس والتلاميذ مقدمين حياتهم على المسيح: "أما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار، فجاءت إليه جارية قائلة: ((وأنت كنت مع يسوع الجليلي!)). فأنكر قدام الجميع قائلا: ((لست أدري ما تقولين!)). ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى ، فقالت للذين هناك: ((وهذا كان مع يسوع الناصري!)). فأنكر أيضا بقسم: ((أني لست أعرف الرجل!)). وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس: ((حقا أنت أيضا منهم، فإن لغتك تظهرك!)). فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف: ((إني لا أعرف هذا الرجل!)). وللوقت صاح الديك. فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له: ((إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات)). فخرج إلى خارج وبكى بكاء مرا"[متى٢٦: ٦٩-٧٥].

وقد كان ينعت بالشكاك لأنه كان كثير الشك بكل ما جاء به المسيح حتى وهو من أتباعه، أيضا يهوذا الإسخريوطي كان واحدا من تلاميذ المسيح الذين اختارهم واستمعوا إلى تعاليمه ولكنه لم ترسخ تعاليم ومبادئ المسيح فيه وخان المسيح بأن سلمه ليقتل.

"حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر، الذي يدعى يهوذا الإسخريوطي، إلى رؤساء الكهنة وقال: ((ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم؟)). فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه.

بينما تجاوز أصحاب النبي ﷺ المائة ألف ولم يخنه واحد منهم، فلنا أنا نرى الفرق بين صحابي يصلب في مقابل الدعوة، ويغضب عندما خيروه بأن يكون محمد ﷺ مكانه، وحواري يتخلى عن عيسى عندما صلبوه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

اختيـار مكـة وبيان فضلها

مثلما اختار الله تعالى الأشخاص والأمم فقد اختار الأماكن، وكان من الأماكن التي اختارها مكة المكرمة والتي قد ذكرت في القرآن الكريم، وجاء ذكرها في السنة النبوية.

سأبين في هذا المبحث اختيار مكة وصفاتها في القرآن الكريم والسنة النبوية والأسباب التي كان لها علاقة باختيارها.

وسأبين في هذا المبحث –أيضا– أنه قد جاء ذكر مكة المكرمة في الكتاب المقدس وقد لمحت النصوص إلى أوصاف لا تنطبق إلا عليها.

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب وكما يلي:

المطلب الأول: اختيار مكة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: ذكر مكة في الكتاب المقدس.

المطلب الثالث: أسباب اختيار مكة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: اختيار مكة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

اختار الله تعالى الأرض مستقرا لخلقه وهيأ لها من المختارين من يقوم بدينه، وقد اختار من أرضه مكة المكرمة والتي جعلها مستقرا لبيته وأحاطها بشرائع وقدسية انفردت بها عن بقية البقاع، فجعلها آمنة وحرم الاعتداء على أمنها، وجعل العقوبة والإثم والعذاب الأليم على مريد الظلم فيها، وجعل الناس تهوي أفئدتهم إليها، وجعل عبادة الحج فيها ركنا من أركان دينه، بل وحرّم صيدها وقطع شجرها، وضاعف الأعمال الصالحة فيها أضعافا كثيرة(١).

قال تعالى:﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾الحج: ٢٥.

واختار الله تعالى مكة ليكون فيها أول بيت كان للناس عبادة وأمنا.

قال تعالى:﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾آل عمران: ٩٦.

ثم اختار بيته فيها ليكون قبلة للناس، فمن اختيار الأمكنة ما نزل من الوحي على محمد ﷺ في تغيير القبلة عن المسجد الأقصى واختيار الكعبة لتكون قبلة المسلمين، فأنزل الله تعالى أمره إلى محمد ﷺ بأن تكون الكعبة قبلة للمسلمين في صلاتهم فكان حامل الوحي هو جبريل عليه السلام، أما فرض الصلاة فكان مباشرة من الله إلى محمد ﷺ عندما عرج به إلى السماء.

قال تعالى:﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ﴾البقرة: ١٤٤.

ولمكة أسماء كثير سأقتصر منها على ثلاثة وهي: (بكة، ومكة، وأم القرى)؛ لغلبة ورود هذه الأسماء الثلاثة في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ ولأن هذه الأسماء الثلاثة هي أشهر أسماء عرفت بها مكة وأشهرها على الإطلاق هو مكة(٢).

---

(١)انظر: الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط٣، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م، ص٢٠٩.

(٢) ولمكة أسماء أخرى عرفت بها وهي معروفة في المعاجم ولهذه التسميات أسباب ومعان أيضا، ومن هذه الأسماء ما يلي: (البلد الأمين، واد غير ذي زرع، الباسَّة، الناسَّة، النسَّاسة، تهامة، البنية، أم رِحم، صلاح، كوثى، الحاطمة، القادس، المقدَّسة، المقدِّسة).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: بكة.

قال تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾آل عمران: ٩٦.

وأرى أن بكة هو أول اسم عرفت به مكة ولكنها على المشهور دعيت مكة، فأرى أن القرآن الكريم قد ذكر أن أول بيت وضع للناس كان بمكة وأنه مع هذه الأولية قد ذكر أول اسم لها في البداية وهو بكة.

ويؤيد ذلك حديث يتحدث عما وُجد في أساس الكعبة عندما نقضوها من أجل إعادة بنائها.

"عن مسافع بن الحاجب، أنه قال: (وجدوا حجرا حين نقضوا البيت فيه ثلاث صفوح، فيها كتاب من كتب الأُوَل، فدعي لها رجل فقرأها، فإذا في صفح منها: أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعتُ الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أفلاك، وباركت لأهلها في اللحم والماء، وفي الصفح الآخر، أنا الله ذو بكة، خلقت الرحم واشتققتها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، وفي الصفح الآخِر: أنا الله ذو بكة، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن كان الخير على يديه، وويل لمن كان الشر على يديه)"(١).

ثانيا: مكة.

وهي في المعنى قريبة لمعنى بكة، فتعني أيضا الزحام، والإهلاك ومكُّ –دق عنق– من ظلم فيها، وقيل سميت مكة بذلك لقلة مائها فهم يمتكُّون الماء أي يستخرجونه وذلك من مك ومصَّ الفصيلُ ما في ضرع أمه، وهذا صحيح لأن مكة مائها قليل وأشهر مائها زمزم.

ومنهم من فرق بين مكة وبكة فقال إن مكة الحرم كله وإن بكة جزء منها وهو الذي ما بين جبلي مكة، ومنهم من قال إن بكة موضع البيت فقط أما مكة فهي سائر ما حوله(٢).

ثالثا: أم القرى.

وقد سميت مكة بأم القرى؛ لأنها أصل كل القرى ولأن الأرض بسطت من تحتها(٣).

أيضا سميت بذلك لتوسطها الأرض.

---

(١)انظر: كتاب القدر، جعفر بن محمد بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي ت٣٠١هـ، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م، ص٢٠٢، وجاء فيه: إسناده صحيح إلى مسافع، وأخرجه معمر في: الجامع: المصنف لعبد الرزاق: ج١١/١١٤، وأخرجه البخاري في تاريخه الكبير،ج٨، ص١٤٩، انظر: محمد بن إسماعيل المغيرة البخاري، ت٢٥٦هـ، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، مراقبة محمد عبد المعيد خان، د.ط، د.ت.

(٢)انظر: لسان العرب، ج١٠، ص٢٠٤، فصل الباء الموحدة.

(٣)انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس،محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢،ج٢، ص١٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاء في جمهرة اللغة: (وَأم الْقرى: مَكَّة سميت بذلك لِأَنَّهَا توسطت الأَرْض، زَعَمُوا وَالله أعلم)(١).

المطلب الثاني: ذكر مكة في الكتاب المقدس.

استخرج المهتدون القدامى من أهل الكتاب بشارات كثيرة بالنبي الخاتم وبمَخْرجِه مكة ذكرتها كتبهم المقدسة المتداولة في زمانهم، فأعلن هؤلاء المستخرِجون إسلامهم، ثم جاء المهتدون المعاصرون من أهل الكتاب فطبقوا تلك البشارات على ما في نسخ الكتب المقدسة المتداولة الآن بينهم، فأعلنوا إسلامهم أيضا، وألف بعض المهتدين من الفريقين كتبا نصوا فيها على وجود تلك البشارات في نسخهم(٢).

وقد ذكر الكتاب المقدس مكة المكرمة صراحة وتأويلا وكلاهما كان مبهما، أما ذكر مكة المبهم رغم صراحة اللفظ فذلك بسبب التلاعب الكلمات المحيطة بها، وأما ذكر مكة المبهم بسبب التأويل فإن ما كان في الكتاب المقدس من إشارات يشير إلى عدم انطباق التأويل إلا على مكة.

وسأذكر فيما يلي بعض النصوص التي دلت على ذكر مكة في الكتاب المقدس لأبين بعدها بعض الأمور التي تدل على أن مكة المكرمة هي محط دين الله تعالى.

جاء في سفر مزامير داود ما يلي:

" ما أحلى مساكنك يا ربّ الجنود تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب.... طوبى للساكنين في بيتك أبدا يسبحونك، سِلاه. طوبى لأناس عزّهم بك، طرق بيتك في قلوبهم عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً.... يا رب إله الجنود.... يا مِجنَّنا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك لأن يوماً واحدا في ديارك خير من ألف "[مزامير ٨٤: ١و٢، ٥و٦، ٨-١٠].

هذا النص جاء فيه ذكر مكة أو بكة تحت اسم وادي البكاء، وهو نص النسخة العبرانية التي اعتمدها في دراستي، وسأعرض هنا أيضا نص النسخة اللاتينية.

"ما أعظم مساكنك يا رب الجنود! تتوق بل تحن نفسي إلى ديار الرب.... طوبى لمن يسكنون في بيتك، فإنهم يسبحونك دائما. طوبى لأناس أنت قوتهم.... وإذ يعبرون في وادي البكاء الجاف، يجعلونه ينابيع ماء ويغمرهم المطر الخريفي بالبركات.... يا رب إله الجنود.... يا الله مِجَنَّنا، انظر بعين الرحمة إلى من مسحته ملكا. إن يوما واحدا أقضيه داخل ديارك خير من ألف يوم خارجها.

---

(١)جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت٣٢١هـ، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م، باب أم م ، ج١، ص٦٠.

(٢)بشارة سفر المزامير ببكة وأثر الرمزية في اختلاف تراجمها، أ.د محمد أحمد محمد ملكاوي، بحث محكم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيما يلي أدق ترجمة لهذا النص.

"How I love your temple, Almighty God! How I want to be there ! I long .. to be in the Lord's temple

.How happy are those live in your temple, always singing praise to you

How happy are those whose strength comes from you. As they pass …One day spent … through the valley of **Becca**, it becomes a place of springs in your Temple is better than a thousand anywhere else".

والترجمة الدقيقة والحرفية لهذا النص بالإنجليزية هي على ما يلي:

" لكم أحب معبدك، يا الله العظيم، لكم أريد أن أكون هنالك! أشتاق أن أكون في معبد الرب.. لكم هم سعداء أولئك الذين يعيشون في المعبد، يسبحون لك بالحمد كل حين.. كم هم سعداء هؤلاء الذين يستمدون قوتهم منك، فعندما يمرون بوادي بكة يصبح مكانا للينابيع.. إن يوما واحدا في معبدك لهو أفضل من ألف يوم في أي مكان آخر."

وقد ورد لفظ بكة Becca أو Baca كعلم للوادي مستفتحا بحرف الباء الكبير للدلالة على أنه اسم علم في نسخ Good News Bible و Webster Bible و King James Version.

لقد جاء في النص ذكر وادي البكاء، والبكاء هنا ليس المقصود به البكاء بالمعنى المعروف وهي الحالة التي تنتاب الإنسان بسبب شدة الحزن أو شدة الفرح، بل جاء البكاء في النص كاسم لمكان معين لا حالة البكاء، وقد تم تحوير هذا الاسم من بكة إلى بكاء؛ لأن الناظر إلى كتابة الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية يجد أنه مكتوب (**Becca**) أي بكة، فلا يدل هذا الاسم على البكاء أبدا.

وإلا لسمي الوادي بـ (valley of crying) وهذه هي الترجمة الصحيحة لوادي البكاء.

أيضا إن الناظر إلى كلمة (**Becca**) في نص الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية يجد بأنها قد ابتدأت بحرف كبير (capital letter) والحرف الكبير يكتب لبداية الأسماء فكتابة كلمة (**Becca**) على أنها تدل على فعل أو حالة كالبكاء مخالف لقواعد الكتابة في اللغة الإنجليزية وقد كتبت كلمة (**Becca**) بالحرف الكبير لتدل على أنها اسم لا على أنها صفة أو حال(١).

---

(١)انظر: بشارة سفر المزامير ببكة، ص٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمر آخر يدل على أن أورشليم وما حولها ليست تلك المنطقة المقدسة التي اختارها الرب لأتباع الكتاب المقدس في النصوص التي ذكرها المسيح عليه السلام لتكون مستقرا لدينه، وأن مكة هي المكان المقدس التي تنطبق عليها الأوصاف وذلك من خلال ما كان من حديث عيسى عليه السلام في العهد الجديد مع المرأة السامرية، حيث أن الكتاب المقدس قد ذكر أن المسيح عليه السلام كان قد سافر إلى الجليل تجنبا لصدامات كانت ستحدث مع اليهود الفريسيين فقرر السفر بناء على ذلك(١).

وأثناء سفره إلى الجليل كان لا بد أن يمر في طريقة من منطقة تدعى السامرة، فمر من السامرة وأتى إلى مدينة سوخار وهي من مدن السامرة واستراح فيها عند بئر فجاءت امرأة سامرية لتملأ الماء فطلب منها المسيح أن تسقيه ثم دار بينهما حديث فكان مما قالته المرأة للمسيح ما يلي:

" قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي ، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب "[يوحنا٤: ١٩-٢١].

يبين النص السابق من الكتاب المقدس أن المرأة السامرية كانت قد عرفت من خلال كلام المسيح ودعوته لها أن المسيح نبي من الله، ثم أخبرت المسيح أنها وآباءها يعبدون الله تعالى في جبل جرزِيم في نابلس السامرة وادعت أن المسيح وأتباعه قالوا بأن أورشليم هي التي ينبغي أن تكون موطن العبادة، فبين لها أنه ليست هذه هي المواطن التي ستكون فيها العبادة في المستقبل.

وعند النظر في نص حوار المسيح مع المرأة السامرية يتبين ما يلي: قال المسيح للمرأة: "يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب " ليظهر أنه قد يكون السجود في جبل آخر غير جبل جرزِيم أو في أي مكان بغض النظر عن التضاريس كأن يكون في سهل أو واد مثلا، ثم نفى المسيح أن يكون السجود في كل أورشليم، ثم ينتهي الكتاب المقدس إلى آخر أسفاره دون أن يحدَّد ذلك المكان تاركا أتباع هذا الكتاب في حيرة لمن أراد تتبع التفاصيل.

وأخيرا أرى بأنه لا وجود لوادي يدعى بوادي البكاء في منطقة أورشليم وما حولها وحتى في جميع الرحلات التي قام بها كل من موسى وعيسى –عليهما السلام– وحتى ما كان من رحلات بولس.

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٧٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد قمت بالاطلاع على جميع الخرائط الموجودة في تفسير الكتاب المقدس لجون ماك آرثر والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس فلم أجد هذا الوادي فيها حيث إن التفسير التطبيقي للكتاب المقدس كان قد عرض ١٩٢ خريطة وعرض تفسير الكتاب المقدس لجون ماك آرثر عشْرة خرائط لم تذكر واحدة منها وادي البكاء في المواطن التي كان فيها أتباع الكتاب المقدس ومختاروهم، وللعلم فإن التفسير التطبيقي لم يعرض أية خارطة في سفر المزامير والذي تحدث عن مرور قاصدي مكان العبادة والمارين من وادي البكاء، علما أن هذا السفر يعتبر من أكبر أسفار العهد القديم.

أما الأودية الموجودة على الخرائط والتي قسمتها التفاسير إلى: (خرائط العهد القديم وخرائط العهد الجديد)، فبالرغم من هذا التقسيم وما طرأ عليه من تغير في الأسماء وزيادة فيها، إلا إنه لم يُرسم من الأودية على اختلاف مواقعها إلا ثلاثة: (وادي فارة وهو أكثرها ذكرا، ووادي قدْرون، ووادي هنُّوم)(١).

في نهاية المطلب أرى أن سبب ذكر مكة في الكتاب المقدس قد يرجع إلى ما يلي:

أولا: ذهول من غيَّروا وبدلوا في التوراة والإنجيل ونعتهما بالعهدين عن حذف النصوص التي ذكرت مكة صراحة وتأويلا.

ثانيا: أو أنهم أرادوا أن يحوروا ذكرها ولكنهم لم يستطيعوا ذلك؛ لأن السياق قد غلبه.

ثالثا: أو أن من كتبوا أسفار الكتاب المقدس لم يجدوا ضيرا في أن تبقى تلك العبارات ظنا منهم أنها لا أثر لها أو لا وقع لها على الناس.

المطلب الثالث: أسباب اختيار مكة.

بداية علي أن أذكر فضل مكة كمسوغ أولي أبين من خلاله سبب اختيار مكة المكرمة، فلمكة فضل عظيم على كل من دخلها مسلما كان أم كافرا، فمن فضلها ما يلي:

إن الله تعالى قد جعل مكة بلدة آمنة لكل ما فيها من الخلق البشر ومن غير البشر، وحرم الاعتداء على من فيها، وجعل نصرة المظلوم فيها حقا فيها فأعطاها الله حرمة اكتسبت منها اسمها وصفتها فصارت علما على مكة.

إن الله تعالى قد جعل بيته –الكعبة– فيها وجعل من كان في هذا البيت آمنا بأمن مكة وأمن بيت الله الحرام، فكان البيت –كما ذكرنا– مكان عبادة وأمن معا.

---

(١)انظر: تفسير الكتاب المقدس (آرثر)، ص١٧٥٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والله تعالى قد شرف من كان له دور في إظهار شعائرها ومعالم العبادة فيها من الأنبياء فخلد ذكرهم قولا وعملا وأولهم إبراهيم عليه السلام(١).

قال تعالى:﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾آل عمران: ٩٦ – ٩٧.

وقال تعالى:﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾البقرة:١٢٥.

إن الله قد اختار مكة لتكون قبلة للناس عربهم وعجمهم لمن آمن بالله وحده لا شريك له.

قال تعالى:﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ﴾البقرة:١٤٤.

انقطعت عبادة الأصنام بحلول الإسلام فلم تختلط العبادات بشرك.

في حين كانت الدنيا قد اختلطت العبادة فيها لمن أراد غير دين الله بالأصنام وغيرها كما حصل مع اليهود عندما خالطوا الوثنيين.

قال تعالى:﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾إبراهيم:٣٥.

وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾النمل:٩١.

جعل الله تعالى مكة المكرمة موطن أرازق عظيمة، حيث كانت تتحصل عليها مكة من خلال من يفد إليها حاجا ومتاجرا ومن يكون مارا من خلالها دون أن تكون التجارة أو الصناعة مقصدين أو هدفين رئيسين في حياتهم تبعدهم عن بقية اهتماماتهم والتي على رأسها العبادة.

قال تعالى:﴿حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾القصص:٥٧.

---

(١)انظر: تفسير الرازي، ج٣١، ص١٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾النحل:١١٢.

ثالثا: بالإضافة إلى أن مكة قد كانت متوسطة القوى في الأرض فقد كانت –كما ذكرت سابقا– متوسطة الأرض من الناحية الجغرافية فكان أدعى أن يكون بيت الله متوسطا الأرض لا في أقاصيها(١).

رابعا: إن مكة كانت موطن ابتلاء؛ ليمتاز لخبيث من الطيب؛ وليُمحص الحق وتُخرج معادن الناس؛ وليكونوا على قدر الاختيار، فلما كان من فيها على قدر الابتلاء كانوا بعدها أهلا للاختيار.

قال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾البقرة: ٢١٤.

وقال تعالى:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾إبراهيم: ٣٧.

خامسا: اختار الله تعالى مكة لتكون مكان عبادة لا موطن استقرار، والسبب من وراء ذلك أن الله ما أراد أن يستقر النبي ﷺ والصحابة –رضي الله عنهم– عند مكان عبادتهم، فيجمد الدين في ذلك الموطن ولا ينتشر، فاختار مكة لتكون مشاعر يتنقلون فيها من مكان إلى آخر في الحج ولا يثبتون في عبادتهم عند الكعبة مثلا، ويسافرون من مكان إلى آخر ناشرين دين الله لا ماكثين في مكة.

ويكون نتيجة ذلك أن تكون لمكة مكانة في قلوب كل المؤمنين الموحدين في الأرض يحجون إليها ويذودون عنها ويخصونها بالخيرات.

سادسا: عندما قصر اليهود معتقدهم على أنفسهم ومجدوا أنفسهم وقصروا معتقدهم على أرض أورشليم كانت دعوتهم ضيقة جدا وأعدادهم قليلة جدا حتى يومنا هذا فلم يحققوا المقصد من الخلق ولم يؤدوا الأمانة كما أراد الله، فاختار الله تعالى من يجعل رسالته عالمية ودعوته لا تختص بعرق أو نسب أو طائفة، واختار أيضا مكانا يكون لكل أهل الأرض من الموحدين له، فكانت مكة وكان العرب هم القادرين على حمل رسالة الله في الأرض.

---

(١)انظر: جمهرة اللغة، ج١، ص٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعا: أن مكة كانت بلدا آمنا ما قبل الجاهلية فلم يحدث فيها قتل لمن أراد أن يعبد الله فيها ولم تحدث فيها حرب لأسباب دينية فمن أجل ذلك كانت أهلا لمستقر دين الله.

وأخيرا أرى أن الله تعالى والنبي ﷺ ذكرا مكة المكرمة بالمدح والثناء وطيب الخبر، في حين أن الكتاب المقدس قد ذكر على لسان عيسى عليه السلام –أو كما دعوه بيسوع أو ابن الله – أقبح الذم وأسوأ الذكر في أورشليم.

"يا أورشليم، يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا! هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا!"[متى٢٣: ٣٧].

بل ووصل الذم إلى ما حول أورشليم من الأماكن.

"حينئذ ابتدأ يوبخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب: ((ويل لك يا كورزين! ويل لك يا بيت صيدا! لأنه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما، لتابتا قديما في المسوح وأنت يا كفر نحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلي الهاوية))" [متى١١: ٢٠–٢٣].

فأي ذنب أعظم من أن يكون مكان العبادة المختار –بحسب ما يقول الكتاب المقدس– هو نفس المكان الذي قام بقتل الأنبياء ورجمهم، وأي أمان يرتجى بعدها لمن أراد العبادة أو قصد الأمن فيه!؟.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة:

يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة بالنقاط التالية:

١- يوجد للاختيار في الكتاب القدس معنيان: معنى يتعلق بالعهد القديم، ومعنى يتعلق بالعهد الجديد، وهذا يدل على عدم التزام أصحاب الكتاب المقدس بقواعد التعريف من حيث اللغة والاصطلاح.

٢- لم يقف الاختيار عند مصطلح واحد أو لفظ واحد بل تعددت الألفاظ والمصطلحات الدالة عليه.

٣- اشتراك الكتاب المقدس والقرآن الكريم في ألفاظ بينهما تدل على الاختيار وواقعة في معناه.

٤- انفراد كل من الكتاب المقدس والقرآن الكريم بألفاظ ومصطلحات تدل على الاختيار.

٥- انفرد الكتاب المقدس بألفاظ اعتبرها من ألفاظ الاختيار إلا إنها لا علاقة لها بالاختيار لا من حيث اللغة العربية اصطلاحا ولا من حيث الترجمة إلى اللغة الإنجليزية.

٦- قضية الاختيار في الكتاب المقدس ليست لاهوتية بحتة مقابلة بما جاء من الاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالاختيار في القرآن الكريم والسنة النبوية من عند الله وحده.

٧- اشترك الناس في الكتاب المقدس مع الأنبياء في طرق الاختيار فكلمهم الرب والروح القدس.

٨- جعل الكتاب المقدس في مقدور الإنسان أن يختار إنسانا مثله دون الحاجة إلى الرب.

٩- من أسباب اختيار بني إسرائيل للأرض المباركة المكاسب المادية.

١٠- حارب بولس المسيحية فحرف فيها وحول معتقدات أتباعها، وحارب الإسلام فادعى الرسالة العالمية من خلا تنصيب نفسه رسولا للمسيح والذي جعله ابنا لله.

١١- رغم أن النسخ ليس من معتقد اليهود قام بولس بنسخ الشرائع الموسوية وتعاليم المسيح.

١٢- بولس هو من قام بتنصيب نفسه رسولا رغم عدم وجود دليل واحد يثبت رسالته.

١٣- كانت النبوة عند العرب وعند غيرهم، واستقرت فيهم بمشيئة الله ولما للعرب من فضل صفات انفردوا بها عن غيرهم.

١٤- عند المقارنة بين الصحابة رضوان الله عليهم وبين أتباع موسى وعيسى عليهما السلام نجد فرقا واضحا في انفراد الصحابة بأفضل الصفات وأحسنها.

١٥- دلت النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن الكتاب المقدس على أن الله اختار مكة المكرمة لتكون مستقر رسالته ومكان عبادته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The purpose of this study was to reveal the concept of the eclecticism in the Bible, and its types and ways, and the events and cases that made it most important to the people of the book, and the comparing it with the concept of eclecticism in the glory Qur'an and Sunnah. The study used the inductive, analytical and comparative methods. And its fond several results, the most important of which are: the concept of eclecticism in the Holy Bible means that the selection of nations and persons to be a prophets and monks, in addition to the places of worshiping was done by God and those who have the authority, and this different about the concept of eclecticism in Islam (Qur'an and Sunnah), where the eclecticism in Islam were done by Allah Almighty alone, so He alone Who Has the right and authority to select prophets and nations and places to reveal and convey His message.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المراجع:

-الأديان الوضعية، كتاب دراسي لمرحلة الماجستير ضمن مناهج جامعة المدينة العالمية.ماليزيا.

-الأشقر، عمر بن سليمان، الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط٣، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

- الأصبهاني ت٤٣٠هـ، حلية الأولياء، مطبعة السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

-الألباني، مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

- الأنباري أبو بكر ت ٣٢٨ه، الزاهر، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

-ابن إسحاق ت١٥١هـ ،سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ، سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

-إنجيل برنابا، دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، تحقيق سيف الله أحمد فاضل، دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- الباش، حسن، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، دار قتيبة للطباعة والنشر، سورية- دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

- البخاري، التاريخ الكبير، ت٢٥٦هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، مراقبة محمد عبد المعيد خان.

-البخاري، الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:١، ١٤٢٢هـ.

-البخاري، الصحيح، تعليق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- بدر الدين البعليّ ت٧٧٨هـ، اختصار اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ.

-البوطي، فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٨، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- البيهقي ت٤٥٨ هـ، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف- شركة التراث، ١٣٤٤ هـ.

-التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة لاهوتيين، تعريب ماستر ميديا-القاهرة،١٩٩٧م.

-التهانوي الحنفي بعد١١٥٨ه، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص د. عبد الله الخالدي، ترجمه للأجنبية د. جورج زيناني، ط١، مكتبة لبنان – بيروت،١٩٩٦م.

- ابن تيمية، درء تعارض، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية -بيروت-،١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

- ابن تيمية، منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

-الجرجاني علي ٨١٦هـ، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت،ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

-الجرجاني القرشي ت٤٢٧هـ، تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

-الجزائري، أبو بكر، منهاج المسلم، دار السلام للطباعة والنشر وَالتوزيع والترجمة، مصر، د.ط.

- ابن حجر العسقلاني، الأمالي المطلقة، تحقيق حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤١٦ هـ -١٩٩٥م.

-ابن حجر العسقلاني، الرؤى والأحلام، ط١، دار الإشراق- دار ابن زيدون، ١٩٨٤م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-الحكمي حافظ، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.
-الحليمي، الجرجاني ت٤٠٣هـ ، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
-ابن حنبل٢٤١هـ، المسند، تحقيق:الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة،١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.
-الخطيب، محمد، مقارنة الأديان، دار المسيرة، عمان – الأردن، ط٢، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
- ابن دريد ت٣٢١هـ ، جمهرة اللغة، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- الدوري، قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، كتاب ناشرون، لبنان- بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
-الرازي ت٦٠٦هـ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.
-الرازي ت٦٠٦هـ ، (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
-الرازي أبو بكر ت ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
-رحمت الله الهندي، ١٣٠٨هـ، إظهار الحق، تحقيق: محمد ملكاوي،الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية،ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
-الرحيلي، حمود، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة-السعودية، ط١٤٢٤،١هـ-٢٠٠٤م.
-الزرقاني، مناهل العرفان، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط٢.
-ابن أبي زَمَنِين المالكي ت٣٩٩هـ، أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تحقيق عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية-السعودية،ط١، ١٤١٥ هـ.
- أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د.ط.
- السبكي ت٧٧١هـ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د.محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
-السفاريني ت١١٨٨هـ ، لوامع الأنوار، ، مؤسسة الخافقين– دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- سيد سابق، العقائد الإسلامية، ، دار الكتاب العربي بيروت، د.ط.
-الشافعي السفيري ت٩٥٦هـ ، المجالس الوعظية في شرح صحيح البخاري ، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
-أبو شهبة محمد،السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم – دمشق، ط٨، ١٤٢٧ هـ.
- الصوياني، محمد، الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية، مدار الوطن للنشر،ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
-الطبري ت٣١٠هـ ، تفسير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
-ابن عاشور، التحرير والتنوير ت١٣٩٣هـ، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤ هـ.
- ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦ هـ.
-عثمان، عبد الرؤوف، محبة الرسول، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
-عبد الوهاب، أحمد، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، د.ط.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-عبد الوهاب المسيري٢٠٠٨م، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مجلد٢، ص٢٧، ط٤، دار الشروق -القاهرة، (بتصرف).
- أبو العز الحنفي ت٧٩٢هـ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ.
-العمراني، يحيى بن أبي الخير الشافعي ت٥٥٨هـ، الانتصار في الرد على المعتزلة، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض-السعودية، ط١٤١٩،١هـ-١٩٩٩م.
- الغزالي ت٥٠٥هـ، معارج القدُس، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.
-القاضي عياض ت٥٤٤هـ ، الشفا، دار الفيحاء – عمان، ط٢، ١٤٠٧ هـ.
-هـ.أ.غريبر، أساطير الإغريق والرومان، ترجمة حسني فريز، دائرة الثقافة والفنون، عمان، د.ط، ١٩٧٦م.
-قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من علماء اللاهوت، ط٢، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى- بيروت، ١٩٧١م.
-القرطبي، (تفسير القرطبي) ت٦٧١هـ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
-الكتاب المقدس، الطبعة المعتمدة بتعديلات جون ستيرلنغ، بريطانيا–لندن،جامعة أوكسفورد،ط١، باللغة الإنجليزية، ١٩٥٤م.
-المَرْوَزي الحجاج ت٢٩٤هـ، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.
-ملّا حويش، عبد القادر آل غازي، بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، مطبعة الترقي – دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.
- ابن الملقن ت ٨٠٤هـ، مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم، تحقيق عبد الله بن حمد اللحيدان وسعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميِّد، دار العاصمة، الرياض – السعودية، ١٤١١ هـ.
-ملكاوي،محمد، بشارة سفر المزامير ببكة وأثر الرمزية في اختلاف تراجمها، بحث محكم.
-ملكاوي محمد، شاول بولس شخصيته ومنهجه وتعاليمه اللاهوتية، بحث محكم،الأردن، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
-ملكاوي، محمد، مقدمة خليل سعادة لإنجيل برنابا، بحث محكم في مجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة.
-ملكاوي محمد، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، دار الإسراء للنشر، السعودية-الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
-ابن منظور ت٧١١ه، لسان العرب، دار صادر–بيروت، ط١.
-المورد القريب، منير البعلبكي، ط١، ٢٠٠٨م.
-الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي،إشراف وتخطيط ومراجعة د.مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،ط٤، ١٤٢٤هـ.
-الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
-ابن هشام ت٢١٣هـ، سيرة ابن هشام، تحقيق عبد الحفيظ الشلبي وآخران، مطبعة مصطفى البابي الحلبي -مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-الهيتمي، ابن حجر ت ٩٧٤هـ، الإعلام بقواطع الإسلام، تحقيق محمد عواد العواد، دار التقوى- سوريا، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.
- الهيثمي ت٨٠٧هـ، مجمع الزوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- الفراهيدي البصري ت ١٧٠هـ، العين، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط.
-الفريابي المُسْتَغفاض ت٣٠١هـ، القدر، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
- القصَّاب الكرَجي ت نحو ٣٦٠هـ، النكت الدالة على البيان، تحقيق علي بن غازي التويجري وآخرون، دار القيم - دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- القطان، مناع مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٣٥، ١٩٩٨م- ١٤١٨هـ.
-ابن الوزير ت٨٤٠هـ، العواصم والقواصم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
-الكتاب المقدس الطبعة المعتمدة بتعديلات جون ستيرلنغ، بريطانيا–لندن، جامعة أوكسفورد،ط١٩٥٤،١م، باللغة الإنجليزية.

مراجع الشابكة الإلكترونية:

-أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، محمد حسن عبد الغفار،دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net.
-فتاوى الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، تم نسخه من الإنترنت: في ١ ذو الحجة ١٤٣٠، هـ = ١٨ نوفمبر، ٢٠٠٩ م، http://www.islamweb.net.
-مقارنة بين عدد كلمات بعض لغات العالم، موقع جامعة البلقاء التطبيقية، https://www.bau.edu.jo.
-الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com